(٦)
أمانة مسجد الكوفة والمزارات الملحقة

الكوفة

بين العمق التاريخي والتطور العلمي

تأليف
الأستاذ الدكتور
حسن عيسى الحكيم

الكوفة

بين العمق التاريخي والتطور العلمي

تأليف

الأستاذ الدكتور
حسن عيسى الحكيم

اسم الكتاب: الكوفة بين العمق التاريخي والتطور العلمي.

تأليف: الأستاذ الدكتور حسن عيسى الحكيم.

الغلاف والإخراج الفني: نجاح الدجيلي.

الطبعة: الأولى (مزيدة ومنقحة).

الكمية: ٢٠٠٠ نسخة.

الناشر: أمانة مسجد الكوفة والمزارات الملحقة به.

سنة الطبع: ١٤٣٢هـ - ٢٠١١م.

بسم الله الرحمن الرحيم

كلمة الأمانة:

الحمد لله الواحد الأحد الفرد الصمد الذي هدانا لدينه وخصنا بنبيه محمد صلى الله عليه واله خاتم النبيين وسيد المرسلين المبعوث رحمة للعالمين وعلى اله الغر الميامين من سيد الوصيين أمير المؤمنين والى المهدي المنتظر أمل المستضعفين.

في البداية احيي القاريء الكريم وأضع بين يديه كتاب الكوفة بين العمق التاريخي والتطور العلمي للأستاذ الدكتور حسن الحكيم الذي وقع عليه الاختيار من قسم الشؤون الثقافية في أمانة مسجد الكوفة والمزارات الملحقة به ليكون ضمن سلسلة إصداراتها التي تهدف إلى أحياء ونشر تراث أهل البيت وما يرتبط بهم من شخصيات إسلامية خالدة أو ممن تخرج من مدرستهم أو طبع بحبهم وسار على نهجهم او تاريخ وحضارة مدن شرفتها أقدام أهل البيت فوطئتها وأخذت منها موطنا وسكنا والكوفة واحدة من تلك المدن حيث اتخذ منها أمير المؤمنين مقرا ومركزا للخلافة الإسلامية التي امتدت لتصل حدود الصين شرقا وبلاد الأندلس غربا ولابد من وجود دواعٍ لاختيارها أو أنّ لها من المقومات ما جعل الإمام عليه السلام يشير إليها بعد واقعة الجمل ولعل من الأسباب المهمة هو ان الإمام وجد من الكوفة الأرض الخصبة الطيبة التي يمكنه إذا ما هاجر إليها ان يطبق بها أيدلوجيته ونظريته الإسلامية التي تعلمها من النبي الأكرم صلى الله عليه واله إذ أدرك سلام الله عليه ان المدينة المنورة لم تعد تتقبل المفاهيم التي يحملها بعد تلك الفترة التي حصلت بين شهادة الرسول الأكرم وبين ان اتجه الناس إليه كعرف الضبع ليبايعوه فهي فترة ربع قرن تعطلت بها بعض تعاليم النبي الأكرم واستجدت نظريات أبعدت المسلمين عن تعاليم السماء لاسيما في الجانب الاقتصادي وهو ما يتناغم مع النفس البشرية التي تتوق إلى الاستحواذ على المال فعادت الطبقية في المجتمع حيث أثّرت طبقة على حساب أخرى حرمت من حقوقها ولم تعد ترغب هذه الطبقة الثرية ان تعود إلى ما كانت عليه في عهد النبي صلى الله عليه واله حيث الزهد والمساواة وخير شاهد على

ما نقول موقف طلحة والزبير من الإمام علي عليه السلام وهما أول من بايعه ظنّاً منهما ان ينالا الحضوة عنده ولكن الإمام الذي لا تأخذه في الله لومة لائم اصطدم مع هؤلاء في اليوم الأول من تسلم الخلافة التي قال فيها (لولا حضور الحاضر وقيام الحجة بوجود الناصر لألقيت حبلها على غاربها ولألفيتم دنياكم عندي ازهد من عفطة عنز)، إذن لابد للنظرية من تطبيق ولابد من مكان جديد مهيأ لتلقي هذه المباديء ولا بديل عن الكوفة حسب نظر الإمام المعصوم وهي المدينة التي أسست على الولاء للإمام علي عليه السلام فان الجيوش التي قصدت العراق لتحريره جلها ممن تعتقد بأحقية الإمام علي بخلافة النبي صلى الله عليه وآله إذ وعت وصايا الرسول بحقه وهي ذاتها التي امتنعت عن إعطاء الزكاة و التي استقرت في الكوفة عند تمصيرها وهي التي استقبلت عمار بن ياسر واليا من قبل الخليفة الثاني الرجل الذي يقول فيه النبي صلى الله عليه واله (مُلِيءَ عمار إيماناً من قرنه إلى قدمه) وهو من حواري أمير المؤمنين فكان له دور في تهيأة المناخ الملائم لاستقبال الإمام علي عليه السلام. وفي أجواء هذه المدينة التي يبحث تاريخها والمفاصل المهمة من حياة رجالها كتابنا الذي بين يديك وبكل صدق وموضوعية وهذه سمة البحوث التي يتناولها فضيلة أستاذنا الدكتور الحكيم ونحن نقدم له شكرنا وتقديرنا إذ أتاح الفرصة لأمانة المسجد المعظم ان تتبنى إعادة طبع ونشر الكتاب وفي نفس الوقت نطمئن القاريء الكريم ان مشروع التحقيق والطبع والنشر للكتاب سيظل من أولويات قسم الشؤون الثقافية في أمانة المسجد وهناك العديد من العناوين الهامة في طور الإعداد لتأخذ نصيبها في إعادة الطبع والنشر في القريب العاجل إن شاء الله آملين أن تكون سلسلة الإصدارات السابقة قد لاقت استحسانكم وأثرت العناوين الجديدة التي قدمت جانبا من المكتبة الإسلامية.

في الختام شكري وتقديري لكل من ساهم في إصدار هذا الكتاب سائلا المولى أن يتقبل أعمالنا جميعا وان يمن علينا برضاه ﴿إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ﴾.

السيد موسى تقي الخلخالي

أمين المسجد

بسم الله الرحمن الرحيم

المقدمة:

تحتاج مدينة الكوفة إلى دراسة تاريخية مستفيضة، تتناسب مع عصورها التاريخية ومدرستها العلمية وحوادثها السياسية وحياتها الاجتماعية وأعلامها الذين تواصلوا مع العلوم والمعارف والآداب والفنون، وإذا أردنا التوغل في هذه الجوانب، فانه يستلزم كتابة موسوعة شاملة تلتقي فيها الخطط بالأحداث، ودور الأعلام في الحياة العلمية والسياسية والاجتماعية، ولم ينهض بهذا المشروع إلا المؤسسات العلمية والجامعية، ولعل كتابنا يكون حافزاً للباحثين والمسؤولين في المؤسسات والمراكز العلمية على انجازه، وان مشروعنا البحثي هذا يغطي جوانب من تاريخ الكوفة ورجالها، وقد ألقيت بعض فصول الكتاب في مؤتمرات وندوات علمية وثقافية، وهي تلقي ضوءاً على تاريخ الكوفة قد يستفيد منها الباحثون، وطلبة الدراسات العليا في الجامعات. وقد يتوغل الباحثون في أعماق التاريخ لاستخراج الغامض منه أو الغاطس في بطون المخطوطات لإبرازه إلى الوجود، وهذا مما يكمل المسيرة العلمية ويكشف عن جوانب جديدة، إذ إن كثيراً من المخطوطات لم تُحقق، وكثيراً من الأحداث لم تفسر تفسيراً علميا دقيقا، يتفق مع فلسفة التاريخ، وقد تحدد بحثنا عن الكوفة وفق حدودها، دون التوغل في دراسة (ظاهرها)، إذ أنها مع الحيرة والنجف تشكل المثلث التاريخي الحضاري، فالحيرة بحاجة إلى دراسة تاريخية مستقلة، لان عمقها التاريخي والحضاري في عصر ما قبل الإسلام، ذو مساحة واسعة، وان مدينة النجف الأشرف، التي تشكل (ظهر الكوفة أو ظاهرها) لها خصائص تاريخية عبر العصور والأزمنة وان كتابنا (المفصل في تاريخ النجف الأشرف) سوف يستوعب فصول التاريخ النجفي، وإننا بعد الانتهاء من كتابة تاريخ الكوفة، نعود إلى الحيرة لنكشف عن جوانب من تاريخها وحضارتها، ولاشك إن في (المثلث التاريخي الحضاري) تداخل في

الأحداث، ومشتركات في كثير من الظواهر الاجتماعية والاقتصادية والسياسية والعلمية، وان الكشف التاريخي عن أغوار المثلث التاريخي الحضاري قد يساعد على الكشف عن تاريخ العراق وارض السواد، فقد قادت الحيرة المجتمع العراقي في عصر دولة المناذرة اللخميين، وقادت الكوفة المجتمع الإسلامي في عهد أمير المؤمنين عليه السلام، وتسلمت مدينة النجف الأشرف مسؤولية القيادة العلمية في عصريها الإسلامي والحديث، وتشير النصوص التاريخية بأن الإمام المهدي عليه السلام سوف يشكل حكومته المرتقبة في مدينة النجف الأشرف، ويتخذ من الكوفة عاصمة لحكومته. ومن مدينة جده أمير المؤمنين عليه السلام ينطلق لتحرير العالم، وإقامة حكومة الإسلام الحقة، والتي وضع أسسها وأرسى قواعدها رسول الإنسانية الأعظم، نبينا الكريم محمد عليه أفضل الصلاة والسلام[1]. ونسأل الله العلي القدير التوفيق والسداد لإكمال مشروعنا العلمي، خدمة للحقيقة والكلمة الصادقة، ووفاءً لعاصمة أمير المؤمنين عليه السلام الكوفة الغراء وتقديراً لأرض النجف الأشرف الطاهرة المعطاء والتي تشرفت بجسده الشريف، واقتبست من علومه مبادئ الدين الحنيف.

د. حسن عيسى الحكيم
النجف الأشرف - ١٤٢٩هـ/ ٢٠٠٨م

(١) حسن الحكيم: حكومة الإمام المنتظر عليه السلام وتنظيماتها المرتقبة في النجف الاشرف، مجلة الانتظار، العدد الثامن، السنة الثالثة ١٤٢٨هـ.

الكوفة
والأمانة العلمية

أنا والكوفة ـ مشاريع وبحوث

بدأ عملي بالكتابة عن الكوفة منذ انتقال عملي الوظيفي من وزارة التربية إلى وزارة التعليم العالي عام ١٩٧٦م، فبدأت أحاضر في المؤتمرات والندوات، واكتب في الصحف والمجلات، وأقدم مشاريع ومقترحات تنصب على مدينة الكوفة، بعد أن رأيت فراغا واضحا في الكتابة عنها، قياساً للمدن الأخرى، وقد كانت تلازمني أفكار وآراء للنهوض العلمي لمدينتي النجف الأشرف والكوفة، وتوسعت الفكرة لإلحاق الحيرة بهما، فقد أصدرت موسوعتي بعنوان ((المفصل في تاريخ النجف الاشرف)) وتأتي هذه الدراسة عن مدينة الكوفة، مكملة للمفصل، وان شاء الله تعالى تأتي الحيرة ليصبح (المثلث الحضاري) قد اخذ نصيبه بالبحث والدراسة، وكانت مشاريعي ومقترحاتي التي قدمتها للمسؤولين في وزارة التعليم العالي والبحث العلمي، ولرئاسة جامعة الكوفة بما يلي:

١ـ الاحتفال بيوم الجامعة:

كلفني مجلس جامعة الكوفة عام ١٩٨٨م بتحديد يوم تاريخي ليصبح يوماً للجامعة تحتفل به مؤسسات الجامعة في كل عام، وبعد التنقيب والبحث في المصادر والمراجع، وقفت عند أهم حدث له أهمية تاريخية وفكرية هو الثاني عشر من رجب عام ٣٦هـ. وهو اليوم الذي دخل فيه الإمام علي عليه السلام مدينة الكوفة قادماً إليها من البصرة بعد فراغه من موقعة الجمل، وأصبحت الكوفة عاصمة للعالم الإسلامي، وقائدة للأمة، وقد اخذ مجلس الجامعة بالمشروع واقر من وزارة التعليم العالي والبحث العلمي، وأصبح الرابع من كانون الثاني من كل عام عيداً جامعياً تحتفل به الجامعة رسمياً، ويكرم فيه الأساتذة والطلاب.

٢ـ إحياء المثلث الحضاري:

توليت إدارة مركز دراسات الكوفة عام ١٩٩٦م، وكانت مهام المركز إعداد الدراسات والبحوث، وكنت أسعى إلى تحديدها بتاريخ (المثلث الحضاري) الذي يشمل تاريخ الحيرة في عصر ما قبل الإسلام، وتاريخ الكوفة في العصر الإسلامي، وتاريخ النجف عبر عصورها المختلفة، وأصبح مصطلح المثلث الحضاري يأخذ موقعه من الدراسات الجامعية، فأصدرت مجلة (حضارة الكوفة) بعد أن كانت نشرة بسيطة، واعددنا مهرجانا ضخما بعنوان (ألف وأربعمائة عام على تأسيس الكوفة) والاحتفال بالشخصيات العلمية والأدبية، وهم: السيد احمد الصافي النجفي، والشيخ جعفر محبوبة والسيد محمد سعيد الحبوبي، والسيد سعد صالح جريو، والشيخ محمد جواد الجزائري، والشيخ محمد رضا المظفر، ووضعنا في القائمة أسماء أخرى، ولكن رئاسة الجامعة أعلمتنا بإيقاف الاحتفال بالشخصيات ويكتفى بالمواضيع العامة، فقمنا بإعداد مؤتمر عن دور النجف بالاحتفاظ باللغة العربية، ومؤتمر الاختناق المروري في مدينة النجف الاشرف، وأخيراً المؤتمر الكبير الذي خصص لتاريخ الحيرة، وبعد سقوط النظام عام ٢٠٠٣م، جاء احتفالنا الأول بذكرى الأستاذ الدكتور مصطفى جمال الدين وأصدرنا مجلة (دراسات نجفية) وكتبت عن الكوفة وخططها ورجالها وحوادثها التاريخية بحوثاً علمية وهي على النحو الأتي:

١- الثوية موقعها وتاريخها، بحث في مجلة كلية الفقه، العدد الثاني لسنة ١٤٠٣هـ/١٩٨٣م.

٢-خندق الكوفة في التاريخ، بحث في مجلة المورد، المجلد (٢٨) العدد الرابع لسنة ١٤٢١هـ/٢٠٠٠م.

٣- تمصير الكوفة بين الإنسان والأرض، بحث في مجلة الكوفة المجلد الخامس، العدد الأول لسنة ٢٠٠١م.

٤- لمحات من تاريخ الطب وعلوم الحياة في الكوفة في العصور العربية الإسلامية، بحث في مجلة الكوفة، العدد الأول لسنة ٢٠٠٢م.
٥- رئيس جامعة الكوفة في حديث ساخن مع مجلة الصراط المستقيم، العدد (٢٦) لسنة ١٤٢٤هـ/٢٠٠٣م.
٦- علماء الكوفة في المدرسة المستنصرية، بحث في مجلة الكوثر، العدد (٥١) لسنة ٢٠٠٢م.
٧- الكوفة من الجامع إلى الجامعة، بحث في مجلة الكوفة، العددان الثالث والرابع لسنة ٢٠٠٤م.
٨- خطط الكوفة في شعر المتنبي، بحث في مجلة الكوفة، العدد السادس لسنة ٢٠٠٥م.
٩- قبيلة مذحج في حاضرة الكوفة، بحث في مجلة السدير، العدد (١١) لسنة ٢٠٠٦م.
١٠- تخطيط المدينة العربية الإسلامية (النجف والكوفة أنموذجاً) بحث في مجلة آداب الكوفة، العدد الأول لسنة ٢٠٠٨م.

أما المقالات الصحفية فهي على النحو الآتي:
١- تمصير الكوفة، جريدة الثورة، العدد (٦٧٦٧) بتاريخ ٦/٢/١٩٨٨م.
٢- خندق الكوفة، جريدة الثورة، العدد (٦٨٢٣) بتاريخ ٣١/١/١٩٨٩م.
٣- خطط الكوفة في شعر المتنبي، جريدة القادسية، العدد (٤٨٠٠) بتاريخ ٣/٩/١٩٩٥م.
٤- البراقي النجفي وكتاب تاريخ الكوفة، نشرة حضارة الكوفة العدد الثاني لسنة ١٩٩٦م.
٥- جريدة الفرات تحاور الدكتور حسن الحكيم (استعدادات متواصلة لإقامة الاحتفالية العلمية لألفية الكبرى بذكرى تأسيس الكوفة) العدد (١٨) بتاريخ ٢٣/٨/٢٠٠٠م.

٦- مسجد الكوفة أول مؤسسة علمية في تاريخ الكوفة، نشرة حضارة الكوفة العدد الثالث لسنة ٢٠٠١م.

٧- الشيخ علي البازي، الشاعر الذي أرخ لمدينتي النجف والكوفة، مجلة السمنت الجنوبية، العدد الرابع لسنة ٢٠٠٢م.

٨- جامعة الكوفة صرح علمي استهدفه الحاقدون، جريدة الرابطة، العدد الثاني بتاريخ ٢٠٠٣/٥/٨م.

٩- يوم الجامعة، يوم الإمام علي عليه السلام، جريدة أضواء الجامعة، العدد الثالث لسنة ٢٠٠٤م.

١٠- في يوم الجامعة نستذكر أول عاصمة في العراق، جريدة أضواء الجامعة، العدد الخامس لسنة ٢٠٠٥م

١١- جامعة الكوفة وطموحات المستقبل، جريدة أضواء الجامعة، العدد السادس لسنة ٢٠٠٥م.

١٢- منتدى الكوفة الثقافي عود على بدء، جريدة العراق، العدد (٢١٧٠) بتاريخ ١٩٩٤/٨/٢م.

١٣- حوار مع الأستاذ الدكتور حسن الحكيم (رئيس جامعة الكوفة) جريدة مهرجان الجواهري، العدد الرابع بتاريخ ٢٠٠٥/٢/٢٩م.

١٤- العراقان البصرة والكوفة في روايات سيف بن عمر، جريدة الزمان، العدد (٢٢٥٨) بتاريخ ٢٠٠٥/١١/١٤م.

١٥- آثار الكوفة في دراسات المستشرقين، جريدة الزمان، العدد (٢٤٥٣) بتاريخ ٢٠٠٦/٧/١٧م.

١٦- جامعة الكوفة ومسيرة التحدي والصمود، جريدة أضواء الجامعة العدد الرابع لسنة ٢٠٠٤م.

وقد قمت بتقويم البحوث العلمية الخاصة بمدينة الكوفة والمرسلة إلينا من الجامعات العراقية وهي:

١- أسباع الكوفة، بحث مرسل من كلية التربية للبنات بجامعة الكوفة بتاريخ ١٩٩٣/١٢/٢٩م.

٢- روايات ابن اعثم الكوفي دراسة تحليلية في العلاقات العسكرية العربية - الخزرية، بحث مرسل من كلية التربية بجامعة القادسية بتاريخ ١٩٩٤/١/٩م.

٣- من رواد الفكر في الكوفة، بحث مرسل من كلية التربية للبنات بجامعة الكوفة بتاريخ ١٩٩٤/٢/١٥م.

٤- أمير الكوفة سعيد بن العاص ودوره السياسي والإداري والعسكري بحث مرسل من كلية البنات بجامعة الكوفة بتاريخ ١٩٩٤/٢/١٥م.

٥- الصحابي حذيفة بن اليمان العبسي وجهاده في الكوفة، بحث مرسل من كلية الآداب بجامعة الكوفة بتاريخ ١٩٩٥/١/٢٨م.

٦- الكشف عن الملتقطات السطحية في درب الكوفة ـ مكة على ضوء المسيح الاثاري، بحث مرسل من كلية الآداب بجامعة الكوفة بتاريخ ١٩٩٥/٣/١٢م.

٧- اثر علماء الكوفة على الحياة الفكرية ببغداد حتى نهاية القرن الثالث الهجري، بحث مرسل من جامعة الكوفة بتاريخ ١٩٩٦/٢/١٠م.

٨- الصحابي سلمان بن ربيعة الباهلي أول قاضي على الكوفة، بحث مرسل من كلية الآداب بجامعة الكوفة بتاريخ ١٩٩٦/٢/٢٧م.

٩- المدرسة التاريخية في الكوفة خلال القرنين الأول والثاني للهجرة، بحث مرسل من الجامعة المستنصرية بتاريخ ١٩٩٦/٩/١٠م.

١٠- الأبعاد الإدارية في تخطيط الكوفة، بحث مرسل من مجلة الكوفة بتاريخ ١٠/١٠/ ٢٠٠٦م.

١١- ابن اعثم الكوفي وكتابه الفتوح، بحث مرسل من كلية التربية بجامعة واسط بتاريخ ٢٠٠٢/٢/٩م.

١٢- من رواد الفكر في الكوفة، بحث مرسل من مجلة جامعة الكوفة بتاريخ ٢٠٠٢/١/٢٨م.

١٣- الكوفة تاريخياً وسياسياً، بحث مرسل من كلية الفقه بجامعة الكوفة بتاريخ ٢٠٠٧/١٢/١٢م.

وأشرفت على رسائل الدكتوراه والماجستير في التاريخ الإسلامي عن الكوفة وهي:

١- الأبعاد الحضارية لقصر الإمارة في الكوفة حتى نهاية العصر الأموي لطالب الدكتوراه علي محمد مهدي عام ١٩٩٦م.

٢- الكوفة في العصر العباسي من القرن الرابع وحتى منتصف القرن السابع لطالب الماجستير معن صالح مهدي عام ١٩٩٢م.

٣- منطقة الكوفة ودورها في عمليات تحرير العرب للعراق في العصر الراشدي لطالب الماجستير رحيم هادي عبد الله عام ١٩٩٥م.

٤- الكوفة في كتب الرحالة العرب حتى نهاية العصر العباسي لطالب الماجستير عزيز ناظم عبد، عام ٢٠٠٠م.

٥- إبراهيم بن محمد الثقفي الكوفي مؤرخاً لطالب الماجستير حسن كريم ماجد عام ٢٠٠٢م.

٦- فضل أهل الكوفة وأهلها لأبي عبد الله الحسني - دراسة وتحقيق لطالب الماجستير على جاسم شمخي عام ٢٠٠٢م.

٧- الكوفة في تاريخ ابن عساكر لطالب الماجستير جواد كاظم شايب عام ٢٠٠٤م.

وناقشت رسائل الماجستير في التاريخ عن الكوفة في الجامعات العراقية وهي:

١- الكوفة في العصر العباسي دراسة في أحوالها السياسية والفكرية (١٣٢-٢٢٤هـ) لطالب الماجستير جابر رزاق غازي عام ٢٠٠٠م.

٢- الاتجاهات السياسية القبلية في الكوفة في العصر الأموي (٤١ - ٦٥هـ) لطالب الماجستير أسامة كاظم عمران عام ٢٠٠٥م.

٣- نشأة التيار العلوي في الكوفة إلى نهاية العصر الأموي لطالب الماجستير احمد علاوي عام ٢٠٠٧م.

٤- القضاء في الكوفة النشأة والتطور دراسة تاريخية (١٧- ١٣٢هـ) لطالب الماجستير محمود شاكر مشعان عام ٢٠٠٧م.

٥- حركة التوابين (٦١- ٦٥) لطالب الماجستير خالد راسم أمير عام ٢٠٠٧م.

٦- هشام بن الحكم الكوفي ودوره في الحياة الفكرية في العصر العباسي الأول، لطالب الماجستير مخلد ذياب فيصل عام ٢٠٠٧م.

٧- مدرسة الكوفة الحديثية في القرنين الأول والثاني الهجريين لطالبة الماجستير هناء حسين علوان عام ٢٠٠٧م.

الكوفــة
والعمق التاريخي والحضاري

الكوفة في اللغة والاشتقاق

الكوفة بالضم كما وردت في كتب اللغة والبلدان، وسميت بهذا الاسم لاستدارتها أو اجتماع الناس بها[١]. ويقول اللغوي قطرب: سميت الكوفة من قولهم: تكوف الرمل، أي ركب بعضه بعضاً، والكوفان: الاستدارة، ويقول أبو حاتم السجستاني: إن الكوفة رملة مستديرة، يقال كأنهم في كوفان[٢]. وتكاد تجمع المصادر على القول: إن كل رمل خالطه حصى فهو كوفة[٣]. وقد أعطى الجغرافي البكري للكوفة بعداً تاريخيا وجغرافياً بقوله: إنما سميت الكوفة، لان سعد بن أبي وقاص بعد موقعة القادسية، نزل في منطقة الانبار، ومعه المقاتلة من المسلمين، ثم ارتاد لهم موضع الكوفة، وقال لهم: تكوفوا في هذا الموضع، أي اجتمعوا فيه[٤]. وحدد المؤرخون هذا الحدث في عام ١٧هـ، وذلك في عهد عمر بن الخطاب، وبناء على طلبه اختط سعد بن أبي وقاص الزهري مدينة الكوفة[٥]. ونستفيد من نصوص التاريخ والبلدان واللغة إن مصطلح الكوفة مشتق من تكوف القوم وتجمعهم، أو من الرملة الحمراء المستديرة، وان كلاهما ينطبقان على تخطيط الكوفة، ومن ثم تحويلها إلى مصر إسلامي كبير، يناظر مدينة البصرة التي خططت عام ١٤هـ. وأشار المقدسي إلى الكوفة بقوله: أنها قصبة جليلة، حفيفة حسنة البناء، جليلة الأسواق، كثيرة الخيرات، جامعة رفقة[٦]. وقد لحق بالكوفة (الخط الكوفي) و(النحو الكوفي) و(ظهر الكوفي) ولباس الكوفية[٧]. وهذه الألفاظ العلمية

(١) البغدادي: مراصد الاطلاع ١١٨٧/٣.

(٢) ابن الفقيه: مختصر كتاب البلدان ص١٦٢.

(٣) المقدسي: أحسن التقاسيم ص١١٦.

(٤) البكري: معجم ما استعجم ١١٤٢/٤.

(٥) اليعقوبي: البلدان ص٥.

(٦) المقدسي: أحسن التقاسيم ص١١٦.

(٧) الطريحي: مجمع البحرين ١١٦/٥.

والخططية والحضارية تعطي للكوفة أهمية تفوقها على الأمصار الأخرى، وان الامتداد الجغرافي للكوفة جعل لها ظهراً أو ظاهراً، ربطه جغرافيا بظهر الحيرة، وهي الأرض المرتفعة ويقال لها طريق وهو أشارة إلى ما خرج عن خندق الكوفة(١). وتحتل منطقة الثوية، ومنطقة الغري جزءاً من ظهر الكوفة، وان هاتين المنطقتين تشكلان ارض النجف الاشرف ويعود تاريخهما إلى عصر ما قبل الإسلام، فبنيت في ظهر الكوفة أو ظهر الحيرة القصور والأديرة والقلاع والحصون والمقابر، ومنها (الغريان) حيث مرقد أمير المؤمنين عليه السلام بينهما. وقد أطلق على هذه الأرض لفظ (نجف الحيرة) أي ما ارتفع من ارض الحيرة، كما أطلق لفظ (نجف الكوفة) ويلتقي اللفظان في معنى واحد، وهو ما ارتفع من ارض هاتين المدينتين، ولما أراد سعد بن أبي وقاص تخطيط الكوفة، خرج ومعه المقاتلة من المسلمين إلى منطقة الظهر التي كانت تسمى (خد العذراء) التي ينبت فيها الشيح والقيصوم والأقحوان، وأنواع الورود والأزهار، فقال سعد لأصحابه (اختطوها)(٢). فبدؤوا بالمسجد ودار الإمارة، ثم اختط الناس مساكنهم حولهما.

وجاء اختيار الإمام علي عليه السلام مدينة الكوفة عاصمة للعالم الإسلامي بعد المدينة المنورة، يعود لأسباب عديدة وفي مقدمتها الموقع الجغرافي، لان الكوفة تتوسط بين المدينة المنورة والبصرة من جانب، واقرب منطقة لبلاد الشام، وبعد فراغ الإمام عليه السلام من معركة الجمل، تفرغ لمنازلة خصمه والمتمرد على السلطة الشرعية معاوية بن أبي سفيان، لان الرجوع إلى المدينة سوف يفسح المجال لمعاوية للتقدم نحو العراق وبخاصة مدينة الكوفة، وان البعد الجغرافي والعسكري والسياسي والاجتماعي للكوفة جعلها مؤهلة للقيادة، وهذا الرأي هو الأقرب إلى واقع الحال لاختيار الكوفة عاصمة للدولة، وأورد بعض المؤرخين سببا آخر للاختيار هو وجود التنافس بين مكة والمدينة من جانب، وبينهما والبصرة من جانب آخر حتى

(١) الطوسي: الامالي ١٩/١، ابن طاووس: فرحة الغري ص٢٠.

(٢) البلاذري: فتوح البلدان ص٢٧٧.

قيل: ((لا يرضى أهل المدينة بما يرضى أهل مكة)) وقيل: ((لا يرضى أهل الكوفة بما يرضى هؤلاء وهؤلاء)) ولا ننسى وجود التنافس بين الكوفة والبصرة قد اخذ في التوسع بعد انتصار أمير المؤمنين عليه السلام في حرب الجمل عام ٣٦هـ، مما عزز من مفاخرة الكوفيين على البصريين، لان الكوفة وقفت إلى جنب أمير المؤمنين عليه السلام ونصرته، في حين إن البصرة وقفت إلى جانب أعدائه، ولكن موقف بعض الكوفيين ولاسيما القبائل اليمنية قد تغير، كما تشير خطب الإمام عليه السلام المودعة في كتابه الخالد (نهج البلاغة)، وان الشواهد التاريخية تؤيد هذه الحقيقة، فان كثيراً من الكنديين والاشعريين لم يثبتوا على عقيدتهم العلوية وإيمانهم الإسلامي، مما خلقوا أزمة في الموقف السياسي في المدة الواقعة بين (٣٦ - ٤٠هـ)، وبخاصة عند منازلة أمير المؤمنين عليه السلام للتمرد الأموي وللتمرد الخارجي، وقد خسرت الكوفة موقعها القيادي البارز بعد استشهاد أمير المؤمنين عليه السلام.

اختيار الإمام علي عليه السلام مدينة الكوفة عاصمة للعالم الإسلامي

لقد كثر الحديث حول أسباب اختيار الإمام علي عليه السلام مدينة الكوفة دون سواها عاصمة للعالم الإسلامي بعد المدينة المنورة، وقد طرحت آراء عدة أوردها المؤرخون منها: التنافس بين مكة والمدينة والكوفة، حتى قيل: ((لا يرضى أهل المدينة بما يرضى أهل مكة)) وقيل: ((ولا يرضى أهل الكوفة بما يرضى هؤلاء وهؤلاء)) أما الرأي الثاني: هو وجود التنافس بين البصرة والكوفة في الإدارة والفكر، وبما إن البصرة قد ناصرت أعداء الإمام عليه السلام في يوم الجمل، وان الكوفة قد وقفت مع الإمام في حربه للخارجين على خلافته، فأصبح لها المقام المتقدم، أما الرأي الثالث يقول: أراد الإمام عليه السلام اختيار الموقع القريب من الشام لمنازلة خصمه معاوية بن أبي سفيان، فكانت الكوفة هي الأقرب من غيرها، ولدى المتفحص للنصوص الدقيقة يجد الرأي الأخير هو الأقرب لمجريات الأحداث، فقد أراد الإمام علي عليه السلام قطع الطريق أمام معاوية، والحيلولة دون تقدمه نحو العراق، وقد أراد عليه السلام أن تكون الكوفة قائدة الأمة من جانب، وان تكون الأمصار الإسلامية بما فيها الشام تابعة للكوفة. وحينما أنهى عليه السلام حركة التمرد في البصرة، وجد الكوفة مؤهلة للاختيار عاصمة للعالم الإسلامي، لوجود أعداد غفيرة من جيشه من الكوفيين، وقربها الجغرافي من الشام، وهذا البعد العسكري والسياسي جعله يبتعد عن المدينة وعن البصرة، ولو انه سحب جيشه إلى المدينة لاستغل معاوية الفرصة وتقدم نحو العراق، ولذلك فوت الفرصة أمام معاوية، ويجب أن لا ننسى إن للكوفيين دوراً في مقتل عثمان بن عفان من جانب، وقتالهم المرير في يوم الجمل. ويبدو إن موقف الكوفيين قد تغير في السنوات الأخيرة من حكم الإمام علي عليه السلام حتى انه وصف أهل الكوفة بالأسود الرواعة والثعالب الرواغة. وفي تقديري إن تغيير الموقف كان من قبل اليمانيين الذين سكنوا الكوفة

منذ تمصيرها عام ١٧هـ، ومشاركتهم في عمليات الفتوح منذ عهد عمر بن الخطاب، ولم نجد لكثير من اليمنيين استقراراً على رأي ثابت، كما هو الحال عند بعض الاشعريين والكنديين، وان المدة الزمنية التي أصبحت بها الكوفة عاصمة للعالم الإسلامي بين (٣٦-٤٠هـ) لم تكن كافية لإدارة الأمصار الإسلامية في المشرق، لانشغال الإمام علي عليه السلام في إنهاء التمرد الداخلي بعد موقعة الجمل، إذ كانت صفين والنهروان عائقا من تنفيذ مشروعه لنشر الإسلام في المشرق واستحالته في المغرب بعد استشهاد مالك الاشتر ومحمد بن أبي بكر على الحدود المصرية، ووقوف معاوية في بلاد الشام لمنع أي تقدم من جهة العراق. وكانت هذه الظروف الصعبة قد واجهت الإمام الحسن عليه السلام بعد استشهاد أمير المؤمنين عليه السلام، مما اضطر إلى مغادرة الكوفة والعودة إلى المدينة المنورة بعد عقد الاتفاقية مع معاوية. ويمكننا القول: إن الكوفة فقدت مركزها القيادي بعد استشهاد الإمام علي عليه السلام عام ٤٠هـ، وسيطرت الشام على زمام الأمور، وأصبحت الكوفة مصراً بعيداً عن القيادة، وقد أضعفها بصورة اكبر بناء الحجاج بن يوسف الثقفي لمدينة واسط عام ٨٣هـ.

خطط الكوفة

تخطيط المدينة العربية الإسلامية
مدينة الكوفة أنموذجاً

المقدمة:

يعد تخطيط المدن في عصر الإسلام مظهراً حضارياً وعربياً إسلامياً، وقد كان العراق أول بلد قد حظي بهذا المظهر الحضاري في التاريخ العربي الإسلامي، وكانت أرض السواد من العراق قد خططت فيها مدينتا البصرة والكوفة في عامي ١٤و١٧ هجرية، وذلك في العصر الراشدي، وخططت مدينة واسط عام ٨٣هـ في العصر الأموي، وخططت مدينتا بغداد والنجف الاشرف في عامي ١٤٥و١٧٠ هجرية في العصر العباسي، وتلتقي تخطيطات المدن العراقية في كثير من الخصائص عدا بعض المزايا التي تتصف بها هذه المدينة عن تلك، فقد يكون العامل العسكري أو السياسي أو الديني في مقدمة العوامل الأخرى، فقد ارتبط تأسيس الكوفة بعملية فتح العرب المسلمين للعراق، وبعد طرد الفلول العسكرية الساسانية من أرض السواد، شعر العرب المسلمون بالحاجة إلى إنشاء دار هجرة على تخوم البلاد المفتوحة، تكون بمثابة المعسكر والمركز للهجرة في الوقت نفسه[1]، وأصبحت مدينة الكوفة وغيرها من الأمصار العربية الإسلامية محطة المجاهدين، ومستقر القبائل، وحلقة الوصل بين المدينة المنورة (عاصمة المسلمين) والمناطق المحررة والمفتوحة، وقد اتخذ المجاهدون من مدينة الكوفة خطا مفتوحا، يؤمن رجعتهم في حالة تعرضهم للخطر، فيحتمون بها عندما يضايقهم العدو، كما أنها كانت مركزا تموينيا للجيوش التي تحارب في الجبهات العسكرية في العراق والمناطق الشرقية[2]، وإذا كان العامل العسكري قد احتل مركز الصدارة في تأسيس مدينة الكوفة فان العامل الديني كان في مركز الصدارة في تأسيس مدينة النجف الأشرف، فقد تحدد موقع المدينة بضريح الإمام أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام، حيث تمحور

(١) هشام جعيط: الكوفة نشأة المدينة العربية الإسلامية، ص٦.

(٢) مصطفى الموسوي: العوامل التاريخية لنشأة وتطور المدن العربية الإسلامية، ص٨٦- ص٨٧.

الناس حول مرقده الشريف، ودفن موتاهم بالقرب منه، استنادا لأحاديث شريفة ومرويات مأثورة تحبذ ذلك، وفي تأسيس مدينتي الكوفة والنجف ظاهرة اشتركت فيها هاتان المدينتان على الرغم من الفارق الزمني في تأسيسهما وهو ((الإرث التاريخي)) فقد تأسست مدينة الكوفة على أنقاض مدينة الحيرة، تلك المدينة العربية العريقة التي كانت عاصمة لدولة المناذرة في عصر ما قبل الإسلام، فأصبحت الكوفة وريثة الحيرة وقد بنيت من حجارتها، وتأسست مدينة النجف على أنقاض الكوفة تلك المدينة التي احتلت مركز الولاية ومن ثم العاصمة للدولة الإسلامية، فقد بنيت النجف من حجارة الكوفة وأنقاضها وورثت مدرستها العلمية والفكرية منذ القرن الثالث الهجري/التاسع الميلادي وسوف يتركز بحثنا على تخطيط مدينة الكوفة وبيان خصائصها العمرانية والحضارية.

كانت مدينة الكوفة كأختها مدينة البصرة التي سبقتها في التأسيس ثلاث سنين، فقد تأسست مدينة البصرة عام ١٤هـ، ومدينة الكوفة عام ١٧هـ في أصح الروايات وتجمعت في تأسيس مدينة الكوفة ستة عوامل هي:-

١- العامل العسكري.

٢- العامل الجغرافي.

٣- العامل التاريخي.

٤- العامل الفكري.

٥- العامل الاجتماعي.

٦- العامل الاقتصادي.

وكان العامل العسكري في مقدمة العوامل، لذا أطلق على الكوفة لفظ (كوفة الجند)[1]، وقد اختيرت لتكون نقطة ارتكاز يستريح عندها الجند من عناء السفر وعناء القتال، ثم أصبحت معسكرا ثابتا، فقد أشارت المصادر إلى أن الكوفة ((دار هجرة ومنزل جهاد)) و((دار هجرة وقيروان))[2]، ومعنى القيروان

(١) ياقوت الحموي: معجم البلدان ٤٩١/٤.

(٢) ابن سعد: الطبقات الكبرى ١٢/٦.

معظم الكتيبة[1]، وأطلق لفظ ((المقاتلة)) على المرابطين على حدود الكوفة والزاحفين نحو العراق من شبه الجزيرة العربية، وهذا مما جعل مدينة الكوفة تشكل ثمرة مباشرة لعملية من عمليات الفتح الخاطف معللة إياها ومشكلة بدورها امتداداً لها[2]، وقد أعطى موقع الكوفة أهمية جغرافية وذلك لتربعها على كتفين هما: الصحراء من جانب، والماء من جانب آخر، وهذا مما ساعد على جذب السكان إليها، ويقول المستشرق ماسنيون: إن تمصير الكوفة وتثبيت القبائل البدوية الفاتحة المنتصرة واستقرارها على حافة الصحراء في ريف مماس إلى لسان من الرمل اليابس النافذ في منطقة تروى بمياه شط عظيم وهو نهر الفرات[3]، إضافة إلى قرب الكوفة من مدينة الحيرة (عاصمة المناذرة) تلك المدينة المتربعة على ساحل بحر النجف، واتصالها بريف العراق وسواده وبأرض شبه الجزيرة العربية والشام، وقد ورثت مدينة الكوفة هذه الخصائص، كما ورثت خصائصها العلمية والفكرية فقد كانت (عاقولا) مركز الثقافة قبل الإسلام، وقد عدت مدينة الحيرة في عصرها الذهبي أحدى المدن العلمية الخمس التي تدرس الفلسفة اليونانية وهي: الرها، نصيبين، حران، جنديسابور، وقد ترعرع فيها الشعر العربي، واحتفظ النعمان بن المنذر (ملك الحيرة) بدواوين الشعراء العرب وقد امتدت هذه الحركة العلمية إلى الكوفة منذ تأسيسها عام ١٧هـ/٦٣٨م حيث جمع العرب المسلمون بين العلم والجهاد، وقد أشار عمر بن الخطاب إلى الكوفة بقوله ((الكوفة رمح الله، وكنز الإيمان وجمجمة العرب يجزون ثغورهم ويمدون الأمصار))[4]، فقد هبط على رمالها سبعون بدريا وثلاثمائة من أصحاب الشجرة، وهم من صحابة رسول الله ﷺ، وفي عام ٣٦هـ تحولت الكوفة إلى عاصمة الدولة وقائدة الأئمة، ويشكل هذا الحدث نقطة تحول في تاريخ مدينة الكوفة وأشار إليها الإمام علي عليه السلام بقوله:

---

(١) الفيروزآبادي: القاموس المحيط، مادة ((قرن)).

(٢) هشام جعيط: الكوفة نشأة المدينة ص٦.

(٣) ماسنيون: خطط الكوفة، ص١٥.

(٤) ابن سعد: الطبقات الكبرى، ٥/٦.

((الكوفة جمجمة الإسلام وكنز الإيمان وسيف الله ورمحه يضعه حيث يشاء وأيم الله لينصرن الله بأهلها من مشارق الأرض ومغاربها كما انتصر بالحجارة))[١]، وأراد عليه السلام بذلك ((حجارة السجيل)) التي حملها طير الأبابيل التي أمطرت الأحباش عند غزوهم للكعبة الشريفة.

وقد مرت مدينة الكوفة منذ تأسيسها بخطط إدارية واجتماعية ودينية وغيرها، وقد أعطت لمدينة الكوفة خصائص عمرانية وحضارية وهي:

الخطط الدينية:

يعد مسجد الكوفة أحد المساجد الأربعة في الإسلام التي لها قدسية ومكانة وروحية كبيرة واليه أشار الإمام علي عليه السلام بقوله: (انه أحد المساجد الأربعة التي تعظم ولأن أصلي فيه ركعتين أحب ألي من أصلي عشرة في غيره إلا في المسجد الحرام ومسجد رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، وقد شيد المسجد في وسط المدينة ((وبذلك يكون مسجد الكوفة هو محور المدينة ومركزها الرئيس))[٢]، وقد قام بناؤه على أرض مربعة الشكل تقريبا بانحراف قليل عن زاوية القبلة بمقدار سبعة عشرة درجة وكان طول الضلع المواجه للقبلة (١١٠متراً) والجدار المقابل للقبلة يبلغ (١٠٩متراً)، أما الضلعان الآخران فيبلغ طول كل منهما (١١٦متراً) ودلت الدراسات الآثارية إن الجدران كانت نازلة في الأرض إلى عمق خمسة أمتار ونصف وان الجدران كانت مدعومة من الخارج بأبراج نصف دائرية ترتفع بارتفاع الجدران إلى حدود عشرين مترا[٣]، ولم يكن بمسجد الكوفة عند تخطيطه أروقة أو مجنبات باستثناء جانب فكان بالإمكان مشاهدة ((دير هند)) الواقع على

---

(١) م. ن ٦/٦.

(٢) حسين أمين: (مسجد الكوفة في التاريخ) مجلة الكوفة، المجلد الخامس، العدد الأول لسنة ٢٠٠١م، ص٤٠.

(٣) م. ن.

خندق الكوفة من صحن المسجد وكانت باب الجسر في اتجاه الفرات[1]، وهذا يعني أنه لم تكن هناك جدران مرتفعة لكن كان سياج من قصب أو جدار صغير من لبن على أكثر تقدير[2]، وقد حدد المؤرخ الطبري موقع مسجد الكوفة بقوله:- ((فأول شيء خط في الكوفة وبني حين عزموا على بناء المسجد، فوضع في موضع أصحاب الصابون والتمارين من السوق))[3]، وكان المسجد يتسع لأربعين ألف نسمة في العصر الراشدي، ثم أصبح يتسع لستين في العصر الأموي، وقد حدد برمية سهم لرام، وأبعادها ((الغلوة)) وهي: تقدر برمية سهم[4]، ويقول الطبري: ((فترك المسجد في مربعة غلوة من كل جوانبه، وبني ظلة في مقدمه، ليست لها مجنبات ولا مواخير))[5].

وبنيت في مدينة الكوفة مساجد أخرى لبطون القبائل، قد اكتسب بعضها صفة القدسية كمسجد السهلة، وهو مسجد القرى لعبد القيس ومسجد جعفى نسبة لجابر بن يزيد الجعفي المذحجي، ومسجد غني، وهو لرجل مؤمن من القيسيين ومسجد الحمراء، وهم جماعة قد تحالف مع قبيلة عبد القيس، وفي الكوفة مساجد أخرى قد اتخذت مكانا للتآمر والدسائس والتي أطلق عليها لفظ (الملعونة) وهي أربعة: مسجد ثقيف، ومسجد الأشعث، ومسجد جرير بن عبد الله البجلي، ومسجد سماك بن مخرمة الهالكي الأسدي[6].

---

(١) الطبري: التاريخ ٤/ ٤٧.

(٢) هشام جعيط: الكوفة نشأة المدينة، ص٩٩.

(٣) الطبري: التاريخ ٤/ ٤٤.

(٤) ابن منظور: لسان العرب ١٣٢/١٥.

(٥) الطبري: التاريخ، ٤/ ٤٤.

(٦) ماسنيون: خطط الكوفة ص١١٧، ص١١٨.

الخطط الإدارية:

اختط العرب المسلمون دار الإمارة بعد المسجد الجامع في الكوفة ويقع في جهته القبلية، ومن جهة الجنوب الشرقي، وقد حدده المؤرخ الطبري بقوله:- ((وبنوا لسعد بن أبي وقاص داراً بحيال مسجد الكوفة بينهما طريق منقب مائتي ذارع، وجعل فيها بيوت الأموال، وهي قصر الكوفة اليوم))(1)، ولما تعرض بيت المال للسرقة اثر ثقب احدث في جداره، كتب سعد إلى عمر بن الخطاب واصفاً له موضع الدار وبيت المال فأجابه بما يلي:- ((أن انقل المسجد حتى تضعه إلى جنب الدار قبلته فان للمسجد أهلاً بالنهار والليل وفيهم حصن لمالهم))(2)، ولم يكن عمر راضياً على إجراءات سعد الإدارية بعد بنائه قصر الإمارة والذي أطلق عليه أيضاً لفظ (قصر سعد) لأنه جعل بينه وبين الناس باباً فكتب إليه قائلاً:- ((بلغني أنك بنيت قصراً واتخذته حصناً ويسمى قصر سعد وجعلت بينك وبين الناس باباً فليس بقصرك ولكنه قصر الخبال، أنزل منه منزلاً مما يلي بيوت الأموال وأغلقه، ولا تجعل على القصر باباً تمنع الناس من دخوله وتنفيهم به عن حقوقهم، ليوافقوا مجلسك ومخرجك من دارك إذا خرجت))(3)، وأطلق الإمام علي عليه السلام على قصر الإمارة لفظ ((قصر الخبال)) عند دخوله مدينة الكوفة في ١٢رجب ٣٦هـ فقيل له أي القصرين نترك ؟ قال: قصر الخبال لا تنزلونيه(4)، وقد أراد عليه السلام النزول في الرحبة(5)، وتقع الرحبة في الجهة الغربية من دار الإمارة وقد عرفت فيما بعد باسم ((رحبة علي))(6)، وبعد تأسيس الدولة الأموية عام ٤١هـ، اتخذ ولاتها قصر

(١) الطبري: التاريخ، ٤٥/٤.

(٢) م.ن ٤٦/٤.

(٣) م. ن ٤٧/٤، البلاذري، فتوح البلدان، ص٢٧٧.

(٤) نصر بن مزاحم: وقعة صفين، ص٦.

(٥) الدينوري: الأخبار الطوال ص١٥٢.

(٦) اليعقوبي: البلدان ص٧٥.

الإمارة مقراً لهم حتى عام ٧١هـ حيث أمر عبد الملك بن مروان بهدم الطاق الذي وضع تحته رأس مصعب بن الزبير، ومن الثابت أن هذا الطاق قد وضع تحته رأس الحسين عليه السلام، ورأس عبيد الله بن زياد، ورأس المختار بن أبي عبيد الثقفي، ورأس مصعب بن الزبير، فقال عبد الملك بن عمير: وأنا أعيذ أمير المؤمنين من شر هذا المجلس فارتعد عبد الملك فقام من فوره وأمر بهدمه[١].

الخطط الاقتصادية:

بنيت في مدينة الكوفة دار الرزق وهو مخزن كبير لحفظ أموال الصدقات أو الغنائم قبل توزيعها بين المقاتلة وقد جدد بناء الدار عدة مرات وذلك لارتباطها الإداري بالولاة، ولأهميتها الاقتصادية ويبدو أن دار الرزق تقع على بعد من مسجد الكوفة وقصر الإمارة وقد جعلها المستشرق (ماسنيون) عند مخرج الجسر المنصوب على نهر الفرات، فيقول:- وبعد تأسيس دار الرزق نصبت سلسلة على رأس الجسر مقام مركز الكمرك على عهد الساسانيين بالقرب من المشنقة التي صلب عليها أبو الخطاب (محمد بن مقلاص الأسدي)[٢]، أما الأسواق فأنها كانت تمتد من قصر الإمارة ومسجد الكوفة إلى دار الوليد بن عقبة من جهة، والقلائين من الجهة الأخرى، إلى منازل ثقيف وأشجع من الجانب الآخر، وكانت سقوف الأسواق في بادئ الأمر من الحصر، وظلت كذلك حتى زمن الوالي خالد بن عبد الله القسري، حيث عقدت بالأحجار[٣]، وكانت أسواق الكوفة مخصصة للمهن المعروفة والصناعات التي اشتهرت في المدينة وهي[٤]:

١- سوق الصاغة، وتقع محالهم في جنوب المسجد.

٢- سوق الخز والقصارين، وتقع محالهم في أطراف دار الوليد.

---

(١) المسعودي: مروج الذهب ١١٧/٣، سبط ابن الجوزي: تذكرة الخواص، ص١٤٨.

(٢) ماسنيون: خطط الكوفة ص٩٣.

(٣) ماسنيون: خطط الكوفة ص٩٥.

(٤) م. ن: ص١٠٤- ص١٠٥.

٣- سوق الحدادين، وتقع محالهم في غرب المدينة.
٤- سوق القلائين، يقع على امتداد الكناسة.
٥- البقالون وباعة التمر.
٦- باعة الصابون.
٧- سوق السراجين، وهو على مقربة من سوق القصارين.
٨- الصيارفة، وتقع محالهم بالقرب من المسجد في جهة القبلة.
٩- الوراقون، وتقع محالهم في شمال المسجد.
١٠- أصحاب الأنماط.
١١- الجزارون.
١٢- الحناطون.
١٣- السواقون، وهم باعة السويق، وهو طحين الشعير.
١٤- باعة الأزهار كالبنفسج والزئبق الأبيض.
١٥- سوق الغنم ويقع إلى شرق الكناسة.

واشتهرت مدينة الكوفة بصناعة الوشي والخز والعمائم والمناديل والسيوف والرماح والخزف والدهان، ويقول أين الفقيه: إن للكوفة مكانة في صناعة النسيج منذ تأسيسها حتى العصر العباسي(١).

وفي مدينة الكوفة خطتان لهما في الحياة التجارية والاقتصادية موقع مهم هما: الأري والكناسة، ويطلق لفظ ((الأري، على المساحة الكبيرة المخصصة للخيل، ويقول اليعقوبي: هو فضاء كانت فيه خيل المسلمين))(٢).

أما الكناسة فأنها تمتد من قصر الإمارة ومسجد الكوفة إلى دار الوليد بن عقبة من جهة، وإلى القلائين ودور ثقيف وأشجع من الجهة الأخرى.(٣)

---

(١) ابن الفقيه: مختصر كتاب البلدان ص٢٥٢.
(٢) اليعقوبي: البلدان، ص٣١٠.
(٣) اليعقوبي: البلدان، ص٣١١.

أما الكناسة، فقد كانت لبني أسد، ترمى فيها الأنقاض، ثم أصبحت تجارة للنقليات ومناخة للإبل، وموضعاً لتحميل البضائع وتفريغها، ويقع إلى جنب الكناسة ((سوق الحدادين)) وعلى شرقها ((سوق الغنم))(١).

وقد سكن الكناسة عدد من القبائل، لهم فيها مساجد بأسمائهم، وعلى العموم إن أسواق مدينة الكوفة تشكل عنصراً أساسياً في المساحة المركزية إلى جانب الرحبة(٢).

الخطط الاجتماعية:

تعد الخطط القبلية في مدينة الكوفة أول مظاهر التحول الاجتماعي لهذه القبائل حيث حددت مناطق معينة لسكناهم، وكانت خطة كندة في مقدمة الخطط القبلية، وكان أهل اليمن أثنى عشر ألفاً، ونزار ثمانية آلاف غير إن سكان الكوفة سرعان ما ازداد من عشرين ألفاً إلى أربعين يضاف لهم تسعة عشر ألفاً ممن أدرك (الولادات) وازداد عدد سكانها حسب إحصاء أجراه زياد بن أبيه بين (٤٥-٥٣هـ) فبلغ عدد المقاتلة في العطاء ستين ألفا وعيالاتهم ثمانين ألفاً، وهذه الإحصائيات تتعلق بالجند غير أن الإحصاء الشامل ورد عن بشر بن عبد الوهاب القرشي وحسب روايته كان في الكوفة خمسون ألف دار للعرب من ربيعة ومضر، وستة وثلاثون ألف دار لليمن وعشرون ألف دار لسائر العرب، ولاشك إن هذا الإحصاء متأخر لأن بشر بن عبد الوهاب قد توفي عام ٢٥٤هـ، غير أنه يعكس لنا النمو المستمر للمدينة وتبقى الإحصائيات لا تعكس صورة دقيقه للموقع فهي لم تذكر الموالي وغير المسلمين والذين لدينا عنهم معلومات كثيرة في القرن الأول الهجري على الأقل(٣).

---

(١) ماسنيون: خطط الكوفة ص١٢٤- ص١٢٥.

(٢) هشام جعيط: الكوفة نشأة المدينة ص١١٢.

(٣) نزار الحديثي: (ملاحظات أولية عن مدرسة العلم في الكوفة) مجلة الكوفة، المجلد الخامس، العدد الأول، ٢٠٠١، ص٣٠.

وقد خطت الكوفة وفق نظام الأسباع، وكان الغرض منه أحكام الأشراف على القبائل وتنظيم العطاء، وكانت منازل الصحابة تتركز حول المسجد، وكانت من القصب ثم بنيت من اللبن، وقد حددت المصادر إحدى وعشرين خطة قبلية في الكوفة وهي(١):

١- سليم.
٢- ثقيف.
٣- همدان.
٤- بجيلة.
٥- تيم الات.
٦- تغلب.
٧- أسد.
٨- النخع.
٩- كندة.
١٠- الازد.
١١- مزينة.
١٢- تميم.
١٣- محارب.
١٤ - عامر.
١٥ - جديلة.
١٦ - جهينة.
١٧ - عبس.
١٨ - قيس.
١٩ - بكر.
٢٠ - طيء.
٢١- اشجع.

ويقول الأستاذ ماسنيون: إن أول المساكن بنيت في الكوفة في محلة كندة وهي منازل مراد، والخزرج من الأنصار الذين كانوا قد سكنوا مع كندة في محلة واحدة عقب تحالفهم معها(٢)، وكان لكل سبع من أسباع الكوفة أمير، وهو الوسيط بين السلطة والقبيلة، وقد أقر الإمام علي عليه السلام هذه الأسباع في فترة خلافته وهي(٣):

١- صارت كنانة وحلفاؤها من الاحابيش وغيرهم، وجديلة هم بنو عمر بن قيس عيلان سبعاً.
٢- صارت قضاعة ومنهم غسان شبام، وبجيلة وخثم وكندة وحضرموت والازد سبعاً.
٣- صارت مذحج وحمير وهمدان وحلفاؤهم سبعاً.

---

(١) اليعقوبي: البلدان ص٣١٠- ص٣١١، الطبري: التاريخ ١٩٢/٤.
(٢) ماسنيون: خطط الكوفة ص٣٨- ص٤٠.
(٣) الطبري: التاريخ ١٩٤/٤.

٤- صارت تميم وسائر الرباب وهوازن سبعاً.
٥- صارت أسد وغطفان ومحارب والنمر وضبة وتغلب سبعاً.
٦- صارت أياد وعك وعبد القيس وأهل هجر والحمراء سبعاً.
٧- صارت طيىء سبعاً.

وتعد الأسباع هذه مجمعات سكنية وفق القيادات القبلية، وتفصل بين هذه الأقسام السبعة طرق رئيسية تسمى بالمناهج، وكان عددها حين تمصير الكوفة خمسة عشر منهجاً وهي التي أقطعها سعد بن أبي وقاص للقبائل المختلفة، وهذه المناهج قد اختطت من المسجد باعتباره مركزاً لها[١]، والقيادات لهذه الأسباع هي[٢]:

١- قيس وعبد القيس بقيادة سعد بن مسعود الثقفي.
٢- تميم وضبة والرباب وقريش وكنانة وأسد بقيادة معقل بن قيس اليربوعي.
٣- الازد وبجيلة وخثعم والأنصار وخزاعة بقيادة مخنف بن سليم.
٤- كندة وحضرموت وقضاعة ومهرة بقيادة حجر بن عدي الكندي.
٥- مذحج والاشعريون بقيادة زياد بن النصر.
٦- همدان وحمير بقيادة سعيد بن قيس بن مرة الهمداني.
٧- طيء بقيادة عدي بن حاتم الطائي.

ولما ولي زياد بن أبيه ولاية الكوفة في عهد معاوية بن أبي سفيان خطط مدينة الكوفة إلى أرباع هي[٣]:

١- أهل المدينة ربعاً وعليها عمرو بن حريث.
٢- تميم وهمدان ربعاً وعليها خالد بن عرفطة.
٣- ربيعة ربعاً وعليها قيس بن الوليد.
٤- مذحج وأسد ربعاً وعليها أبو بردة بن أبي موسى الاشعري.

---

(١) الموسوي: العوامل التاريخية لنشأة وتطور المدن ص٢٢٩.
(٢) نصر بن مزاحم: واقعة صفين ص١١٧.
(٣) الطبري: التاريخ ١٠٥/٦.

وكان غرض زياد بن أبيه من هذا التحول الإداري في الكوفة ضم كل ربع في هذه الأرباع إلى مجموعات قبلية متباينة، ولا ينسجم بعضها بعضاً من ناحية النسبة[1]، أما التوزيع الجغرافي للقبائل العربية في مدينة الكوفة كان على النحو الآتي[2]:

١- جهة الشمال (من الشرق إلى الغرب) وقد سكنتها قبائل سليم وثقيف وهمدان وبجيلة وتميم اللات وتغلب.

٢- جهة الجنوب (من الشرق إلى الغرب) وسكنتها قبائل الازد وكندة والنخع وأسد.

٣- جهة الشرق (من الشمال إلى الجنوب) وسكنتها قبائل الأنصار ومزينة وتميم ومحارب وأسد وعامر.

٤- جهة الغرب (من الشمال إلى الجنوب) وسكنتها قبائل بجيلة وجديلة وجهينة.

وكانت بين أفنية البيوت ((رحب ومفردها رحبة، وهي ظاهرة خططية تتمثل في ترك فضاء ما أمام البنايات العمومية، وهي توحي بالاتساع حيث تستوعب عدداً كبيراً من الناس، وقد اختطت كل قبيلة مع رئيسها جبانة))[3]، وقد أشارت المصادر إلى جبانات الكوفة وتحديد مواضعها وهي[4]:

١- جنابة كندة وتقع في الجنوب.

٢- جبانة السبيع، وقد ورد ذكرها في شعر المتنبي.

٣- جبانة بشر وتقع في الشمال وهي لقبيلة طيء.

٤- جبانة خثعم.

٥- جبانة مراد في الجنوب وتقع في خطة مذحج.

٦- جبانة عثير الاسدي وكانت لقبيلة عبس.

---

(١) ناجي حسن: القبائل العربية في المشرق ص٨٥.

(٢) هشام جعيط: الكوفة نشأة المدينة ص١٢٨- ص١٢٩.

(٣) اليعقوبي: البلدان ص٣١٠.

(٤) البراقي: تاريخ الكوفة، ص١٤٣.

٧- جبانة مخنف بن سليم الازدي.
٨- جبانة الصائديين في الجنوب الشرقي.
٩- جبانة سليم وهي لبني سلول.
١٠- جبانة سالم وهي لبني عامر من قيس.
١١- جبانة عرزم الفزاري.

وتعبر جنابات الكوفة عن الوجود القبلي، وبفضل عددها وتعدد وظائفها وما كان لها من دور اجتماعي وعسكري وسياسي[١]، وكانت لمدينة الكوفة جبانة كبرى تدعى ((الثوية)) وتقع في ظهر الكوفة[٢]، وباتجاه مدينة النجف الأشرف، إذ يطلق على المنطقة الواقعة غرب خندق الكوفة بالظهر، فالجزء الأول منه، وهو الملاصق لمدينة الكوفة يسمى ((الثوية)) والجزء الآخر يسمى ((الغري)) ويمكننا القول إن الثوية هي امتداد طولي يبدأ من الخندق وينتهي بمدينة النجف الأشرف [٣]، وتضم الثوية مقابر لقبائل الكوفة وقد دفن فيها عدد من الصحابة والتابعين، ومن المحتمل إن الفضاء الصحراوي الواسع والواقع غرب خندق الكوفة قد امتلكته قبائل عربية معروفة في الكوفة وقد أطلق عليه لفظ ((الصحاري)) كما مبين أدناه[٤]:

١- صحراء شبث وهي لبني تميم.
٢- صحراء البردخت وهي لبني ضبة.
٣- صحراء بني قرار وهي لبني ضبة أيضاً.
٤- صحراء عبد القيس وهي لبني ربيعة.
٥- صحراء بني عامر وهي لعامر بن صعصعة.

---

(١) هشام جعيط: الكوفة نشأة المدينة ص٣٠٤- ص٣٠٥.

(٢) ابن خلكان: وفيات الأعيان، ٥٠٦/٢.

(٣) حسن الحكيم: (الثوية موقعها وتاريخها) مجلة كلية الفقه، العدد الثاني ١٤٠٣هـ/١٩٨٣م، ص١١٣-ص١٣٤.

(٤) البراقي: التاريخ الكوفة، ص١٤٤.

٦- صحراء عثير.
٧- صحراء أم سلمة.
٨- صحراء سالم.
٩- صحراء عرزم.
١٠- صحراء أثير.

ويذهب السيد البراقي إلى إن الصحاري هذه عبارة عن قطاعات تتعلق برحاب وسطحها دور وإقطاع[١]، وقد أخذت خطط الكوفة في التدهور والضمور من نهاية القرن الثاني للهجرة، الثامن للميلاد، وذلك لانتقال الخلافة العباسية إلى مدينة بغداد ومعها انتقل كثير من العلماء والأدباء والمفكرين إلى بغداد، وتزامن مع هذا الحدث بروز المرقد العلوي الشريف في عهد هارون الرشيد، وأخذت مدينة النجف الاشرف تبرز كحاضرة إسلامية جديدة، وقد ساعد اقترابها من الكوفة إلى هجرة الناس إليها وفي مقدمتهم العلويون الذين أشرفوا على رعاية المرقد الشريف، ولم يبق في الكوفة من خططها ما يقاوم عوادي الزمن سوى مسجدها الكبير، وقد وصف ابن جبير مدينة الكوفة عام ٥٨٠هـ بقوله: ((هي مدينة كبيرة عتيقة البناء، قد استولى الخراب على أكثرها، فالضامر منها أكثر من العامر، ومن أسباب خرابها قبيلة خفاجة المجاورة لها، فهي لا تزال تضر بها، وكفاك بتعاقب الأيام والليالي محيياً ومغنياً، وبناء هذه المدينة بالأجر خاصة، ولا سور لها، والجامع العتيق آخرها مما يلي شرقي البلد، ولا عمارة تصل به من جهة الشرق))[٢]، وأخذت هذه الحالة في التدهور وقد صورها الرحالة الأوربيون بادق وصف، فيقول السيروليس بدج عند زيادته للكوفة عام ١٨٩٠- ١٨٩١م: ((كانت حالة البليدة تاعسة وبيوتها متداعية، كما إن الأرض المحيطة بها لا تعود أن تكون بلقعاً خراباً))[٣]، ووصفت غرترود لا ثيان بيل الكوفة بقولها: ((وهي الآن قرية

(١) البراقي: التاريخ الكوفة، ص١٤٤.
(٢) ابن جبير: الرحلة ص١٦٧- ص١٦٨.
(٣) وليس بدج: رحلات إلى العراق ٢/١٧٧.

صغيرة بائسة تتخذ شكلاً عنقودياً حول الجامع الكبير))[1]، وذلك في العقد الأول من القرن العشرين.

(١) طارق الحمداني: (نشوء مدينة الكوفة الحديثة وتطورها) مجلة الكوفة، المجلد الخامس، العدد الأول ٢٠٠١م، ص٩١.

تمصير الكوفة بين الإنسان و الأرض

تأسست مدينة الكوفة عام ١٧هـ/٦٣٨م لتكون معسكراً ثابتاً للجيش العربي الإسلامي الذي تولى مهمة تحرير ارض السواد من السيطرة الفارسية، ولذا أطلق عليها لفظ ((كوفة الجند))[١]، وقد اختير موقع الكوفة ليكون نقطة ارتكاز يستريح عندها الجند من عناء السفر وعناء القتال، ومن ثم أصبحت معسكراً ثابتاً[٢]، ويذهب كثير من الباحثين على إن اختيار موقع الكوفة يعود إلى العامل العسكري، دون الوقوف على العوامل الأخرى، ويقول ابن قتيبة: إن المدائن لا تبنى إلا على ثلاثة أشياء هي[٣]:

١- على الماء.

٢- على الكلأ.

٣- على المحتطب.

ولم يتخط ابن قتيبة العامل الاقتصادي لنشأة المدن، كما لم يتخط غيره العامل العسكري، ولكن لدى التتبع في النصوص و المصادر نجد إن مدينة الكوفة قد أسست وخططت وفق عدة عوامل فيها، وتضافرت عند نشأتها وهي:

١- العامل العسكري.

٢- العامل الجغرافي.

٣- العامل التاريخي.

٤- العامل الفكري.

٥- العامل الاجتماعي.

٦- العامل الاقتصادي.

---

(١) ياقوت: معجم البلدان ٤/٤٩١.

(٢) الموسوي: العوامل التاريخية لنشأة وتطور المدن ص٨٣.

(٣) ابن قتيبة: عيون الأخبار ١/٢١٣.

وتتفاوت أهمية هذه العوامل عند تأسيس الكوفة، ويتداخل بعضها بالبعض الآخر ويتقدم العامل العسكري على بقية العوامل فقد كانت الضرورة العسكرية أن تكون الكوفة ((دار هجرة ومنزل جهاد))، وبخاصة بعد موقعة العرب الفاصلة مع الفرس في يوم القادسية عام ١٥هـ/٦٣٦م. فنزلها القائد العربي سعد بن أبي وقاص، وخطها خططا لقبائل العرب، وابتنى بها دارا[١]، وذلك تنفيذاً لأوامر الخلافة بأن يكون للمسلمين ((دار هجرة وقيروان))، ونجد في هذين المفردتين سمات العسكرية الخالصة، فالهجرة في معناها الخروج من ارض إلى ارض، وان كل من فارق بلده من بدوي أو حضري وسكن بلداً آخر فهو مهاجر[٢]، وقد أريد بدار الهجرة في العصر الراشدي (١١- ٤٠هـ) مركز القتال، وهو المكان الذي يرابط فيه الجند، أما ((القيروان)) فهو يعني الجماعة من الخيل، ومعظم الكتيبة[٣]، ويقول ابن منظور: إن القيروان معظم الكتيبة والقافلة من الجماعة[٤]، وقد أكد عمر بن الخطاب برسالة أرسلها إلى سعد بن أبي وقاص على الجانب العسكري بان يتخذ المسلمون الكوفة دار هجرة وقيروانا[٥]، ولذا أطلق على المرابطين على خطوط القتال لفظ ((المقاتلة)) ويلتقي العامل العسكري لتأسيس مدينة الكوفة بالعامل الجغرافي، ويلتحم معه بصورة متكاملة، فان الجند الزاحفين من شبه الجزيرة العربية من ارض السواد قد اخترقوا جرفا صحراويا، وحطوا ركابهم في موضع يواجه الصحراء ولم تكن بيئة الكوفة بعيدة عن بيئة الجزيرة العربية أو تفصلها حواجز طبيعية أو معابر معقدة، وهذه البيئة الجديدة سوف تحفظ للجيش حيويته وقوته، تعينه على المضي في الرسالة الكبرى التي

(١) ابن سعد: الطبقات الكبرى ٦/ ١٢.

(٢) ابن منظور: لسان العرب مادة هجر.

(٣) الفيروز آبادي: القاموس المحيط ((مادة قرن)).

(٤) ابن منظور: لسان العرب ((مادة قرن))، ينظر الزبيدي: تاج العروس ٥٠١/١٣

(٥) البلاذري: فتوح البلدان ص٢٧٤.

غادر العرب صحراءهم من اجلها، وهي الجهاد في سبيل الله[1]، وأعطى موقع الكوفة المتميز عنصر القوة و المنعة، فهي تتربع على كتفين: الصحراء من جانب، والمياه من جانب، وأصبح هذا الموقع نقطة جذب سكاني ساعد الكوفة إن تكون فيما بعد ذات مكانة علمية وسياسية. ولم يكن موقع الكوفة بعيداً عن مدينة الحيرة عاصمة المناذرة اللخميين تلك المدينة التي تربعت على سواحل بحر النجف، وارتبطت بريف العراق وسواده بروابط وثيقة وكانت مسالكها تصل إلى الجزيرة العربية والشام بسهولة ويسر، وقد أعطى البعد التاريخي لهذه المنطقة أهمية امتدت إلى الكوفة فأصبحت الوريث التاريخي لمدينة الكوفة[2]، فقد كانت الحيرة و الكوفة قد نشأتا في بيئة عربية خالصة بعيدة عن المؤثرات الأجنبية. فقد استوطن العرب المسلمون مدينة الكوفة عند تأسيسها، واتجه إليها سكان الحيرة بعد ذلك، فالجذر السكاني للكوفة يعود إلى قبائل عربية حجازية أو قبائل عربية حيرية، ولم يكن أهالي الحيرة بعيدين عن البادية، فهم على اتصال دائم بشبة الجزيرة العربية، ومحطة للقوافل التجارية[3]، وقد ساعدت هذه الخصائص التي تميزت بها مدينة الحيرة في رفد مدينة الكوفة بما تمتلك من تراث فكري وحضاري، ومن تجمع سكاني ساهم في تخطيط الكوفة وفق الأصول القبلية ومما حمل هؤلاء من تراث فكري قد امتدت جذوره إلى حقبة بعيدة من الزمن. فقد كانت الحيرة قد اعتنقت المسيحية بعد وثنية امتدت مدة من الزمن وأصبح للسريان والكنيسة النسطورية موقع بارز في ثقافة الحيرة، وهذا ما جعل للثقافة الإغريقية اتصالا وثيقا بالحيريين[4]، وكانت الكنيسة النسطورية تستعمل اللغة السريانية، ومنها نفذوا إلى

(١) يوسف خليف: حياة الشعر في الكوفة ص٢٣.

(٢) يوسف خليف: حياة الشعر في الكوفة ص٢٣٢.

(٣) IRFAN- ''AL-HIRA'' ,E.١٢,Leiden,١٩٨٦.Vol.lll, pp.٤٠٢-٤٦٣

.SHAHIP عوض عبد الكريم: إسهامات علماء الكوفة ص١٧.

(٤) يوسف خليف: حياة الشعر في الكوفة ص٢٣٣ نقلا عن:Arabid before

O' Muhamad,p.١٣٥:Leary

اخذ الكثير من الثقافة الإغريقية[1]، ويقول الدكتور يوسف خليف: إن اللغة اليونانية كانت تدرس إلى جانب اللغة السريانية في الأديرة المسيحية[2]، وقد أوجدت هذه الثقافة في حياة الحيريين بعدا فكريا كبيرا، فقد سئل الصحابي عبد الله بن عباس رضي الله عنه : معاشر قريش من أين أخذتم هذا الكتاب العربي قبل أن يبعث محمد صلى الله عليه وآله وسلم ، تجمعون منه ما اجمع، وتفرقون منه ما افرق مثل الألف واللام ؟ قال: أخذناه من حرب بن أمية. قال: فممن أخذها حرب؟ قال: من عبد الله بن جوعان، قال فممن أخذها ابن جوعان ؟ قال: من أهل الانبار، قال: فممن أخذه أهل الانبار؟ قال: من أهل الحيرة[3]، وكانت مدينة الحيرة أحدى المدن الخمس التي كانت تدرس الفلسفة اليونانية إلى جانب الرها ونصيبين وحران وجند يسابور[4]، وقد ترعرع في ارض الحيرة الشعر العربي، فأنشدت القصائد في بلاط المناذرة، وتغنى الشعراء في القصور والأديرة، وتباروا في المجالس الأدبية، ومن هذه الأرض كانت الجماعة العربية تولي اللغة والأدب عنايتها، وكانت تقول الشعر، وكانت تستمع إلى الشعر الذي يأتيها من الجزيرة، وكانت تنتج أدبا، وكانت تعتز بهذا الأدب، وكانت فوق ذلك تهتم بجمع هذا الشعر وتسجله وتحفظه في قصور الأمراء[5]، وقد احتفظ النعمان بن المنذر بديوان من الشعر العربي، مدح فيه الشعراء ملك الحيرة وأهل بيته[6]، وبقي هذا الخزين من الشعر يتردد على السنة الكوفيين بعد انهيار دوله المناذرة في الحيرة، ففي عام ٦٦هـ، كشف المختار بن أبي عبيد الثقفي عن هذا الخزين فوجد فيه كنوز العرب

(١) احمد أمين: فجر الإسلام ٢٨- ٢٩.

(٢) يوسف خليف: حياة الشعر في الكوفة ص٢٣٤.

(٣) السيوطي: المزهر في علوم اللغة وأنواعها ٣٤٩/٢.

(٤) جلال شمس الدين: التحليل اللغوي عند الكوفيين ص٧- ٨، عوض عبد الكريم: إسهامات علماء الكوفة ص١٧.

(٥) شكري فيصل: المجتمعات الإسلامية في القرن الأول ص١٠٧.

(٦) ابن قتيبة: طبقات الشعراء ص١٠ (ليدن).

الأدبية[١]، ويقول ابن جني: إن هذه الكنوز وجدت في القصر الأبيض – وهو احد القصور الواقعة على جرف بحر النجف – وذلك في عهد النعمان بن المنذر[٢]، ومن الثابت إن مدينة الكوفة قد خططت على مقربة من مركز فكري حيري يسمى"عاقولا"قد اتخذه السريان معقلا لهم، وأصبح له شان علمي بعد تمصير الكوفة، ويقول السيد حسين البراقي النجفي: إن الكوفة من أساريرها خد العذراء ذلك النشر الذي ازدهر فيه الأدب العربي أيام الحيرة، وعلى عهد المناذرة[٣]، وقد ذهب بعض الباحثين إلى إن الخط الكوفي تمتد جذوره إلى الخط الحيري، فقد كان السريان يكتبون بالخط"السطرنجيلي"الذي هو جزء من الخط السرياني، الذي تكتب فيه الأسفار النصرانية، ويقال إن السريان والكنيسة النسطورية كانوا على اتصال وثيق بالثقافة الاغريقية، ومن الظن إن عرب الحيرة قد عرفوا الكتابة السريانية[٤]، وبعد أن مصرت الكوفة عام ١٧هـ أخذت اللغة العربية تكتسح لغة الكتابيين من أهل الذمة، واخذ الدين الإسلامي ينتشر في ربوع بلاد الرافدين وارض السواد وقد أشار عمر بن الخطاب إلى ذلك بقوله: إن أهل الكوفة هم رأس أهل الإسلام أو رأس العرب، ويقول: إن الكوفة رمح الله وكنز الإيمان وجمجمة العرب يجزون ثغورهم ويمدون الأمصار[٥]، ويذكر المؤرخ الطبري حديثا لعمر بن الخطاب عن الكوفيين فيه: ((جزى الله أهل الكوفة خيرا يكفون حوزتهم، ويمدون أهل الأمصار))[٦]، وقد تعانق الفكر في الكوفة مع الجهاد في سبيل الله فقد هبط على أرضها سبعون بدريا، وثلاثمائة من أصحاب الشجرة، وهم صحابة رسول الله ﷺ، الأوائل، وفي مقدمتهم الصحابيان الجليلان عمار

---

(١) البراقي: تاريخ الكوفة ص١٤٩.

(٢) ابن جني: الخصائص ٣٨٧/١.

(٣) البراقي: تاريخ الكوفة ص١٤٩.

(٤) يوسف خليف: حياة الشعر في الكوفة ص٢٣٣.

(٥) ابن سعد: الطبقات الكبرى ٥/٦.

(٦) الطبري: التاريخ ٥٢/٤.

بن ياسر، وعبد الله بن مسعود، وقد قال فيهما عمر بن الخطاب في رسالة بعثها لأهل الكوفة: ((هما النجباء من أهل بدر خذوا عنهما، واقتدوا بهما، وقد أثرتكم بعبد الله بن مسعود على نفسي))[1]، وفي نص آخر جاء فيه: ((أما بعد فاني بعثت إليكم عمارا أميرا وعبد الله معلما ووزيرا، وهما النجباء من أصحاب رسول الله ﷺ فاسمعوا لهما، واقتدوا بهما، واني أثرتكم بعبد الله على نفسي أثرة))[2]، وأطلق على الذين التفوا حوله لفظ ((سرج الكوفة))[3] وكان هؤلاء الصحابة النازلين في ارض الكوفة نواة مدرستها العلمية، والتي أخذت في الاتساع عندما اتخذها أمير البلاغة والبيان الإمام علي عليه السلام عاصمة للمسلمين (٣٦-٤٠هـ). وقد ألقى في مسجدها الكبير قسما من خطبه البليغة التي ضمها كتابه الخالد ((نهج البلاغة)) تلك الخطب التي تعد من روائع الأدب العربي، والفكر الإسلامي وقد أشار عليه السلام للكوفة بقوله: ((الكوفة جمجمة الإسلام، وكنز الإيمان، وسيف الله ورمحه يضعه حيث يشاء، وايم الله لينصرن الله بأهلها من مشارق الأرض و مغاربها كما انتصر بالحجارة)) وقد أراد عليه السلام بذلك ((حجارة السجيل)) التي حملها طير الأبابيل، وأمطر بها الأحباش عندما غزوا الكعبة، فجعلتهم كعصف ماكول، ويقول عليه السلام: ((والله إن الكوفة للهجرة بعد الهجرة، وأنها لقبة الإسلام))[4]، وأصبحت الكوفة مدرسة علمية تناظر شقيقتها مدرسة البصرة، وامتد شعاعها فيما بعد إلى النجف الاشرف، وبغداد، والشام، والأندلس، ومصر، وبلاد المشرق. وقد حمل لواء مدرستها الصحابة الكرام، والتابعون الأجلاء، بحيث أصبح لكل صحابي مدرسة من التابعين تأخذ عنه، وتلتف حوله[5]، فأصبح لتفسير القرآن الكريم مدرسة، وللحديث الشريف

---

(١) ابن سعد: الطبقات الكبرى ٩٣/٦.

(٢) ابن سعد: الطبقات الكبرى ١١/٦- ١٤.

(٣) النووي: تهذيب الأسماء واللغات ٨٨/٦.

(٤) ابن سعد: الطبقات الكبرى ٦/٦، الطبري: التاريخ ٥٩/٤.

(٥) يوسف خليف: حياة الشعر في الكوفة ص١٨٧.

مدرسة وللفقه الإسلامي مدرسة، وللغة العربية مدرسة، وللعلوم الأخرى مدارس، فتعقد في مسجد الكوفة المناظرات، وتتعاظم المحاججات، ويلتف الدارسون حلقات حول شيوخهم، وكان لهم دوي كدوي النحل، ومثال ذلك ما حصل بين الكميت بن زيد، وحماد الراوية من مناظرة حول أشعار العرب وأيامها، فقال الكميت لحماد: أتظن انك اعلم مني بأيام العرب وأشعارها؟ فقال حماد: هذا هو اليقين. فغضب الكميت، ومازال يناقشه ويسأله حتى أفحمه[1]، وكان إبراهيم النخعي (فقيه الكوفة) في عصره يتحدث عن المرجئة، ويحذر الناس منهم[2]، وأصبح للكوفيين في فن المناظرة والجدل مقام معروف، فذكر ابن الفقيه: إن الحسن بن زيد قال في مناظرة بين ابن عياش الكوفي، وأبي بكر الهذلي البصري: يا أبا بكر لا تغالب أهل الكوفة ولا تفاخرهم فإنهم أكثر فقهاء وأشرافا منكم[3]، وكان بين الكوفة والبصرة خصام فكري، وتبادل علمي ساعد على بلورة الفكر العربي الإسلامي فكان الكسائي والفراء والقاسم بن سلام، من أعلام الكوفة البارزين في النحو، قد ذهبوا للبصرة للمناظرة أو الاستماع لعلمائها، واستقطبت الكوفة في أثناء مكوث الإمام جعفر بن محمد الصادق عليه السلام فيها، علماء الحجاز والبصرة وواسط إليها، وكان الفقيهان الكبيران، أبو حنيفة النعمان بن ثابت (ت١٥٠هـ)، ومالك بن انس (ت١٧٩هـ) قد تتلمذا على الإمام الصادق عليه السلام، واليه أشار أبو حنيفة: ((ما رأيت افقه من جعفر بن محمد))[4]، ويقول مالك بن انس: ((جعفر بن محمد اختلفت إليه زمانا. فما كان أراه إلا على احد ثلاث خصال: أما مصل وأما صائم، وأما يقرأ القران، وما رأت عين ولا سمعت أذن ولا خطر على قلب بشر أفضل من جعفر بن محمد الصادق علما وعبادة وورعا)) ويقول الفقيه عمرو بن المقدام: ((كنت إذا نظرت إلى جعفر بن محمد

---

(١) احمد شلبي: تاريخ التربية الإسلامية ص٩٤.

(٢) ابن سعد: الطبقات الكبرى ٢٧٣/٦- ٢٧٤.

(٣) ابن الفقيه: مختصر كتاب البلدان ص١٦١.

(٤) الذهبي: تذكرة الحفاظ ١٥٧/١.

علمت انه من سلالة النبيين))[1]، وأشار الحسن بن علي الوشاء إلى اثر الإمام الصادق عليه السلام في مدرسة الكوفة بقوله: ((أدركت في هذا المسجد تسعمائة شيخ كل يقول حدثني جعفر بن محمد))[2]، وقد حفظ تلاميذ الإمام الصادق الفكر العربي الإسلامي وتراثه الخالد الكبير، وأبرزهم:

١- أبو حنيفة، النعمان بن ثابت، إمام مدرسة الرأي في العراق.

٢- مالك بن انس، إمام مدرسة الحديث في الحجاز.

٣- أبان بن تغلب صاحب كتاب"معاني القرآن".

٤- المفضل بن عمر، صاحب كتاب"التوحيد".

٥- جابر بن حيان، صاحب كتاب"الكيمياء".

٦- سفيان الثوري، الفقيه الكبير.

٧- هشام بن الحكم، الفيلسوف الكبير.

٨- محمد بن إسحاق، صاحب كتاب"السيرة المغازي".

٩- محمد بن السائب الكلبي، صاحب الأنساب.

أما العامل الاجتماعي في نشأة الكوفة، فانه يتزامن مع العوامل الأخرى التي ذكرناها، فالكوفة اتخذها العرب المسلمون مصرا في الفترة بين ١٧- ٣٦هـ، وعاصمة للخلافة الإسلامية بين ٣٦-٤٠هـ، وعادت مصرا بين ٤١- ١٣٢هـ، واستعادت مركزها الإداري عاصمة للعالم الإسلامي بين ١٣٢- ١٣٦هـ، وبقيت تحتفظ بمركز الولاية في العصر العباسي بعد تأسيس مدينة بغداد. وقد نزلت مدينة الكوفة القبائل العربية المقاتلة، وخططت منازلها بعد تخطيط المسجد، ودار الإمارة فأسهم في أول الأمر بين نزار وأهل اليمن بسهمين، على انه من خرج بسهمه أولاً فله الجانب الأيسر وهو خيرهما، فخرج سهم أهل اليمن، فصارت خططهم في جانب الشرقي.

(١) ابن حجر: تهذيب التهذيب ١٠٤/٢.

(٢) النجاشي: الرجال ص٣١.

وصارت خطط نزار في الجانب الغربي[1]، ثم أخطت كل قبيلة مع رئيسها خطة وهي[2]:

١- سليم.
٢- ثقيف.
٣- همدان.
٤- بجيلة.
٥- تميم الات.
٦- تغلب.
٧- أسد.
٨- النخع.
٩- كنده.
١٠- الازد.
١١- مزينة.
١٢- تميم.
١٣- محارب.
١٤- عامر.
١٥- جديلة.
١٦- جهينة.
١٧- عبس.
١٨- قيس.
١٩- بكر.
٢٠- طيء.
٢١- أشجع.

ويذكر الشعبي: إن عدد من سكن مدينة الكوفة عند تأسيسها عشرون ألفا، اثنا عشر ألفا من اليمن، وثمانية آلاف من نزار[3]، وقد خطت الكوفة وفق نظام الأسباع، وكان الغرض منه أحكام الأشراف على القبائل، وتنظيم العطاء، والأسباع على النحو الآتي[4]:

١- صارت كنانة وحلفاؤها من الاحابيش وغيرهم، وجديلة. هم بنو عمر بن قيس عيلان سبعا.
٢- صارت قضاعة ومنهم غسان شبام، وبجيلة وخثعم وكندة وحضرموت والازد سبعاً.
٣- صارت مذحج وحمير وهمدان وحلفاؤهم سبعاً.
٤- صارت تميم وسائر الرباب وهوزان سبعاً.
٥- صارت أسد وغطفان ومحارب والنمر وضبة وتغلب سبعاً.
٦- صارت إياد وعك وعبد القيس وأهل هجر و الحمراء سبعاً.

---

(١) البلاذري: فتوح البلدان ص٢٨٦.
(٢) اليعقوبي: البلدان ص٣١٠- ص٣١١، الطبري: التاريخ ١٩٢/٤.
(٣) البلاذري: فتوح البلدان ص٢٧٦.
(٤) الطبري: التاريخ ١٩٤/٤.

٧- صارت طيء سبعاً.

وجعل على كل سبع من هذه الأسباع أمير[١]، وهذا يشكل الوسيط بين السلطة وهذه القبائل، وفي حقيقته الأداة التي تستطيع السلطة بواسطته أن تفرض سلطانها على تلك القبائل ولا تشترط فيه أن يكون من القبيلة نفسها[٢]، وفي عهد الإمام علي عليه السلام (٣٦-٤٠هـ) في الكوفة كانت الأسباع على النحو الآتي[٣]:

١- قيس وعبد القيس ورأسهم سعد بن مسعود الثقفي.

٢- تميم وضبة والرباب وقريش وكنانة وأسد وعليها معقل بن قيس اليربوعي.

٣- الازد وبجيلة وخثعم والأنصار وخزاعة وعليها مخنف بن سليم.

٤- كندة وحضرموت وقضاعه ومهره وعليها حجر بن عدي الكندي.

٥- مذحج والاشعريين وعليها زياد بن النصر.

٦- همدان وحمير وعليها سعيد بن قيس بن مرة الهمداني.

٧- طيء وعليها عدي بن حاتم.

وحينما ولي زياد بن أبيه ولاية الكوفة في عهد معاوية بن أبي سفيان (٤١-٦٠هـ)، حول خطط الكوفة إلى أرباع هي[٤]:

١- أهل المدينة ربعا وعليها عمرو بن حريث.

٢- تميم وهمدان ربعا و عليها خالد بن عرفطة.

٣- ربيعة ربعا وعليها قيس بن الوليد.

٤- مذحج وأسد ربعا وعليها ابو بردة بن أبي موسى الاشعري.

وكان غرض زياد بن أبيه من هذا التحول الإداري في الكوفة ضم كل ربع في هذه الأرباع إلى مجموعات قبلية متباينة ولا ينسجم بعضها بعضا من ناحية النسبة[١].

---

(١) ابن عبد ربه: العقد الفريد ١٩٢/٤.

(٢) ناجي حسن: القبائل العربية في المشرق ص٧٨.

(٣) نصر بن مزاحم: واقعة صفين ص١١٧.

(٤) الطبري: التاريخ ١٥٠/٦.

أما العامل الاقتصادي الذي تمتعت به مدينة الكوفة عند تأسيسها فانه يرتبط ببعض العوامل التي ذكرناها وفي مقدمتها العامل العسكري والعامل الجغرافي. وقد أشار ابن قتيبة إلى أهمية العامل الاقتصادي في نشأة المدن بقوله: المدائن لا تبنى إلا على ثلاثة أشياء: على الماء، وعلى الكلأ، وعلى المحتطب[2]، وقد أعطى لموقع الكوفة القريب من نهر الفرات مورداً زراعيا، إذ انه يروي سواد الكوفة الذي يحيط بها من الشرق والجنوب لاسيما إن ماء هذه المنطقة قد امتاز بالعذوبة والنقاوة والبرودة[3]، وقد شجعت هذه الطبيعة على السكن في ارض الكوفة.

وهكذا التقى التاريخ بالجغرافية في تأسيس الكوفة وتمصيرها والتقى الإنسان بالأرض عندما أصبحت الكوفة احد العراقين في سواد العراق.

---

(١) ناجي حسن: القبائل العربية في المشرق ص٨٥.

(٢) ابن قتيبة: عيون الأخبار ٣١٣/١.

(٣) ابن الفقيه: مختصر كتاب البلدان ص١٥٥، الاصطخري: المسالك والممالك ص٥٨، القزويني: آثار البلاد وأخبار العباد ص٢٥.

خطط الكوفة في فكر الإمام الصادق عليه السلام

اتفقت المصادر على إن الإمام جعفر بن محمد الصادق عليه السلام أستاذ الفقهاء والمجتهدين، ورائد الحكمة والفلسفة، وقد نقل الناس عنه ما سارت به الركبان حتى انتشر ذكره في البلدان[1]. وأشار الشهرستاني إلى علمه عليه السلام بقوله: ((كان ذو علم غزير في الدين، وأدب كامل في الحكمة، وزهد بالغ في الدنيا، وورع تام عن الشبهات))[2]. وقد تتلمذ عليه أعلام المسلمين وروى عنه فقهاء الأمة، وأئمة الفقه وهم: أبو حنيفة النعمان بن ثابت ومالك بن انس وشعبة بن الحجاج وسفيان الثوري وسفيان بن عيينة وجابر بن حيان والمفضل بن عمر، وروى عنه بالواسطة الإمام الشافعي والحسن بن صالح وابن أيوب السجستاني واحمد بن حنبل وغيرهم من فقهاء المسلمين. ويقول الأستاذ احمد أمين: إن الإمام الصادق أوسع الناس علماً واطلاعاً، وأقواله تدل على حكمته، وبعد نظره، وسعة علمه[3]. وكان عليه السلام قد قصد مدينتي الحيرة والكوفة في عهدي أبي العباس السفاح وأبي جعفر المنصور، وزار مرقدي الإمامين علي والحسين عليهما السلام، واستدعاه المنصور إلى مدينة بغداد، وكان في تجوله في المدن والأمصار يصف الخطط والمواقع ويحدد المعالم التاريخية والدينية بدقة، وهذا ما ذكرناه في كتابنا ((الخطط والبلدان في فكر الإمام جعفر بن محمد الصادق)) وكانت مدينة الكوفة، أحدى المدن التي مكث فيها الإمام الصادق عليه السلام مدة من الزمن، وأسس فيها مدرسته العلمية، يقول الحسن بن علي بن زياد الوشاء: ((أدركت في هذا المسجد – ويقصد مسجد الكوفة – تسعمائة شيخ كل يقول حدثني جعفر بن محمد))[4]. وان أشارات

---

(١) المفيد: الإرشاد ص٢٧٠، الاربلي: كشف الغمة ٣٧٩/٢.

(٢) الشهرستاني: الملل والنحل ٢٢٤/١.

(٣) احمد أمين: ظهر الإسلام ١١٤/٤- ١١٥.

(٤) النجاشي: الرجال ص٢٣١.

الإمام الصادق عليه السلام لخطط النجف الاشرف وكربلاء ومكة المكرمة والمدينة المنورة لها أهمية تاريخية كبيرة، لأنه وقف عليها بنفسه، وحدد معالمها، وقد أزال النقاب عن بعض المعالم المجهولة، وزار مرقد أمير المؤمنين عليه السلام، مرات عديدة، وقد شخصّ معالم القبر الشريف بدقة وفق المأثور عن آبائه عليهم السلام[1]. وحدد الشواخص الطبيعية من منطقة (الغري) وفي الطريق الذي سلكه إلى ارض النجف الاشرف. وشخصّ عليه السلام معالم قبري الحسين والعباس عليهما السلام، وأطلق لفظ (صاحب كربلاء) على الإمام الحسين عليه السلام[2]. أما مدينة الكوفة فانه قصدها في بداية سقوط الدولة الأموية، وتأسيس الدولة العباسية عام ١٣٢هـ، وأطلق عليها لفظ (حرم علي)[3].

وقد حدد خططها وهي:

١- مسجد الكوفة.

٢- مسجد السهلة.

٣- المساجد التي نهي عن الصلاة فيها.

٤- الكناسة.

٥- طاق الزياتين.

٦- منطقة السراجين.

٧- الجودي.

وأعطى الإمام الصادق عليه السلام لمسجد الكوفة أهمية تاريخية ودينية، بحيث انه من دخل مدينة الكوفة ((لابد أن يصلي في مسجدها))[4]. وقال: في الكوفة موضع التنور وهو يقع في بيت عجوز مؤمنة في دير ميمنة الكوفة[5]. وهذا

---

(١) حسن الحكيم: الخطط والبلدان في فكر الإمام الصادق ص٩٢.

(٢) ابن قولويه: كامل الزيارات ص١٣٧، ص١٤١.

(٣) الفتال: روضة الواعظين ٢/٤١٠.

(٤) الطوسي: الامالي ٢/٤٢.

(٥) الطبرسي: مجمع البيان: ٥/١٦٣.

التحديد يبعدنا عن كون التنور في باحة مسجد الكوفة، ولعل الإمام عليه السلام أراد بذلك ارض النجف التي ضمت أديرة الحيرة، وهي في الوقت نفسه تقع في ميمنة الكوفة، وهي ((الجودي)) الذي استوت واستقرت عليه سفينة نوح عليه السلام، وقال: أن السفينة استوت على الجودي هو فرات الكوفة[1]. وكان الإمام الصادق ومعه صفوان الجمال قد اشرفا على النجف من جهة القادسية فقال عليه السلام فلما اقتربا من النجف قال عليه السلام ((هو الجبل الذي اعتصم به ابن جدي نوح عليه السلام)) فقال: ساوي إلى جبل يعصمني من الماء))، وقال لصفوان: اعدل بنا، قال فعدلت به فلم يزل سائراً حتى أتى الغري، فوقف على القبر وساق السلام من آدم على نبي بعد نبي عليهم السلام، ثم خر على القبر فسلم عليه وعلا نحيبه ثم قال: فصلى أربع ركعات[2]. وأشار الإمام إلى بعض المواضع القريبة من مسجد الكوفة، كما أشار إلى ((طاق الزياتين)) وهو آخر ((السراجين)) فقال له: ((انزل فان هذا الموضع كان مسجد الكوفة الأول الذي خطه آدم))[3]. أما مسجد السهلة فقد أعطى له الإمام الصادق عليه السلام عدة مسميات هي: السهلة، الشرى، الروحاء، سهيل، فيقول ((المسجد الذي عندكم وتسمونه السهلة ونحن نسميه الشرى))[4]. وقد أطلق عليه لفظ ((السهلة الروحاء)) و((مسجد سهيل))[5]. ونقل ياقوت الحموي عن أبي حمزة الثمالي قوله: قال لي أبو عبد الله جعفر بن محمد الصادق عليه السلام يا أبا حمزة هل تعرف مسجد سهيل ! قلت: عندنا مسجد يسمى السهلة، وقال: أما إني لم أرد سواه لو إن زيدا أتاه فصلى فيه واستجار ربه من القتل لأجاره، إن فيه لموضع البيت الذي كان يخط فيه إدريس عليه السلام، ومنه رفع إلى السماء، ومنه كان إبراهيم

---

(١) الطبرسي: مجمع البيان ١٠٨/٧، العياشي: التفسير ١٤٩/٢- ١٥٠.

(٢) الصدوق: من لا يحضره الفقيه ٣٥١/٢.

(٣) العياشي/التفسير ١٤٤/٢.

(٤) الحميري: قرب الإسناد ص٩٢.

(٥) ابن قولويه: كامل الزيارات ص٢٩- ص٣٠.

عليه السلام يخرج إلى العمالقة وفيه موضع الصخرة التي صورة الأنبياء فيها، ومنه الطينة التي خلق الله الأنبياء منها، وهو موضع مناخ الخضر وما أتاه مغموم إلا فرج الله عنه[1]. وإذا كان في الكوفة مسجدها الكبير، ومسجد السهلة العظيم، كان فيها أيضا ((مساجد ملعونة)) نهى أمير المؤمنين عليه السلام عن الصلاة فيها، لأنها اتخذت للتآمر على الإسلام، وقد أشار إليها الإمام الصادق عليه السلام بقوله: ((إن أمير المؤمنين عليه السلام نهى عن الصلاة في خمسة مساجد بالكوفة: مسجد الاشعث بن قيس الكندي، ومسجد جرير بن عبد الله البجلي، ومسجد سماك بن مخرمة، ومسجد شبث بن ربعي، ومسجد تيم، وقال: كان أمير المؤمنين عليه السلام إذا نظر إلى مسجدهم قال: هذه بقعة تيم ومعناه إنهم قعدوا عنه لا يصلون معه عداوة وبغضا بغضهم الله))[2].

وحدد الإمام الصادق عليه السلام موضع ((الكناسة)) وهي المكان الذي قاتل يوسف بن عمر الثقفي زيد بن علي بن الحسين[3]. وقال تلميذه المفضل بن عمر ((كنت مع أبي عبد الله عليه السلام بالكوفة أيام قدومه على أبي العباس فلما انتهينا إلى الكناسة فنظر عن يساره ثم قال: يا مفضل هاهنا صلب عمي زيد رحمه الله))[4]. وذكر الإمام الصادق عليه السلام بعض المواضع القريبة من الكوفة ومنها ((قبور آل الحسن)) فيقول: ((إن قبر عبد الله بن الحسن بن الحسن وأهل بيته على شاطئ الفرات)) ويقول ((فحملهم أبو الدوانيق فقبروا على شاطئ الفرات))[5]. وقد أطلق على جغرافية الكوفة الواسعة لفظ ((حيرة الكوفة وسوادها))[6].

---

(١) ياقوت: معجم البلدان ٣/٢٩١.

(٢) الصدوق: الخصال ١/٢٧٤، الفتال: روضة الواعظين ٢/٣٣٦، الكاظمي: الرجال ١/٤٩٣.

(٣) ياقوت: معجم البلدان ٤/٤٨١.

(٤) العياشي: التفسير ٢/١٤٤.

(٥) الطوسي: اختيار معرفة الرجال ص٢١٢.

(٦) الطبرسي: مجمع البيان ٧/١٠٨.

خندق الكوفة في التاريخ

يرد لفظ (الخندق) في مصادر اللغة باسم (الحفير) الذي يحيط بسور المدينة[1]، ويتحدد عرضه بين مترين إلى ستة أمتار، وعمقه بين ٢٤ متراً إلى ٣٦ متراً[2]، وتمتد عليه جسور أو قناطر، وقد تكون في بعض الأحيان غير ثابتة، ويذهب بعض الباحثين إلى أن لفظ الخندق فارسي الأصل، وتعريبه (كندة)[3]، ولكن الخندق ورد في الشعر العربي، فيقول الشاعر[4]:

مأسدة تسن سيوفها   بين المذاد وبين جزع الخندق

ويأتي خندق الكوفة في المصادر والمراجع بألفاظ ثلاثة هي: خندق الكوفة، وخندق سابور، كري سعد (سعدة)، ويأتي في بعض النصوص مجرداً عن الإضافة وتشكل إطلاله في الوقت الحاضر الحدود البلدية بين النجف والكوفة، فإن المنطقة الواقعة خلف الخندق باتجاه مدينة النجف تدعى بظهر الكوفة، أو طرف البر وطفه، وتتصل هذه البادية بطريق الحج البري الذي كانت القوافل تسلكه منذ العصور الإسلامية حتى التاريخ المعاصر، وتدعى المنطقة التي تجاور الخندق باسم ((الثوية))[5]، وهي تمتد امتداداً طولياً ابتداءً من شرق النجف وانتهاءً بالكوفة والحيرة، فالموضع القريب لكل من الكوفة والحيرة عرف باسمها، ولذا قيل: الثوية بالحيرة أو الكوفة ويأخذ الخندق باحتضان هذه المنطقة الواسعة، والتي أطلق عليها في عصر ما قبل الإسلام باسم ((ظهر الحيرة)) وفي العصور الإسلامية ((ظهر الكوفة)) وقد أخذ خندق الكوفة بعدين أساسيين هما:

---

(١) ادي شير: الألفاظ الفارسية المعربة ص٥٧.

(٢) البستاني: دائرة المعارف ٤٧٩/٧.

(٣) الجواليقي: المعرب ص١٧٩- ص١٨٠، المنذري: التكملة ٣٥٥/٥، فنسنك: دائرة المعارف الإسلامية (مادة خندق) ٨/٤٦٣.

(٤) الجواليقي: المعرب ص١٧٩- ص١٨٠.

(٥) الحكيم: (الثوية موقعها وتاريخها) بحث في مجلة كلية الفقه، العدد الثاني لسنة ١٩٨٣م.

البعد الجغرافي:

اختلف الباحثون والبلدانيون في تحديد طول الخندق وامتداده الجغرافي فقيل: انه يبدأ من مدينة هيت في أعالي نهر الفرات، ويخترق البادية على الحدود العراقية، وينتهي بالخليج العربي قرب مصب بوبيان على بعد عشرين ميلاً من شط العرب غرباً، ويعرج هذا الخندق بعد ان يمر من غرب الحبانية ماراً بجبل سعدة ثم وادي أبو فروج إلى الجنوب الشرقي باتجاه غدير المالح، ويسلك وادي الغضاوي ثم هور أبي دبس إلي بحر النجف ملازماً للضفة الغربية قرب الكوفة، ثم يقطع المسافة إلى هور الحمار حيث ينتهي بالقرب من جبل سنام[1]، ويقول ياقوت الحموي (ت ٦٢٦هـ) إنه يبدأ من هيت، ويشق طف البادية إلى كاظمة مما يلي البصرة، وينفذ إلى البحر[2]، وهذا التحديد يجعل طول الخندق ما يقرب من تسعمائة كيلومتر[3]، أما أبعاده في الوقت الحاضر فقد أخذت بالاختفاء بعد اندراس معالمه، حيث حدد من أطراف مدينة كربلاء، ومروراً بالكوفة. ومنها إلى الحيرة[4]، ويذهب العميد طه الهاشمي إلى القول: إن الخندق في الوقت الحاضر يبدأ من جنوبي النخيلة إلى غربي الكوفة في موازاة نهر الفرات، ويمتد شرقاً إلى قصر الخورنق وينعطف بعد ذلك إلى الغرب فيتصل بالأراضي المنخفضة بين مدينة أبي صخير وبحر النجف[5]، ويقول العميد صالح مهدي عماش: انه يبدأ على مسافة كيلو مترين جنوب خان الحماد (ناحية الحيدرية)[6]، وهذا التحديد الأخير

(١) البراقي: تاريخ الكوفة ص١٤٧، الجنابي: تخطيط الكوفة ص٤١.

(٢) ياقوت: معجم البلدان ٣٩٢/٢.

(٣) احمد عادل كمال: فتوح الشرق بعد القادسية ص٢١٩.

(٤) جامعة الدول العربية: المعالم الأثرية في البلاد العربية ١٧٨/١.

(٥) الهاشمي: (خالد بن الوليد في العراق) بحث في مجلة المجمع العلمي العراقي، الجزء الأول، المجلد الثالث ص٨٢.

(٦) صالح مهدي عماش: من ذي قار إلى القادسية ص١٦٨.

صحيح فيما لو تتبعنا آثار الخندق في الوقت الحاضر، إذ لم يبق من معالمه إلا المنطقة المحصورة بين ناحية الحيدرية إلى الكوفة، ومن ثم إلى الحيرة، وقد زحفت الأكثاف الرملية المحيطة به نتيجة العواصف الترابية القادمة من البادية وبخاصة المناطق المواجهة للصحراء بصورة مباشرة، ولعل الجغرافيين العرب كانوا قد حددوه بتعبير دقيق بالقول: انه في برية الكوفة[1]، فقد ضيقت الرمال الزاحفة إليه من هذه البرية الشاسعة إلى تحديد عمقه في بعض المناطق في الوقت الحاضر إلى خمسة أمتار، وبعضها اقل من ذلك إلى أن يصل في بعض المناطق إلى مستوى الأرض المجاورة[2]، ويكون الخندق أكثر وضوحاً في المنطقة الواقعة بين النجف والكوفة، يطلق عليه الناس لفظ ((كري سعدة)) ولعل هذا اللفظ نسبة إلى ((جبل سعدة)) الذي كان يمر به خندق الكوفة، أو انه تصحيف من اسم سعد، ويروي الأستاذ الأمريكي جون بيترز حكاية عن أصل هذه التسمية وهي أن تاجراً غنياً من تجار مدينة البصرة قد أحب امرأة جميلة اسمها ((سعدة)) من أهالي المنطقة الواقعة بين هيت وعانة، وكانت هذه المرأة تهوي ضفاف الأنهار، فاشترطت عليه حينما خطبها من أهلها أن تنقل إلى البصرة في طريق النهر الذي يمر بالأماكن التي يجللها الظل، فما كان إلا أن يحفر لها هذا النهر ويغرس الأشجار على ضفافه[3]، ومما يضعف من صحة هذه الحكاية، إن خندق الكوفة لم يستخدم للإرواء في تاريخه إلا لتصريف مياه نهر الفرات إليه في أثناء الفيضان في بعض الأحيان، ولم نجد آثار الأشجار على جانبيه، وربما أن حكاية ((سعدة)) هذه قد انتشرت بين الناس فأطلقوا على الخندق لفظ ((كري سعدة)) ويبدو إن الأستاذ جون بيترز كان معتقداً إن الخندق هذا كان نهراً يعود إلى أزمنة قديمة فيقول: انه الجدول الكبير الذي حفره نبو خذ نصر، فحده من موقع يقرب من هيت إلى الخليج

(١) ياقوت: معجم البلدان ٣٩٢/٢، البغدادي: مراصد الاطلاع ٤٨٤/١، المنذري: التكملة ٣٥٥/٥.

(٢) الجبوري: تاريخ الكوفة الحديث ١١٨/١.

(٣) الخياط: (النجف في المراجع) بحث في موسوعة العتبات المقدسة/قسم النجف ٢٤٤/١.

العربي ليحيى به مساحات شاسعة من الأراضي الموات[1]، ولكن النصوص التاريخية لا تؤكد هذا الرأي، كما سوف نوضحه في البعد التاريخي.

البعد التاريخي:

أطلقت المصادر التاريخية على خندق الكوفة لفظ ((خندق سابور)) نسبة إلى الملك الساساني سابور ذي الأكتاف (٣٠٩- ٣٧٩هـ) الذي أمر بحفره، ويعود إلى سبب سياسي ليكون حاجزاً بينه وبين العرب في الجزيرة، ولذا يقول ياقوت الحموي: إنما حفره خوفاً من شر العرب[2]، على حد تعبير ياقوت، لأنه كان يعتقد أن العرب سوف يقتحمون عليه ملكه، لذا صب غضبه عليهم، وقتل كثيراً منهم، ونزع أكتاف رؤسائهم، وقد لقب بذي الأكتاف، ونفى جماعة منهم إلى منطقة ((بقة والعقير)) وبنى مدينة ((هفة)) واسكنها قبيلة أياد[3]، ويقول قدامة بن جعفر: إن سابوراً حفر الخندق بين العرب والفرس، واقطع الأراضي من غير أن يلزم خراجاً لها[4] ومما يؤيد حذر الفرس من العرب، هو إن كسرى لما بلغه ظهور الرسول الكريم عليه أفضل الصلاة والسلام في الجزيرة العربية، وتلقى الناس رسالته الإسلامية بالقبول، وضع على الخندق المراصد والصوامع المعززة بالحرس[5]، كما بنيت على الخندق المناظر والجواسق والمسالح[6]، ومما يؤيد إن الخندق هذا قد حفر لأغراض سياسية وعسكرية هو إن الملك الفارسي انوشروان (٥٣١- ٥٧٩م) لما تولى زمام الحكم أمر بتجديد سور مدينة ((النسر)) التي بناها سابور ذو الأكتاف. وجعلها مسلحة تحفظ ما يقرب من البادية[7].

---

(١) ن. م.

(٢) ياقوت: معجم البلدان ٣٩٢/٢.

(٣) الطبري: التاريخ ٦٠/٢.

(٤) قدامة بن جعفر: الخراج وصنعة الكتابة ص٣٦٩.

(٥) أبو عبيدة: مجاز القرآن ٣٠٦/١- ٣٠٧.

(٦) البلاذري: فتوح البلدان ص٢٩٦، البغدادي: مراصد الاطلاع ٤٨٤/١.

(٧) سعاد ماهر: مشهد الإمام علي في النجف ص٩٠.

وقد لعب الجانب العسكري لخندق الكوفة دوراً في عمليات الفتوح العربية الإسلامية للعراق في المدة الواقعة بين ١٢-١٥هـ، ففي موقعة القادسية صف القائد سعد بن أبي وقاص المسلمين على حائط القديس، وكان الخندق من ورائهم. ووقف المسلمون والفرس بين الخندق والعتيق[١]، وورد ذكر الخندق في رسالة بعثها سعد إلى عمر بن الخطاب جاء فيها: ((إن القادسية بين الخندق والعتيق، وان ما عن يسار القادسية بحر اخضر في جوف لاح إلى الحيرة بين طريقين، فأما احدهما فعلى الظهر، وأما الآخر فعلى شاطئ نهر يدعى الحضوض يطلع بمن سلكه على ما بين الخورنق والحيرة، وما عن يمين القادسية إلى الولجة فيض من فيوض مياههم))[٢]، ويوضح هذا النص المساحة التي وقعت فيها موقعة القادسية. فقد ورد فيه اسم ((الخندق)) و((الخورنق)) و((الظهر)) و((البحر)) والمقصود بالبحر هنا ((بحر النجف)) وتشير بعض النصوص انه دفن في الخندق ستة آلاف بعد موقعة القادسية[٣]، وهذا له دلالة على أن الخندق كان حفيراً لا ماء فيه، وقد قام سعد بن أبي وقاص بكريه بعد تخطيط مدينة الكوفة عام ١٧هـ، وذلك للحفاظ على أمنها، وحمايتها من الأعداء، ويكون الخندق كالسور المحيط بها من جهة البادية، يقول أبو عبيدة: لما كانت فتنة ابن الاشعث حفر عبيد الله بن عبد الرحمن بن سمرة الخندق، فقال له حميد الارقط[٤]:

يــــا أعــــور العــــين فــــديت العــــورا
لا تحــــــسبن الخنــــــدق المحفــــــورا
يـــــرد عنـــــك القـــــدر المقـــــدورا

(١) ابن خلدون: التاريخ ٢/٩٦.

(٢) الطبري: التاريخ ٣/٤٩٢.

(٣) ابن الأثير: الكامل في التاريخ ٢/٤٨٢.

(٤) أبو عبيدة: مجاز القرآن ١/٣٠٦- ٣٠٧.

وفي عهد الخليفة العباسي الثاني أبي جعفر المنصور جدد حفر الخندق عام ١٤٥هـ، وقيل: عام ١٥٥هـ[١]، ويقول البلاذري (ت ٢٧٩هـ): إن المنصور اخذ أهل الكوفة بحفر الخندق، وألزم كل فرد للنفقة عليه أربعين درهماً، وذلك عقوبة لهم نتيجة ميلهم للطالبيين وارجافهم بالسلطة العباسية[٢]، ويشير الطبري (ت ٣١٠هـ): انه في عام ١٥٥هـ حفر الخندق والي الكوفة عمرو بن زهير الضبي، لما عزم المنصور على بناء سور الكوفة، فأمر بقسمة خمسة دراهم على جميع الناس، وذلك لضبط أعدادهم، ولما نجح في مهمته، أمر بجبايتهم أربعين درهماً، فأخذ المبالغ هذه وأنفقها في بناء السور، وقد قال احدهم[٣]:

يا قومي ما رأينا ... في أمير المؤمنينا
قسم الخمسة فينا ... وجبانا الاربعينا

ويقول المحدث يحيى بن معين (ت٢٣٣هـ): إن عبيد الله بن زياد بن لقيط، كان من ثقاة الناس، وعريف قومه، قد صير إليه حفر الخندق بالكوفة[٤]، ويشكك الدكتور كاظم الجنابي في أن خندق الكوفة قد حفر في عهد سابور ذي الأكتاف أو قبله، وإنما الذي حفره هو أبو جعفر المنصور، فان التنقيبات قد كشفت عن منخفض يمتد بموازاة كري سعدة، ويقترب من أبنية الكوفة الحديثة[٥]، ولكن الذي نذهب إليه إن أبا جعفر المنصور قد قام بإجراءات جديدة في الخندق، فأعاد حفره أو كريه، ومن ثم أجرى الماء فيه. وقد ذهب العميد طه الهاشمي إلى أن جدولاً

---

(١) الطبري: التاريخ ٨/٤٧، الازدي: تاريخ الموصل ص٢٢٣. ابن الجوزي: المنتظم ٨/ورقة ٨٢ أ، ابن كثير: البداية والنهاية ٩/ ١١٣، الاربلي: خلاصة الذهب المسبوك ص٨٨.

(٢) البلاذري: فتوح البلدان ص٢٨٧.

(٣) الطبري: التاريخ ٨/٤٦- ٤٧، الازدي: تاريخ الموصل ص٢٢٣.

(٤) يحيى بن معين: التاريخ ٢/٢٨١.

(٥) الجنابي: تخطيط الكوفة ص١٧٠.

من الفرات قد شق إلى الحيرة عبر الخندق[1]، ويقول الحاج عبد المحسن شلاش: أن المنطقة الواقعة في القسم الغربي من الحيرة وبحيرة النجف كانت تستقي من كري سعد الذي يتصل بنهر العلقمي القديم الذي يقوم مقامه جدول الحسينية في كربلاء وجدول بني حسن[2]، ولم يحدد الباحثون تاريخ استخدام خندق الكوفة أو كري سعدة للإرواء. سوى انه استخدم في بعض العصور التالية للعصر العباسي كمحاولة لإيصال الماء إلى مدينة النجف الاشرف، ففي العصر المغولي حاول الصاحب علاء الدين جويني إيصال الماء للنجف عن طريق الخندق[3]، وحاول أمين الدولة إيصال الماء إلى النجف من منطقة ((أبو فشيقة)) إلى الخندق، وأقام من الآجر قنطرة عليه.[4]، وما زالت هذه القنطرة قائمة حتى الوقت الحاضر. وفي عام ١١٣٢هـ/١٧١٩م حاول الشاه عباس الصفوي حفر جدول في خندق الكوفة، وقد جدد هذا المشروع الملك فيصل الأول بعد اعتلائه عرش العراق عام ١٩٢١م. في محاولة لإيصال الماء إلى مدينة النجف عن طريق الخندق، وقد رصدت المبالغ لهذا المشروع، ولكنه لم ينفذ على الرغم من أهميته الاقتصادية الكبيرة[5]، وهذه المحاولات تؤكد على عدم جريان الماء في خندق الكوفة بصورة دائمية، إذ يغلب على الظن انه استخدم لدرء أخطار الفيضان، وتخفيف المياه في نهر الفرات حماية للمدن الواقعة عليه من الغرق[6].

---

(١) الهاشمي: (خالد بن الوليد في العراق) بحث في مجلة المجمع العلمي العراقي، الجزء الأول، المجلد الثالث ص٧٩.

(٢) عبد المحسن شلاش: (فيصل والعتبات المقدسة) بحث في المجلة الاعتدال، العدد التاسع، السنة الأولى ص٤٦٨.

(٣) العزاوي: تاريخ العراق بين احتلالين/٢١٠.

(٤) محبوبة: ماضي النجف وحاضرها ١٩٧/١.

(٥) عبد المحسن شلاش: (فيصل والعتبات المقدسة) بحث مجلة الاعتدال، ص٤٦٨.

(٦) الجنابي: تخطيط الكوفة ص٤١.

ويستفاد من الأحداث التاريخية التي أشارت إلى خندق الكوفة إلى وجود مواقع مجاورة له سواء في المنطقة المعروفة باسم ((الظهر)) أو المنطقة الواقعة في الكوفة، ففي عام ٣١٥هـ كان القرامطة بقيادة أبي طاهر الهجري قد نزلوا أرض النجف، واعدوا العدة للهجوم على الكوفة، ولما علم يوسف بن أبي الساج بخبرهم تقدم لقتالهم. وقد نزل في دير هند الواقع بحضرة خندق الكوفة[١]، ويحدد المؤرخون والبلدانيون موقع دير هند بأنه يقارب خطة بني عبد الله بن درام بالكوفة مما يلي الخندق.[٢] ويبدو إن المقصود بدير هند هو ((دير هند الصغرى)) وهو نسبة لهند بنت النعمان بن المنذر التي بنته بعد أن ترهبت، وسكنته دهراً طويلاً ثم عميت[٣]، وعند الفتح العربي الإسلامي للعراق دخل خالد بن الوليد دير هند والتقى بصاحبته وقد عرض عليها الزواج بعد إسلامها فرفضت[٤]، ويقول قدامة بن جعفر: انه في عام ١٤هـ، اجتمع المسلمون بدير هند، وقد بعث الفرس إليهم مهران بن مهر بنداد الهمداني في اثني عشر ألفاً[٥]، وفي أحداث عام ١٧هـ، يقول أبو محمد موسى بن إسحاق بن طلحة: كنت اجلس في المسجد الأعظم قبل أن يبنيه زياد، وليست له مجنبات ولا مواخير فأرى منه دير هند وباب الجسر[٦]، فان المسافة بين مسجد الكوفة والخندق ليست بعيدة، فلابد أن يكون للدير سور وبناء مرتفع يرى من مسافة، وكان المختار بن أبي عبيد الثقفي قد نزل هذا الدير عام ٦٦هـ، وخرج أبو عثمان النهدي وهو ينادي: يا لثارات الحسين،

---

(١) ابن الجوزي: المنتظم ٢٠٨/٦.

(٢) الشابشتي: الديارات ص٢٤٤، ياقوت: معجم البلدان ٥٤٢/٢. البغدادي: مراصد الاطلاع ٥٧٩/٢، العمري: مسالك الأبصار ٢٤٤/١.

(٣) الشابشتي: الديارات ص٢٤٤، البغدادي: خزانة الأدب ١٨٢/٢.

(٤) ياقوت: معجم البلدان ٥٤١/٢- ٥٤٢، البكري: معجم ما استعجم ٦٠٤/٢.

(٥) قدامة بن جعفر: الخراج وصنعة الكتابة ص٣٥٨.

(٦) الطبري: التاريخ ٤٧/٤.

ألا إنّ أمير آل محمد خرج، فنزل دير هند، وبعثني إليكم داعياً فاخرجوا يرحمكم الله[1].

وقد عسكر المختار في ظهر دير هند مما يلي بستان زائد في السبخة[2]، وفي أحداث عام ١٠٥هـ دخل الشعبي على الحجاج بن يوسف الثقفي وقال: كنا مع المغيرة بن شعبة في ظهر الكوفة، فقيل له: هذا دير هند، فقال: لو دخلناه، فدخلنا فإذا هند وأختها جالستان وعليهما ثياب صوف سود[3]، وقد استخدم الضحاك بن قيس الشيباني الخارجي هذا الدير عام ١٢٧هـ مقراً لأنصاره، ومنه تقدم نحو الكوفة[4]، وبقي دير هند الصغرى يتابع الأحداث التاريخية طيلة العصرين الأموي والعباسي، أما في العصر المغولي فيذكر السيد ابن طاووس (ت٦٩٣هـ) في أحداث القرن السابع الهجري: إن ايلغازي أمير الحلة أرسل سرية لمطاردة العرب. وقد وصلت هذه السرية إلى خندق الكوفة[5]، وبعد هذا التاريخ يختفي ذكر الخندق بعد أن أخذت الكوفة تفقد أهميتها الإدارية والسياسية، وتأخذ مدينة النجف بالبروز على الصعيدين الاجتماعي والديني.

---

(١) ابن الجوزي: المنتظم ٦/ورقة ٢٣ب.

(٢) الطبري: التاريخ ٦/٢٣، ابن الأثير: الكامل ٤/٢١٩.

(٣) اليافعي: مرآة الجنان١/ ٢١٨.

(٤) الطبري: التاريخ ٧/٣٢٠- ابن الأثير: الكامل ٥/٣٢٥.

(٥) ابن طاووس: فرحة الغري ص١٢٥.

مواقع منازل الصحابة والتابعين من خطط الكوفة

خططت مدينة الكوفة عام ١٧هـ، بعد الفراغ من موقعة القادسية، وقد وضع القائد سعد بن أبي وقاص خططاً لقبائل العرب، وابتنى بها داراً[1]، ولم تحدد المصادر موقع الدار التي سكنها سعد، ولكن يبدو إنها بنيت قبل تخطيط قصر الإمارة. وكانت المدة الزمنية بين تخطيط الكوفة، وبين تحويلها إلى عاصمة للدولة الإسلامية في عهد أمير المؤمنين عليه السلام (١٧- ٣٦هـ) قد استوطنها عدد من الصحابة رضي الله عنهم، وتولى بعضهم مناصب إدارية، وفي مقدمتهم الصحابي الجليل عبد الله بن مسعود، الذي نزل داراً تقع إلى جنب مسجد الكوفة، بعد أن تسلم المسلمون رسالة من عمر بن الخطاب جاء فيها: ((أني بعثت إليكم بعبد الله بن مسعود، معلماً ووزيراً، وآثرتكم به على نفسي، فخذوا عنه))[2]، وفي رسالة أخرى أضاف الصحابي الجليل عمار بن ياسر جاء فيها: ((أما بعد: فاني بعثت إليكم عماراً أميراً، وعبد الله معلماً ووزيراً، وهما من النجباء من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، فاسمعوا لهما واقتدوا بهما، واني قد آثرتكم بعبد الله على نفسي اثرة))[3]، ويستفاد من هذين النصين، إن بدايات الإدارة والعلم في مدينة الكوفة تعود للصحابيين: عبد الله بن مسعود، وعمار بن ياسر، رضي الله عنهما، وكان معهما عدد من الصحابة، فيقول المؤرخ محمد بن سعد: هبط الكوفة ثلاثمائة من أصحاب الشجرة، وسبعون من أصحاب بدر. وهذا مما اكسب الكوفة أهمية بين الأمصار الإسلامية، بحيث أطلق عليها المؤرخون ألفاظاً تدل على هذه الأهمية منها: رمح الله، وكنز الإيمان، ورأس أهل الإسلام، ورأس العرب وجمجمتهم، وغيرها من الألفاظ الدالة على الجهاد، والتضحية في نشر الإسلام. وقد أشار الإمام علي

(١) ابن سعد: الطبقات الكبرى ٦/ ١٢.

(٢) المصدر نفسه ٦/ ١٤.

(٣) المصدر نفسه ٦/ ٧.

عليه السلام إلى ذلك في بعض خطبه وأحاديثه، ويقول الصحابي الجليل سلمان الفارسي رضي الله عنه: ((الكوفة قبة الإسلام، وأهل الإسلام))[1] وقد توزع الصحابة على خطط الكوفة، وحول مسجدها الكبير، والمساجد الأخرى، وقد أشار الإمام علي عليه السلام إليها بقوله: ((إن بالكوفة أربع بقاع قدس مقدسة فيها أربعة مساجد))، وقد سأله، الحاضرون: ((سمها يا أمير المؤمنين)) فقال: احدها مسجد ظفر، وهو مسجد السهلة، إن أطنابها من الأرض لعلى ياقوتة خضراء، ومسجد جعفى لا تذهب الأيام والليالي حتى تنبع منه عين، ومسجد غني، ومسجد الحمراء، وفيه قبر أخي يونس بن متي[2]، ولما قصد الإمام علي عليه السلام مدينة الكوفة، بعد فراغه من موقعة الجمل، يوم ١٢رجب عام ٣٦هـ فنزل من الرحبة التي سميت فيما بعد باسم ((رحبة علي)) ولم ينزل عليه السلام القصر الذي كانت تنزله الولاة قبله[3]، ويقول ابن سعد: إن بعض الصحابة نزلوا في قبيلة اسلم كعبد الله بن أبي أوفى، واهبان بن الاكوع، ونزل في كندة زيد بن الارقم، والأشعث بن قيس الكندي، ولهما في هذه المحلة بيتان، وفي محلة الكناسة تقع دور بني أسد، وقد اشترى سمرة بن جندب دوراً فيها[4]، وشهدت ((جبانة السبيع)) في الكوفة أحداثا خطيرة في العصر الأموي (٤١- ١٣٢هـ)، وقد نسب إليها، الكثير من الأعلام[5]، ويقول ابن سعد: إن عمرو بن محمد العنقزي كان جاراً لأبي داود الحفري بالكوفة، وهما يصليان في منزلهما في حفر السبيع وتقع في ((الحفر)) مطمورة قرب منزل محمد بن العلاء[6]، ونسبت جبانات في الكوفة لبعض الأعلام كجبانة بشر بن ربيعة، ولكن جبانة الكوفة الكبرى التي تسمى ((الثوية)) فإنها تقع

---

(١) ابن سعد: الطبقات الكبرى ٦/ ٧.

(٢) ابن الفقيه: مختصر كتاب البلدان ص١٧٤.

(٣) ابن سعد: الطبقات الكبرى ٦/ ١٢.

(٤) ابن سعد: الطبقات الكبرى ٤/ ٣٠٢، ٣٠٩، ٦/ ١٨، ٢٢، ٧/ ٥٠.

(٥) ابن دريد: الاشتقاق ص٤٢٧.

(٦) ابن سعد: الطبقات ٦/ ٤٠٣، ٤١٤.

وراء الخندق، وتسمى المنطقة باسم ظهر الكوفة، وقد أطلق عليها الشاعر المتنبي اسم ((البسيطة)) بقوله:

بسيطة مهلاً سقيت القطارا   تركت عيون عبيدي حيارى
فظنوا النعام عليك النخيل   وظنوا الصوار عليك المنارا

وأشار إلى الثوية بقولة[1]:

وليلاً توسدنا الثوية تحته   كأن ثراها عنبر في المرافق

وكانت مساجد الكوفة قد احتلت جانبا من خطط المدينة، وقد نسبت إلى قبائل وأشخاص، فقد كان لبني قرن الازدية مسجد، ولقبيلة جهينة مسجد باسمها[2]، وكان لعمران بن سليمان القبي ((المسجد الجامع))[3]، وذكر ابن سعد ((مسجد الجماعة)) في الكوفة. دون أن يحدد موقعه[4]، أما خطط القبائل العربية فأنها أخذت مساحات من المدينة، ففي خطة جهينة تقع دار ليلى بلال بن بليل[5]، وكانت لمسروق بن يزيد خطة، وان يوسف بن علي القطان قد نزل في ((طاق حيان)) وان مؤمن الطاق، يقع دكانه في ((طاق المحامل))[6]، ومن خلال كتب التراجم والرجال نجد أشارات إلى خطط الكوفة، ومنها ((دار القصارين)) العائدة للوليد بن عقبة بن أبي معيط، وكانت تسمى الدار الكبيرة، وكان علي بن ربيعة يسلك طريق الحناطين[7]، ويشار إلى بعض المهن والصناعات والأسواق من خلال تراجم الرجال، إضافة إلى القبائل العربية و انتماء بعض الرجال إليها ففي الكوفة ((منطقة الأنصار)) حيث بنى فيها قرظة بن كعب والحارث بن زياد

(١) اليازجي: العرف الطيب في شرح ديوان أبي الطيب ٤٩٤/٢.

(٢) ابن دريد: جمهرة اللغة ٤٠٨/٢.

(٣) ابن معين: التاريخ ٤٣٨/٢.

(٤) ابن سعد: الطبقات الكبرى ٦/ ١٣٠.

(٥) المصدر نفسه: ٦، ٥٤.

(٦) ابن دريد: الاشتقاق ص٣٦٦، الخوئي: معجم رجال الحديث ٢٠/ ٢٠٦.

(٧) ابن سعد: الطبقات ٢٥/٦، ٢٢٦.

داريهما فيها، وكانت لقبيلة عبس محلة عرفت باسمها[1]، وقد أشار المصادر إلى دور قبيلة طيء التي نزل فيها عدي بن حاتم الطائي، ودور قبيلة بجيلة التي فيها دار جرير بن عبد الله البجلي، وقبيلة بني سواء التي فيها دار جابر بن سمرة السوائي، وقبيلة خزاعة التي فيها دار سليمان بن صرد الخزاعي[2]، وكان الصحابي خباب بن الارت يمتلك داراً في منطقة ((جهار سوج خنيس))[3].

وكانت منطقة ((ظهر الكوفة)) قد شهدت أحداثاً في العصرين الأموي والعباسي، ونسب إلى خططها بعض الرجال ومنها ((حمام عمرو))، وهي قرية قريبة من الكوفة وفيها اجمة[4]، وكانت منطقة ((باخمرى)) الواقعة بين الكوفة وواسط قد شهدت معركة حاسمة استشهد فيها السيد إبراهيم بن عبد الله بن الحسن المثنى بن الإمام الحسن عليه السلام، وذلك في أثناء حكم أبي جعفر المنصور[5]، ونسب إلى صحراء أجرم)) بعض الرجال فقيل لهم الصحراوي، وقد سكن فيها أبو عبد الله محمد بن خالد التميمي الطيالسي، المتوفى عام ٢٥٩هـ[6]، وذكر الجواليقي: أن ((بطن الغميس)) قريب من الكوفة[7]، ويمكننا الوقوف على خطط أخرى لمدينة الكوفة إذا استعرضنا تراجم الصحابة والتابعين، والعصور التالية، وما يصاحبها من جوانب علمية واجتماعية واقتصادية.

---

(١) ابن سعد: الطبقات الكبرى ٦/١٧- ١٨، الزبيدي: تاج العروس ٤/١٨٣.

(٢) ابن سعد: طبقات الكبرى ٦/٢٢، ٢٤، ٢٥.

(٣) المصدر نفسه ٦/١٤.

(٤) التنوخي: الفرج بعد الشدة ٢/٨٦.

(٥) الازدي: تاريخ الموصل ص١٨٩، ياقوت الحموي: معجم البلدان ٢/٢٨.

(٦) المنذري: التكملة لوفيات النقلة ٥/٣٩٠، القمي: الكنى والألقاب ٢/٤١٦.

(٧) الجواليقي: أدب الكاتب ص٢٨٨.

الثوية ـ مقبرة الكوفة الكبرى

اعتاد الناس في مدينة الكوفة دفن موتاهم في مقابر واقعة في خطط القبائل، وقد عرفت باسم (الجبانات)، وهناك مقبرة كبرى تقع خلف خندق الكوفة تسمى (الثوية) فقد كانت الثوية تشكل مساحة شاسعة من الأرض، تمتد بين الكوفة والحيرة إلى ظهريهما، تؤلف المنطقة ((طرف البر)). حيث تعد مدينة النجف في الوقت الحاضر جزءا منها، وقد سكن في هذه الصحراء أو البرية عدد من القبائل العربية ومنها قبيلة طيء قال ابن الأثير: إن انوشروان قد طلب الحارث بن عمرو، فبلغه ذلك وهو بالانبار. فخرج هاربا في صحابته وماله وولده، وقد مر بالثوية[1].

أما في التاريخ الإسلامي، فقد ارتبطت الثوية بأحداث مدينة الكوفة، التي لاشك أنها وريثة الحيرة في عصر ما قبل الإسلام. وقد نص بعض المؤرخين إن الثوية موضع بالكوفة أو في ظاهرها، كما تشير إلى ذلك المصادر، وهي تقع بعد الخندق، باتجاه مدينة النجف، حيث يقع فيها مرقد كميل بن زياد النخعي (ت٨٢هـ) ومازال قبره ماثلاً حتى الوقت الحاضر.

وقد خصصت الثوية لأموات أهل الكوفة، فتحولت إلى مقبرة واسعة وقد احتلت قبيلتا ثقيف وقريش جزءا منها[2]. وقد أكدت المصادر إن المغيرة بن شعبة (ت٥٠هـ) قد دفن في الثوية[3]. وفي مقابر ثقيف مع أفراد قبيلته ولكن بعض المؤرخين لاسيما الخطيب البغدادي (ت٤٦٣هـ) قد خلط بين ((الثوية)) ((الغري)). ولعل مرجع وهمه، هوان المنطقتين تقعان في ظهر الكوفة أولاً، ومتجاورتان ثانياً ولكن الثوية هي اقرب إلى الكوفة من الغري، ومن ثم لا أهمية لما ذكره الخطيب البغدادي إن أبا جعفر الحضرمي كان ينكر إن يكون القبر الواقع بظاهر الكوفة هو قبر علي بن أبي طالب. وكان يقول: لو علمت الرافضة قبر من

(١) ابن الأثير: الكامل في التاريخ ٤٣٥/١.

(٢) ماسنيون: خطط الكوفة ص١٩، البراقي: تاريخ الكوفة ص١٢٤.

(٣) ابن منظور: لسان العرب ١٢٧/١٤، الزبيدي: تاج العروس ٦٤/١٠.

هذا لرجمته بالحجارة، هذا قبر المغيرة بن شعبة[1]. وذلك إن الخطيب البغدادي نفسه كان متناقضا في روايته إذ انه ذكر في موضع آخر من ((تاريخ بغداد)) فيقول: ((حدثني أبو حسان الزيدي قال: سنة خمسين فيها مات المغيرة بن شعبة في شعبان، ودفن بالكوفة بموضع يقال: له الثوية))[2]. وفي الوقت نفسه ذكر عدة روايات عن موضع قبر الإمام علي عليه السلام، فقال: دفن بالكوفة عند قصر الإمارة، أو في موضع القصر، أو في الرحبة التي تنسب إليه، أو في البقيع مع فاطمة بنت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، أو إن الإمام الحسن قد حمله ودفنه بالثوية[3]. ومما يؤكد إن الخطيب البغدادي لم يكن واثقا من موضع قبر الإمام علي عليه السلام، وذلك لعدم ترجيحه إحدى الروايات، ولكن المصادر الموثوقة الأخرى تؤكد موضع قبر الإمام علي في منطقة الغري، خارج منطقة الثوية التي دفن فيها المغيرة بن شعبة وغيره من الصحابة والتابعين الذين عاشوا في مدينة الكوفة، وذكر السيد ابن طاووس (ت٦٩٣هـ) عن زيد بن طلحة قال: قال لي أبو عبد الله عليه السلام – يقصد بذلك الإمام جعفر بن محمد الصادق – وهو بالحيرة أما تريد ما وعدتك قال: قلت: بلى يعني الذهاب إلى زيارة قبر أمير المؤمنين علي عليه السلام.

قال: فركب وركب إسماعيل معه، وركبت معهم حتى إذا جاز الثوية، فكان بين الحيرة والنجف عند ذكوات بيض، ونزل إسماعيل، ونزلت معهم، فصلى إسماعيل وصليت[4]. وقد حدد الإمام الصادق عليه السلام لبعض صحابته موضع قبر الإمام علي عليه السلام لبعض صحابته من منطقتي الثوية والغري بقوله: ((إذا خرجتم، فجزتم الثوية والقائم، وصرتم على النجف على غلوة أو غلوتين. رأيتم ذكوات بيضا بينها قبر جرفه السيل، فذاك قبر أمير المؤمنين))[5]. وهذا التحديد الذي ذكره الإمام

(١) الخطيب البغدادي: تاريخ بغداد ١/١٣٨.

(٢) ن. م ١/١٩٣.

(٣) ن. م ١/١٣٨.

(٤) ابن طاووس: فرحة الغري ص٥٢.

(٥) ن. م ص٨٣.

الصادق عليه السلام كان دقيقا، لان الإنسان إذا اجتاز الثوية والقائم، وهي منطقة الحنانة في الوقت الحاضر، قد وصل إلى حدود الغري أو النجف، تراءت له المرفقات التي هي الذكوات البيض التي يقع بينها قبر الإمام عليه السلام[1]. وقد أزال المؤرخ المعتزلي ابن أبي الحديد (ت٦٥٦هـ) الخلط والوهم الذي وقع فيه الخطيب البغدادي وغيره من المؤرخين بالقول: قال أبو الغنائم محمد بن علي بن ميمون الرسي المقرئ المتوفى عام ٥١٠: مات بالكوفة ثلاثمائة صحابي ليس قبر احد منهم معروفا إلا قبر أمير المؤمنين، وهو هذا القبر الذي يزوره الناس الآن، جاء جعفر بن محمد عليه السلام، وأبوه محمد بن علي بن الحسين عليهما السلام فزاره، ولم يكن إذ ذاك قبرا معروفا ظاهراً، وإنما كان به سرح عضاه، حتى جاء محمد بن زيد الداعي صاحب الديلم فاظهر القبة، وسالت بعض من أثق به من عقلاء شيوخ أهل الكوفة عما ذكره الخطيب أبو بكر في تاريخه: إن قوما يقولون: إن هذا القبر الذي تزوره الشيعة إلى جانب الغري هو قبر المغيرة بن شعبة، فقالوا أغلطوا في ذلك قبر المغيرة وقبر زياد بالثوية من أرض الكوفة ونحن نعرفهما وننقل ذلك عن آبائنا وأجدادنا[2]. إن من الصواب، وبعد النظر، أن يوصي الإمام علي عليه السلام، بنيه بالدفن في منطقة الغري خارج منطقة الثوية، وان يعفى موضع قبره خشية من امتداد يد العابثين من أعدائه، إذ انه لم يدر بخلد احد من الناس. أو من الكوفيين بالذات، انه قد دفن بالغري، لان المتعارف عليه أن الموتى من أهل الكوفة، يدفعون في الثوية، أو في جبانة من جبانات الكوفة، وقد بقى مرقد الإمام عليه السلام مخفيا طيلة العهد الأموي (٤٠-١٣٢هـ) و جزءاً من العهد العباسي، يقول ابن أبي الحديد: ((ولم يعلم دفنه على الحقيقة إلا بنوه والخواص المخلصون من أصحابه، فإنهم خرجوا به عليه السلام وقت السحر في الليلة الحادية والعشرين من شهر رمضان فدفنوه على النجف بالموضع المعروف بالغري بوصاة منه عليه السلام إليهم في ذلك وعهد كان إليه وعمي موضع قبره على الناس))[3].

---

(١) ابن منظور: لسان العرب ١٣٢/١٥.
(٢) ابن أبي الحديد: شرح نهج البلاغة ٦٤/٢.
(٣) ن. م ٣٦٤/١.

ومن المحتمل إن تكون منطقة الحنانة حدا فاصلا بين الغري والثوية، وقد مر جثمان الإمام عليه السلام بهذه المنطقة وهو في طريقه إلى الغري، يقول ماسنيون: إن مسجد الحنانة هو الموضع الذي وضع فيه جثمان علي[1]. كما انه وضع فيه رأس الحسين عليه السلام، ورؤوس أبنائه وأصحابه قبل الدخول بها مدينة الكوفة، وقد روى محمد بن أبي عمير عن المفضل بن عمر قوله: ((جاز الإمام الصادق عليه السلام بالقائم المائل، في طريق الغري، فصلى ركعتين فقيل له: ما هذه الصلاة ؟ فقال: هذا موضع رأس جدي الحسين بن علي عليه السلام وضعوه هنا توجهوا من كربلاء ثم حملوه إلى عبيد الله بن زياد))[2]. وذكر ابن طاووس: إن الإمام الصادق عليه السلام أوصى المفضل إن يصلي في ((الجبانة)) ركعتين لأنها موضع رأس الحسين عليه السلام، كما ورد في النص نفسه كلمة ((الجبانة))[3]. واني أرى إن الحنانة المتعارف عليها بين الناس، هي مصحفة من الجبانة على اعتبار أنها جزء من الثوية التي هي في الأساس مقبرة أو جبانة الكوفة أما مرقد أمير المؤمنين عليه السلام فانه فوق الثوية قليلا كما يقول أبو القاسم جعفر بن محمد المعروف بابن قولويه (ت٣٦٨هـ) فان المسافة بين المرقد الشريف ومسجد الحنانة لا يزيد عن كيلو مترين في الوقت الحاضر، أما مرقد المغيرة بن شعبة فهو في الثوية لا في الغري كما أوضحته المصادر الموثوقة، كما دفن في الثوية أيضا أبو موسى الاشعري[4]. وقد ذكرت بعض المصادر إن المغيرة بن شعبة مات بالكوفة عام خمسين للهجرة، وذلك في عهد معاوية بن أبي سفيان. دون أن تحدد موضع قبره[5]. قال ابن أبي الحديد: سالت قطب الدين نقيب الطالبيين أبا عبد الله بن الحسين الاقساسي عن ذلك، فقال: صدق من أخبرك

---

(١) ماسنيون: خطط الكوفة ص٦.

(٢) المجلسي: بحار الأنوار ١٠٠ / ٢٨٢.

(٣) ابن طاووس: مصباح الزائر ص٦١.

(٤) ابن منظور: لسان العرب ١٢٧/١٤، الزبيدي: تاج العروس ٦٤/١٠، الطريحي: مجمع البحرين ٧٩/١.

(٥) الحاكم النيسابوري: المستدرك على الصحيحين ٤٤٨/٣.

ونحن وأهلها كافه - يقصد أهل الكوفة - نعرف مقابر ثقيف بالثوية، وهي إلى اليوم معروفة، وقبر المغيرة فيها، ألا أنها لا تعرف قد ابتعلها السبخ وزيد الأرض وفورانها فطمت، واختلط بعضها ببعض(١). وقد أورد أبو الفرج الأصفهاني نصا جاء فيه: انه كان بين المغيرة بن شعبة، وبين مصقلة بن هبيرة الشيباني تنازع، الأمر الذي دعا مصقلة أن يغادر الكوفة، ولا يقيم ببلدة فيها المغيرة، فخرج إلى بني شيبان إلى أن توفي المغيرة، فعاد إلى الكوفة فسال عن مقابر ثقيف فأرشدوه، وقد ظن الناس انه سوف يرجم قبر المغيرة بالحجارة، ولكنه وقف على قبره وقال: والله لقد كنت ما عملت نافعا لصديقك صابرا لعدوك وما مثلك إلا كما قال مهلهل في أخيه كليب(٢).

إن تحت الأحجار حزما وعزما ... وخصيما ألد ذا مغلاق
حية في الوجار اربد لا ينفع ... منه السليم نفث الراقي

إن مثل هذه النصوص تقطع في تحديد موقع مرقد المغيرة بن شعبة في الثوية مع قبور الثقفيين والقرشيين وغيرهم، من أمثال: أبي موسى الاشعري وزياد بن أبيه(٣). وقد أشار حارثة بن بدر الغداني في رثائه للمغيرة وإلى قبره في الثوية قائلا(٤):

أبا المغيرة والدنيا مغيرة ... وان من غرت الدنيا لمغرور
قد كان عندك للمعروف معرفة ... وكان عندك للنكراء تنكير
وكنت تؤتى فتؤتي الخير من سعة ... إن كان قبرك أمسى وهو مهجور
صلى الإله على قبر بمحنية ... دون الثوية يسعى فوقه المور

(١) ابن أبي الحديد: شرح نهج البلاغة ٦٤/٢.
(٢) أبو الفرج الأصفهاني: الأغاني ١٤٤/١٤.
(٣) البغدادي: مراصد الاطلاع ٣٠٢/١.
(٤) الجاحظ: الحيوان ١٥٩/٧، ابن أبي الحديد: شرح نهج البلاغة ٤٦/٢، ياقوت: معجم البلدان ٩٤٠/١.

ويقول المؤرخ الطبري: لما حضرت زيادا الوفاة قال له ابنه: يا أبت قد هيأت لك ستين ثوبا اكفنك فيها، قال: يا بني قدنا من أبيك لباس خير من لباسه هذا أو سلب سريع، فمات فدفن بالثوية إلى جانب الكوفة(١). ويقول المسعودي: انه دفن بالثوية من أرض الكوفة(٢). ومن الجدير بالذكر إن زياد بن أبيه توفي عام ٥٣هـ، وقد تولى ولاية الكوفة من قبل معاوية بن أبي سفيان، قد دفن بالقرب منه في الثوية الأحنف بن قيس عام ٦٧هـ(٣).

ومن الثابت إن كثيرا من الصحابة والتابعين قد دفنوا بالثوية، يقول ابن خلكان: إن في موضع الثوية قبور جماعة من الصحابة وغيرهم(٤). ويقول المجلسي: إن في الثوية قبور خواص أمير المؤمنين عليه السلام(٥). ويقول القزويني: إن أصحاب أمير المؤمنين جملة في قلعة الحنانة من الغري(٦). وفي الحقيقة إن الحنانة هي في نهاية الثوية ومنها تبتدئ منطقة الغري، وقد ذكرت بعض المصادر: إن قسما من الصحابة قد دفنوا بظهر الكوفة، ولعل المراد بذلك منطقة الثوية التي تعتبر بداية لظهر الكوفة ما وراء الخندق، ومن هؤلاء الصحابي خباب بن الارت المتوفى عام ٣٧هـ. وقد اختلف المؤرخون في تحديد تاريخ وفاته، فالمؤرخ الطبري يذكر رواية عن قدامه بن العجلان الازدي انه قال للإمام علي عليه السلام: يا أمير المؤمنين إن خباب بن الارت توفي بعد مخرجك - أي من الكوفة إلى صفين - فأوصى أن يدفن في الظهر، وكان الناس إنما يدفنون في دورهم وافنيتهم، فدفن بالظهر، ودفن الناس إلى جنبه(٧). ولكن المصادر الأخرى تقول: إن خباب بن

---

(١) الطبري: التاريخ ٥/٢٩٠.

(٢) المسعودي: مروج الذهب ٣/٣٥.

(٣) ابن قتيبة: المعارف ص٤٢٤، ابن خلكان: وفيات الأعيان ٢/٥٠٤.

(٤) ابن خلكان: وفيات الأعيان ٢/٥٠٦.

(٥) البراقي: تاريخ الكوفة ص٦٨.

(٦) القزويني: فلك النجاة ص٣٣٦.

(٧) الطبري: التاريخ ٥/٦١، الأصفهاني: حلية الأولياء ١/١٤٧.

الارت مات بعد منصرف الإمام علي عليه السلام من صفين، وكان قد صلى عليه، ودفنه بظهر الكوفة[1]. ودفن في هذه المنطقة قرظه بن كعب[2]. وسهل بن حنيف[3]. وعبد الله بن يقطر[4]. وعبد الله بن أبي أوفى[5]. وكميل بن زياد النخعي، ولم يبق من قبور هؤلاء الصحابة والتابعين في الوقت الحاضر سوى مرقد كميل بن زياد المتوفى عام ٨٢هـ، وقيل عام ٨٨هـ[6]. وقد كان كميل بن زياد قد شهد مع الإمام علي عليه السلام موقعة صفين، وأصبح واليه على مدينة هيت، وقد قتل بأمر من الحجاج بن يوسف الثقفي[7]. وقد استطاع احد المتصوفة من إبراز قبره وبناء قبة عليه[8]. ثم أجريت على القبر توسيعات كثيرة حتى أصبح من المساجد العامرة في منطقة الحنانة، إحدى الأحياء الجديدة في مدينة النجف الاشرف.

(١) ابن سعد: الطبقات الكبرى ٣/١٦٧، ٦/١٤، ابن عبد البر: الاستيعاب ٦/٤٢٤ الحسيني: الدرجات الرفيعة ص٤٠٥.

(٢) ابن سعد: الطبقات الكبرى ٦/١٧.

(٣) ابن عبد البر: الاستيعاب ٢/٦٦٢- ٦٦٣.

(٤) أبو علي: منتهى المقال في أحوال الرجال ص١٩٥.

(٥) ابن حجر: الإصابة ٢/٢٧٩ – ٢٨٥.

(٦) ن. م ٣/٣١٨.

(٧) ن. م.

(٨) محبوبة: ماضي النجف وحاضرها ١/٢٤٧.

قصور الكوفة في الإسلام

المقدمة:

كانت منطقة الحيرة وظهرها المعروف اليوم بأرض النجف قد بنيت فيها القصور العائدة لدولة المناذرة في عصر ما قبل الإسلام، ولكن عند تخطيط مدينة الكوفة عام ١٧هـ، بنيت فيها قصور تعود إلى وقت مبكر من تأسيس الكوفة وهي:

١ـ قصر الكوفة أو قصر الإمارة

شيد هذا القصر سعد بن أبي وقاص بعد موقعة القادسية وتحرير الحيرة من النفوذ الفارسي، وذلك عام ١٧هـ، وكان يدعى مرة بقصر الكوفة، ومرة أخرى بقصر سعد وقد بناه بحيال محراب مسجد الكوفة وجعل فيه بيت المال، يقول الطبري: وقد بنى سعد في الذين خطوا للقصر قصرا بحيال محراب الكوفة، فشيده وجعل فيه بيت المال، وسكن ناحيته ثم إن بيت المال نقب عليه نقبا، واخذ من المال وكتب سعد بذلك إلى عمر، ووصف له موضع الدار وبيوت المال من الصحن من يلي ودعة الدار فكتب إليه عمر: أن انقل المسجد حتى تضعه إلى جنب الدار، واجعل الدار قبلته فان للمسجد أهلا بالنهار وبالليل وفيهم حصن لمالهم[1]، وكان قد بناه رجل من أهل همذان يقال له روزبه بن بزر جمهر، وقد قال لسعد بن أبي وقاص: ابني لك قصرا فاصلهما ويكون بنيانا واحدا، فخط قصر الكوفة على ما خط عليه ثم أنشاه من نقض اجر قصر كان للأكاسرة في ضواحي الحيرة على مساحته اليوم[2]، ولم يوضح الطبري أي قصر من قصور الحيرة التي اشرنا إليها قد نقضه سعد وبني باجره قصر الكوفة، ويبدو إن عمر بن الخطاب قد طرقت أسماعه أحاديث تشير إلى اتخاذ سعد هذا القصر حصنا، فكتب إليه كتابا دفعه إلى محمد بن مسلمة جاء فيه: بلغني انك بنيت قصرا اتخذته

---

(١) الطبري: التاريخ: ٤/٤٦.

(٢) ن.م.

حصنا ويسمى قصر سعد وجعلت بينك وبين الناس بابا فليس بقصرك، ولكنه قصر الخبال انزل منه منزلا مما يلي بيوت الأموال وأغلقه ولا تجعل على القصر بابا تمنع الناس من دخوله وتنفيهم به عن حقوقهم ليوافقوا مجلسك ومخرجك من دارك إذا خرجت(1)، ولكن سعدا نفي ما شيع عنه، وعاد محمد بن مسلمة إلى المدينة، ويقول الطبري: انه كان لعمر أربعة آلاف فرس عدة لكون إن كان، يثبتها في قبلة قصر الكوفة ومسيرته، ومن اجل ذلك يسمى ذلك المكان الاري وبقي هذا الاسم حتى عصر المؤرخ الطبري (ت٣١٠هـ)(2).

يقع قصر الكوفة في الواجهة الجنوبية من مسجدها الكبير مع انحراف قليل نحو الشرق، وتحيط بالقصر السكك والشوارع كسكة دار الروميين، وتمتد الأسواق من القصر والمسجد إلى الدور والمنازل، ويطل الميدان على القصر من جهة الغرب على رحبة الإمام علي بن أبي طالب عليه السلام(3).

ولما قدم الإمام علي عليه السلام مدينة الكوفة بعد فراغه من موقعة الجمل في البصرة عام ٣٦هـ استقبله أهلها وقالوا: يا أمير المؤمنين أين تنزل؟ أتنزل القصر فقال: لا ولكني انزل الرحبة فنزلها، واقبل حتى دخل المسجد الأعظم فصلى فيه ركعتين(4). وبعد ذلك نزل داراً تجاور قصر الإمارة وقد زار هذه الدار كل من الرحالتين العربيين ابن جبير وابن بطوطة وحددا دار بيت الإمام علي عليه السلام انه خارج مسجد الكوفة، وانه البيت الذي غسل فيه(5). ولا تزال دار الإمام تجاور دار الإمارة حتى الوقت الحاضر، وكانت بعض المصادر تشير إلى إن زياد بن أبيه هو الذي بنى مسجد الكوفة وقصرها ولكن هذا لا يستقيم مع النصوص التاريخية السابقة لعهد زياد بن أبيه.

---

(1) الطبري: التاريخ: ٤/٤٦- ٤٧.

(2) ن. م: ٤/٢٥.

(3) ماسنيون: خطط الكوفة ص٩٤.

(4) نصر بن مزاحم: وقعة صفين ص٣.

(5) ابن جبير: الرحلة ص١٦٨، ابن بطولة: الرحلة ١/١٣٨.

وفي عام ٦٦هـ كان المختار بن أبي عبيد الثقفي قد أحاط بقصر الإمارة في سبيل انتزاعه من أيدي الزبيريين[١]. وقد تمكن من دخوله والمبيت فيه، وقد أصبح الناس في المسجد وعلى باب القصر[٢].

وكان الوالي الزبيري عبد الله بن مطيع قد حاصره المختار في هذا القصر ومعه ثلاثة آلاف وثمانمائة رجل فأعطى المختار كل رجل خمسمائة درهم وأعطى ستة آلاف من أصحابه الذين أتوه بعدما أحاطوا بالقصر[٣].

وقد أشار عبد الله بن همام إلى اقتحام المختار بن أبي عبيد الثقفي لقصر الإمارة بقوله:

أضحت سليمى بعد طول عتاب ... وتجرم ونقاد غرب شباب
قد أزمعت بصريمتي وتجنبي ... وتهوك من ذاك في أعتاب
لما رأيت القصر أغلق بابه ... وتوسلت همدان بالأسباب

وأشار إلى طرد الوالي الزبيري من هذا القصر بقوله[٤]:

فحوصر في دار الإمارة بائيا ... بذل وارغام له وخضوع

ولكن مصعب بن الزبير في عام ٦٧هـ تمكن من انتزاع القصر من أيدي المختار الثقفي، بعد حصار شديد استسلم بعده أنصار المختار فأقدم مصعب على قتلهم جميعا بعد أن أعطى لهم الأمان[٥]. وفي عام ٧٧هـ خرج الحجاج بن يوسف الثقفي من هذا القصر لقتال الخوارج بعد دخول شبيب الخارجي مدينة الكوفة[٦].

---

(١) أبو يوسف: الخراج ص٦٠.

(٢) الطبري: التاريخ ٦/١٩- ٢٩.

(٣) المصدر نفسه ٦/٣٢.

(٤) الطبري: التاريخ ٦/٣٣.

(٥) المصدر نفسه ٦/٣٥- ٣٨.

(٦) المصدر نفسه ٦/١١٥- ١١٦.

وكان قصر الإمارة قد شهد رؤوس عدد من الثوار في العصر الأموي، وكان رأس مصعب بن الزبير آخرها وقد وضع أمام عبد الملك بن مروان، فدخل عبيد الله بن عمر الليثي مبتسما فقال له عبد الملك مم تبسمت فقال: يا أمير المؤمنين أتيت عبيد الله بن زياد في هذا الإيوان بين يديه رأس الحسين بن علي عليه السلام ثم رأيت المختار وبين يديه رأس عبيد الله بن زياد في هذا الإيوان، ثم أتيت مصعب بن الزبير في هذا الإيوان وبين يديه رأس المختار بن أبي عبيد، ثم أراك وبين يديك رأس مصعب، فقام عبد الملك فزعاً من كلامه وأمر بهدم الإيوان فهدم[1]. ويقول القلقشندي[2]: فتطير منه ففارق مكانه، ولكن من الغريب أنْ نجد البلاذري يقول: إن زياد بن أبيه بنى مسجد الكوفة وبنى دار الإمارة. وربما قصد بذلك انه قام بتجديدهما، وقد كشف الحفائر في دار الإمارة، إلى أن بعض مرافقها تعود للعصر الأموي[3]. وكان عبيد الله بن زياد قد تحصن بقصر الإمارة وأمر أعوانه والشرط برمي القوم المويدين لمسلم بن عقيل بن أبي طالب رسول الإمام الحسين عليه السلام لأهل الكوفة بالمدر والنشاب لغرض منعهم من الدنو من القصر وقال عبيد الله بن زياد لأعوانه: ليشرف كل رجل في ناحية من سور القصر لتخويف القوم[4].

ويبدو إن قصر الإمارة فقد أهميته في العصر العباسي واخذ في الاندراس وقد وصفه ابن بطوطة عند زيارته للكوفة عام ٧٢٦هـ بالقول: أما دار الإمارة الذي بناه سعد بن أبي وقاص فلم يبق منه إلا أساسه[5]. وقد بدأت مديرية الآثار العامة سنة ١٩٣٨م الكشف عنه وعن جدرانه، وقد استطاع الآثاريون الكشف عن

---

(١) المصدر نفسه ٦ /١١٥- ١١٦ المقدسي: البدء والتاريخ ٦ / ٢٣- ٢٤، العمري: مسالك الأبصار ص٢٤٨.

(٢) القلقشندي: صبح الأعشى ٤٥٥/١.

(٣) البلاذري: فتوح البلدان ص٢٥٧.

(٤) الجنابي: تخطيط الكوفة ص١٣٥- ص١٣٦.

(٥) ابن بطوطة: الرحلة ١٣٨/١.

السور الخارجي للقصر والذي يتألف من أربعة جدران تقريبا طوليا ١٧٠× ١٧٠م ومعدل سمكها أربعة أمتار، وتدعم كل ضلع من الخارج ستة أبراج ونصف دائرية باستثناء الضلع الشمالي حيث يدعمها برجان فقط، وتنتهي الأركان الثلاثة الشمالية والجنوبية والغربية بثلاثة أبراج ماعدا الركن الشمالي الغربي فانه يتصل بسور المسجد، أما المسافات بين كل برج وآخر فكانت أربعة وعشرين مترا غير إن الغالب على هذه المسافات كان أربعة وعشرين مترا ويبدو إن ارتفاع هذا السور بأبراجه كان يصل إلى ما يقرب من عشرين مترا[١]. ويتألف دار الإمارة من بناء مربع الشكل طوله ٣٦، ١١٠× ٢٤، ١١٠م ومعدل سمك الجدران متر وثمانون سنتمتراً، وفي بعض أجزائه متران، وهذه الدار مشيدة بالآجر والجص وأضلاعها الأربعة تمتد بموازاة أضلاع السور الأربعة، وقد دعم كل ضلع منها بأربعة أبراج نصف دائرية قطر كل منها يبلغ ثلاثة أمتار موزعة على التناظر بحيث كانت المسافة بين كل برج وآخر ثمانية عشر مترا وثلاثين سنتمترا وأما أركانها الأربعة فتنتهي كل منها ببرج مستدير يقرب من ثلاثة أرباع الدائرة على أن مجموع هذه الأبراج الموزعة على جدرانها يصل إلى عشرين برجا[٢].

٢ـ قصر طمار:

ترتبط بعض أحداث هذا القصر بقصر الإمارة، ففي عام ٦٠هـ، أمر الوالي الأموي عبيد الله بن زياد بإلقاء مسلم بن عقيل من أعلى القصر إلى الأرض، وقد وصف هذا المشهد عبد الرحمن بن الزبير الاسدي بقوله[٣]:

فان كنت لاتدرين ما الموت فانظري ... إلى هانئ في السوق وابن عقيل
إلى بطل قد هشم السيف انفه ... وآخر يهوي من طمار قتيل
أصابهما ريب الزمان فأصبحا ... أحاديث من يسعى بكل سبيل

(١) الجنابي: تخطيط مدينة الكوفة ص١٣٨- ١٣٩.
(٢) الجنابي: تخطيط الكوفة ص١٤٣- ١٤٤.
(٣) الدينوري: الأخبار الطوال ص٢١٩.

ترى جسدا قد غير الموت لونه ونضح دم قد سال كل مسيل

ويبدو إن هذا القصر يجاور قصر الإمارة بدليل إن مرقد مسلم بن عقيل في الوقت الحاضر يقع خارج مسجد الكوفة ويجاور قصر الإمارة تماما، ولم يحدد موقع هذا القصر سوى القول: انه قصر بالكوفة(١).

٣ـ قصر العذيب:

نزل سعد بن أبي وقاص عام ١٤هـ، قصر العذيب، في الوقت الذي اقبل رستم في ستين ألفا، وذلك قبيل موقعة القادسية(٢). ولما التحم العرب المسلمون مع الفرس في القتال كان سعد في هذا القصر ينظر إلى مشاهد الحرب ومعه زوجته سلمى بنت خصفة، ولما جالت الخيل رعبت سلمى فقالت: وامثنياه ولا مثنى لي اليوم، فغضب سعد من كلامها ولطم وجهها فقالت: اغيرة وجبناً، ولما رأى أبو محجن ما تصنع الخيل حين جالت وهو في قصر العذيب قال(٣):

كفى حزناً أن ترتدي الخيل بالقنا واترك مشدودا عليّ وثاقيا
إذا قمت عناني الحديد وأغفلت مصاريع دوني لا تجيب مناديا
وقد كنت ذا مال كثير وأخوة فقد تركوني واحدا لا أخا ليا

٤ـ قصر إسماعيل بن عبد الله بدوران:

يقع هذا القصر خلف مسجد الكوفة وقد نزل فيه خالد بن عبد الله القسري بعد أن أطلق سراحه هشام بن عبد الملك عام ١٢٦هـ(٤).

---

(١) الجنابي: تخطيط الكوفة ص١٤٧.

(٢) الطبري: التاريخ ٣/٥٧٣.

(٣) الطبري: التاريخ ٣/٥٧٥.

(٤) المصدر نفسه ٢/٢٨

درب زبيدة أو طريق الحاج من الكوفة إلى مكة المكرمة

ترتبط مدينة الكوفة بالحجاز والشام بطرق تجارية قديمة، حتى سميت أحدى أبواب الكوفة بباب الشام، وقد أشار الحميري إلى ذلك بقوله: ((أن جزيرة العرب مما يلي الشرق في الخط الذي يخرج من ساحل ايلة فيمر مستقبل الشرق في أرض مدين إلى تبوك ودومة الجندل إلى البلقاء وتيماء ومآب، وهي كلها من الشام، ويمضي في وادي شيبان وتغلب وبكر ويتصل بالكوفة والنجف والقادسية والحيرة))[1]. وأشار إلى قدم هذا الطريق في عصر ما قبل الإسلام عبد المسيح بن عمرو بن بقيلة الغساني بقوله: ((ورأيت المرأة تخرج من الحيرة، وتضع قلتها على رأسها، لا تزود إلا رغيفا واحدا حتى تأتي الشام))[2]. وبعد أفول نجم الحيرة وتخطيط مدينة الكوفة عام ١٧هـ، حتى أصبحت القوافل تسلك هذا الطريق بدءا من الكوفة، وبما انه يؤدي إلى الديار المقدسة في الجزيرة العربية، فقد غلب عليه اسم ((طريق الحاج)) على باقي المسميات الأخرى، ويقول قدامة بن جعفر: ((إن طريق الحج يبدأ من بغداد إلى الكوفة، فالقادسية فعذيب ومنها إلى الصحراء))[3]. وقد ذكر هذا الطريق في المصادر بمسميات ثلاث هي:

١- طريق الحج.

٢- درب زبيدة.

٣- الطريق السلطانية.

وكان الحاج العراقي في العصور الإسلامية يسلكون هذا الطريق على هيئة قوافل، وقد عرف باسم (طريق الحاج) حتى العصر العباسي. فأصبح يعرف باسم (درب زبيدة) نسبة إلى السيدة زبيدة بنت جعفر العباسي، زوجة هارون الرشيد، والتي حفرت على طول الطريق آبارا وبركا، وقد أشار إليها الرحالة

(١) الحميري: الروض المعطار ص١٦٤.

(٢) الشريف المرتضى: الامالي ٢٦١/١.

(٣) قدامة بن جعفر: الخراج ص٧٨.

العربي ابن جبير عام ٥٨٠هـ يقول: ((والمياه فيها بحمد الله موجودة في المصانع كثيرة))[١]. وقد وصف هذه الآبار والبرك وصفا دقيقا بعد أن اطلع على معالمها، ومسالك الطريق بقوله: ((وهذه المصانع والبرك والآبار والمنازل التي من بغداد إلى مكة هي آثار زبيدة ابنة جعفر المنصور زوج هارون الرشيد وابن عمه، وانتدبت لذلك مدة حياتها، فأبقت في هذا الطريق مرافق ومنافع تعم وفد الله تعالى كل سنة من لدن وفاتها إلى الآن، ولولا آثارها الكريمة في ذلك لما سلكت هذا الطريق. والله كفيل بمجازاتها والرضا عنها))[٢]. وذكر الواقدي: إن السيدة زبيدة قد حجت عام ١٧٦هـ[٣]. ومن المحتمل إنها سلكت هذا الطريق، واطلعت بنفسها على آباره وبركه، ولعل أطلاق اسم ((الطريق السلطانية)) عليه لكثرة من سلكه من الخلفاء والسلاطين والأمراء والقادة في العصور العربية الإسلامية، ففي عام ٤٨٠هـ، قام السلطان ملكشاه السلجوقي (ت٤٨٥هـ) بحفر آبار الطريق، بعد أن ودع قوافل الحاج، وبنى منارة في منطقة السبيعي عرفت باسم ((منارة القرون))[٤]. ويقول السيد ابن طاووس (ت٦٩٣هـ) كان الخلفاء العباسيون يودعون الحاج بأنفسهم عند مدينة النجف، ففي عام ٥٩٧هـ تم توديع الحاج في هذه المدينة[٥]. وأشارت بعض المصادر إلى أن بعض الفقهاء والمحدثين كانوا يؤدون فريضة الزيارة لمرقد الإمام علي عليه السلام، ثم يواصلون السير إلى مكة المكرمة لأداء فريضة الحج، ففي عام ٢٨٦هـ سلك المحدث محمد بن يحيى الشيباني هذا الطريق، وفي عام ٤٥٢هـ أدى الفقيه أبو عبد الله جعفر بن محمد الدورستي فريضة الحج عبر هذا الطريق[٦]. وقد قال عنه ابن جبير: انه في ظهر الكوفة، وهو الحد

---

(١) ابن جبير: الرحلة ص١٦٣.

(٢) ن. م ص١٦٣- ١٦٧.

(٣) الطبري: التاريخ ٢٥٤/٨.

(٤) حسن إبراهيم حسن: تاريخ الإسلام السياسي ٥٦٠/٤.

(٥) ابن طاووس: فرحة الغري ص١١٠، ص١٣٠.

(٦) الطبري: بشارة المصطفى ص٧٨، انظر الكليدار: مدينة الحسين ٩٨/٢.

بينها وبين الصحراء[1]. وهو يقصد إن السالك هذا الطريق بدءا من مدينة النجف الاشرف – وهي ظهر الكوفة – يخترق صحراء شاسعة حتى وصوله إلى مكة. ولذا أصبح سلوكه في بعض الأحيان في غاية الخطورة بسبب غارات الأعراب على قوافل الحاج، مما يضطرهم في بعض السنين إلى العودة إلى مدينة بغداد عن طريق الشام كما في الأعوام ٤١٤، ٤١٥، ٥٦٤هـ[2]. وقد تعطلت فريضة الحج عند تعرض القوافل إلى مضايقات الأعراب كما في السنوات ٣١٥، ٤٠١، ٤٠٣، ٤٠٧، ٤١٠، ٤١١، ٤١٢، ٤١٦، ٤١٧، ٤١٨، ٤١٩، ٤٢٠، ٤٢١، ٤٢٢، ٤٢٤، ٤٢٦، ٤٣٠هـ[3].فيعود الحاج إلى الكوفة دون مواصلة الطريق إلى مكة. وكانت قبيلة خفاجة قد تصدت لقوافل الحاج، ونهبت الأمتعة والأموال في الأعوام ٢٦٩، ٢٨٥، ٣٠٢، ٣٢٥، ٣٨٤، ٤٠٢، ٤٠٣، ٤١٤، ٤٢٣، ٤٥٧، ٤٧٨، ٤٧٩ ٤٤٥، ٤٨٥، ٥٥٨، ٥٦٣، ٥٧١هـ. ويشاركها قي التصدي جماعات أخرى من الأعراب[4]. وفي عام ٣٢٣هـ تعرضت قوافل الحاج إلى النهب والسلب من قبل القرامطة، مما عطل أداء فريضة الحج في هذه السنة، وإزاء هذه الحالة كان بعض المتعهدين يأخذون على أنفسهم ضمانا بإيصال قوافل الحاج سالمة عبر هذا الطريق. وتقديم الخدمات اللازمة للحجاج كما في السنوات ٣٨٢، ٤٢٣، ٥١٦، ٥٧٣هـ[5].

وبقي طريق الحاج يسلك بعد العصر العباسي، ففي عام ٧٢٧هـ وصفه الرحالة العربي ابن بطوطة، وأشار إلى الآبار والمياه والمنازل، وهو وصف يلتقي

---

(١) ابن جبير: الرحلة ص١٦٧.

(٢) ابن الجوزي: المنتظم ٨/١٣، ١٩، ١٠/٢١٨.

(٣)ن. م ٦/٢١٠، ٧/٢٥٢، ٢٦٢، ٢٨٤، ٢٩٢، ٣٠١، ٨/٢، ١٦، ٢٢، ٢٥، ٣١، ٣٦، ٤٥، ٥١، ٦٠، ٦٧، ٨٣، ١٠٠.

(٤) الطبري: التاريخ ٩/٦١٣، ١٠/١٥١، ابن الجوزي: المنتظم ٥/ ق٢/ ٦٥، ٧ /٢٦٨، ٩/ ٦٣، ١٠/٢٠٦، ٢٢٢، ٢٦٠.

(٥) ابن الجوزي: المنتظم ٧/ ١٧٠، ٨/٦٩، ٩/٢٣٢، ١٠/٢٧٣.

مع وصف ابن جبير الذي سبقه بما يقرب من قرن ونصف[1]. وفي عهد الدولتين الجلائرية والتركمانية، كانت القوافل تسير عبر هذا الطريق، وهي حاملة المحمل والآية المذهبة، ولكن في عام ٨٥٧هـ اعترض المولى علي المشعشعي قوافل الحاج ونهب الأموال والدواب[2]. ولكن في العصر العثماني تحسنت أحوال الطريق واستتب الأمن فيه، ففي عام ١١٣١هـ، أمر الوالي العثماني حسن باشا، سقاة الماء بمرافقة قوافل الحاج[3]. وفي عام ١١٤٩هـ تم الاتفاق بين الحكومة العثمانية والحكومة الفارسية على سلوك الحاج هذا الطريق بدءا من مدينة النجف الاشرف بدلا من الشام، وعلى أن يحرص والي بغداد على امن الحاج وحمايتهم[4]. واخذ هذا الطريق يمر بمراحل رئيسية ثلاث هي:

١ـ مرحلة النجف ـ الشبكة:

تقع في المسافة الممتدة بين النجف والشبكة آبار وبرك هي: أم القرون، عائشة، وحمد، ومغيشة، والحمام، والمساجد، والعمية، وقد وصف الرحالة ابن جبير المنارة الواقعة في بركة أم القرون بقوله: إنها في بيداء من الأرض لأبناء حولها قد قامت في الأرض كأنها عمود مخروط من الآجر، قد تداخل فيها من الخواتيم الآجرية مثمنة ومربعة، وأشكال بديعة ومن الغريب إنها مجللة كلها بقرون غزلان مثبتة فيها، تلوح كظهر الشيهم، وعلى مقربة من هذه المنارة قصر ذو بروج مشيدة، وبإزائه مصنع عظيم وجد مملوء بالماء[5]. وبقيت هذه المنارة قائمة بعد ذلك بمدة طويلة، ومازال اسم ((أم القرون)) معروفا عند سكان المنطقة.

---

(١) ابن بطوطة: الرحلة ١/١٠٦- ١٠٩.

(٢) جاسم شبر: تاريخ المشعشعيين ص٥١.

(٣) السويدي: حديقة الزوراء ١/٨٢.

(٤) علاء نورس: العراق في العهد العثماني ص١٨٣.

(٥) ابن جبير: الرحلة ص١٦٧.

٢ـ مرحلة الشبكة ـ حائل:

تبدأ آبار شراف من منطقة الشبكة، وهي آبار عذبة حفر بعضها في عهدي المنصور والرشيد. وآبار واكصة، وهي عذبة أيضا، وآبار عيدها والجميمة، وتأتي بعدها برك منها: بركة زبالة، وبركة العصافير، وبركة الشيحيات وآبار الشعيبة[١].

وأشار ابن جبير إلى ثلاثة مناهل للمياه في هذه المنطقة هي: زبالة، واقصة، ومنهل من ماء الفرات على مقربة من الكوفة[٢]. وقال إن زبالة قرية معمورة، وفيها قصر مشيد من قصور الأعراب، ووصف واقصة بأنها وهذه من الأرض منفسحة فيها مصانع للماء مملوءة، وقصر كبير وبإزائه اثر بناء، وهي معمورة بالأعراب.

وحدد ابن جبير المسير بينها وبين الكوفة ثلاثة أيام، وبها يلتقي الحاج كثير من أهل الكوفة وهم مستجلبون إليهم الدقيق والخبز والتمر والادم والفواكه الحاضرة في ذلك الوقت[٣].

٣ـ مرحلة حائل ـ المدينة المنورة:

إن المسير من حائل باتجاه المدينة المنورة لابد من المرور بقرية المهاش وفيها آبار ونخيل وزراعة، ثم المرور بقرى زراعية أخرى حتى الوصول إلى المدينة المنورة[٤]. ومن الجدير بالذكر أن جبل حائل في العصر العثماني، والربع الأول من القرن العشرين كان يحكم من قبل إمارة آل رشيد، وقد تعرضت الكثير من البرك والمنازل إلى الخراب في هذه الفترة على يد الوهابيين، ولم يبق منها الابركة لأنها كانت مشيدة من الحجر، وقد وصفها ((لجمن)) في مذكراته قائلا: ((إن

---

(١) كاظم موسى: تاريخ الاستكشافات الجغرافية ص١٢٢، ص١٢٤.

(٢) ابن جبير: الرحالة ص١٦٤.

(٣) ن. م ص١٦٦.

(٤) كاظم موسى: تاريخ الاستكشافات الجغرافية ص١٢٥ – ص١٢٦.

مساحتها تسعون قدما وعمقها عشرون قدما، وينزل إليها بواسطة سلم فيصل إلى العقر لسقي الدواب))[1].

وكان للحاج في العهد العثماني أمير من أهالي مدينة النجف الاشرف، حيث تولى الإمارة فترة من الوقت الشيخ عبد الواحد الكعبي (ت١١٥٠هـ) أو أحد أمراء آل رشيد، أو أمراء حائل، وكان آخرهم ابن سبهان[2]. ويقول الشيخ جعفر محبوبة: انه في زمن إمارة آل رشيد على جبل طيء، تأتي راية خاصة مع قافلة كبيرة في أكثر من سنة آلاف بعير مع زعيم خاص ممن يعتمد عليه زعماء آل رشيد لنقل المجتمعين في الخسف[3]. ولكن على الرغم من هذه الحماية، كان الوهابيون يعرضون القوافل للخطر، وحينما أصبح الطريق غير مأمون المسالك، جعل بعض علماء النجف يصدرون الفتاوى عام ١٣٢٠هـ/١٩٠٢م بتحريم السفر فيه[4]. ويقول الأستاذ الخاقاني: حرم الإمام الشيخ الشربياني على الحجاج العراقيين وغيرهم سلوك الطريق البري بين النجف وحائل بسبب تكرار الاعتداء من البدو على الحجاج، فانقطع الطريق، وامتنع الحجاج مدة ثلاث سنين، وبعد أن تعهد أمير حائل ابن رشيد للحكومة العثمانية بالمحافظة إلى أرواح الحجاج وأموالهم، وعند ذلك وافق الإمام الشيخ محمد الشربياني وأفتى بإباحة الطريق، فاستؤنف السير فيه[5].

وكان لطريق الحاج البري أهمية كبيرة من الجانبين الديني والاقتصادي لمدينة الكوفة في العصور الإسلامية، ولمدينة النجف الحديثة فقد اكسبها هذا الطريق نشاطا اقتصاديا ملحوظا مما جعلها ميناءا بريا، وواسطة بين العراق ونجد[6].

---

(١) لجمن: مذكراته، مجلة المورد، المجلد الثالث، العدد الرابع لسنة ١٣٩٤هـ/١٩٧٤م.

(٢) الشرقي: الأحلام ص٦٩.

(٣) محبوبة: ماضي النجف وحاضرها ٤٠٥/١.

(٤) عبد الرحيم محمد علي: الرهيمة ص٥١.

(٥) الخاقاني: مقدمة كتاب ((مشاهدات ومعلومات)) للسيد محمد علي كمال الدين ص٣.

(٦) محبوبة: ماضي النجف وحاضرها ٤٠٥/١.

ويقول الدكتور إبراهيم شريف: ((وإذا راعينا من جهة أن النجف كانت أيضا مركزا رئيسيا للمواصلات مع داخل الجزيرة العربية منذ أوائل القرن التاسع الميلادي على الأقل فانه يستنتج إن لموقعها مزايا خاصة تؤهلها لذلك))[1]. وهذا قد ساعد على توسيع تجارتها مع حائل بصورة خاصة. وأخذت قوافل البدو تأتي إلى مدينة النجف من وقت لآخر تمتار منها. وذلك عن طريق الحج البري، وبسبب هذه العلاقة التجارية الوثيقة نزحت بعض الأسر النجفية إلى مدينة حائل. وأنشأت لها محال تجارية فيها. وشغلت في المدينة منطقة سميت بمحلة المشاهدة نسبة لأهالي مدينة النجف[2]. كما إن مدينة حائل كانت طريقا إلى مدينة النجف[3]. وهذا يعني إن جسرا بريا كان يربط النجف بحائل عبر البادية أو الطريق المؤدي إلى الديار المقدسة.

(١) إبراهيم شريف: الموقع الجغرافي للعراق ١٩٤/١.

(٢) الحبوبي: ديوان السيد محمد سعيد الحبوبي ص٢٦.

(٣) الريحاني: الأعمال العربية الكاملة ٢٨٢/٥.

ملامح خططية في مرويات الطبري عن مدينة الكوفة

خططت مدينة الكوفة عام ١٧هـ، بعد فراغ المسلمين من موقعة القادسية التي أنهت الوجود الفارسي من وسط وجنوب العراق عام ١٥هـ، وكان لابد أن يستقر الجند في منطقة قريبة من ميادين المعركة، فوقع الاختيار على موضع الكوفة، المشرف على الصحراء من جانب، وعلى الفرات من جانب آخر، وقد تناول المؤرخ أبو جعفر محمد بن جرير الطبري (ت٣١٠هـ) في كتابه ((تاريخ الرسل والملوك)) خطط مدينة الكوفة، فضلاً لأحداثها السياسية والاجتماعية والاقتصادية، فقال: إن منطقة الكوفة هي ((دار جهاد وهجرة))، وقد اعتاد العرب المسلمون عند تخطيط المدن، أن يبدءوا بموضع ((المسجد الجامع)) ومن ثم ((دار الإمارة)) وبيت المال والمؤسسات الخططية الأخرى من أسواق ودروب وسكك ومساجد ومقابر وغيرها، وقد تولى مهمة التخطيط أبو الهياج بن مالك فيقول الطبري: ((أول شيء خط بالكوفة، وبني حين عزموا على البناء المسجد، ثم قام رجل في وسطه رام شديد النزع فرمى عن يمينه فأمر من شاء أن يبني وراء موقع ذلك السهم، ورمى من بين يديه، ومن خلفه، وأمر من شاء إن يبني وراء موقع السهمين، فترك المسجد في مربعة علوه من كل جوانبه وبنى مظلة في مقدمه ليست لها مجنبات ولا مؤخرة والمربعة لاجتماع الناس لئلا يزدحموا، كذلك كانت المساجد ماخلا المسجد الحرام، فكانوا لا يشبهون به المساجد تعظيماً لحرمته، وكانت ظلته مائتي ذراع على أساطين رخام)). وتدل عبارة الطبري ((ليست لها مجنبات)) إن المسجد في بدء تخطيطه لم يكن مبنياً من الآجر، وإنما من القصب، حيث ان الجالس فيه يرى ((دير هند)) الواقع على الخندق. وكان مسجد الكوفة ملتقى المسلمين سواء على صعيد الحلقات العلمية، أو الأغراض العسكرية، أو المشاكل الاجتماعية، أما ((دار الإمارة)) فهو يلاصق المسجد الكبير، فيقول الطبري: ((وبنى سعد بن أبي وقاص قصر الإمارة بحيال محراب مسجد الكوفة، وجعل فيه بيت المال، وقد اتخذه مسكناً، وكتب إلى عمر بن الخطاب بذلك،

وتلقى من عمر رسالة يطلب منه إن يكون القصر في قبلة. المسجد الجامع، وتشير بقايا القصر في الوقت الحاضر إلى حقيقة هذا الموضع، فانه يقع في الزاوية الجنوبية الغربية من مسجد الكوفة، وأمامها رحبة واسعة يطل عليها البيت الذي كان يسكنه الإمام على عليه السلام عند اتخاذه الكوفة عاصمة للمسلمين عام ٣٦هـ، بعد أن رفض السكن في قصر الإمارة، وقد وقف المستشرق الفرنسي ((لويس ماسنيون)) على آثار مدينة الكوفة وما بقي من خططها، ودونها في كتابه ((خطط الكوفة)) مستعيناً بمرويات المؤرخ الطبري، وغيره من المؤرخين. وكانت ((المناهج)) وهي الفواصل بين صفوف الخيام، تشكل جانبا من خطط مدينة الكوفة، فقد طلب سعد بن أبي وقاص أن يكون المنهج الواحد في أربعين ذراعاً، وما بين منهج وآخر أكثر من عشرين ذراعاً، أما السكك فتكون في سبعة اذرع، وقد وزعت القبائل العربية على المناهج والسكك، وخصص لقبائل اليمن، الجانب الشرقي من مدينة الكوفة، فيقول الطبري: انه يقع بين الفرات والمسجد، وكان اختيار أهل اليمن بسكنى الجانب الشرقي يعود لكثرة عددهم، وحدد الطبري خمسة مناهج في شمال مسجد الكوفة، وأربعة في جنوبه، وثلاثة في شرقه، وثلاثة في غربه، وقد وضع كل قبيلة في منهج محدد، فذكر كلاً من: (سليم، ثقيف، همدان، بجيلة، تميم، محارب، عامر، جديلة، جهينة، اللفيف، الأنصار)[1]، وكان المؤرخ الطبري دقيقا في توزيع القبائل العربية على المناهج فيقول: إن المحاربين والقادة حين عودتهم من العمليات العسكرية ومن مناطق الثغور فان لهم منازل محددة وراء المسجد. وكانت السلطة الإدارية قد خولت النسابين من أمثال سعيد بن نمران، ومثلبة بن نعيم بتعديل المناهج عند الضرورة، والاستعانة بذوي الرأي والمشورة، وقد أصبحت بعد ذلك أسباعاً، وقد حدد الطبري هذه الأسباع وتوزيع القبائل العربية عليها، وبقي هذا التخطيط قائماً بين عامي ١٧- ٣٦هـ، ولكن عند دخول الإمام علي عليه السلام مدينة الكوفة، واتخاذها عاصمة للدولة الإسلامية، أجرى تغييراً

---

(١) الطبري: التاريخ ٤٥/٣.

على خطط المدينة، وربما يعود الأمر لأسباب عسكرية كما يوضح ((عقد الرايات)) إذْ أصبحت كل راية لقبيلتين أو أكثر، وقد أشار الطبري إلى أسماء القادة الذين حملوا الرايات. وعند تأسيس الدولة الأموية عام ٤١هـ، تحولت الأسباع إلى أرباع، وقد أشار المؤرخ الطبري إلى بعض جبانات مدينة الكوفة منها: (كندة وربيعة) أما جبانة الكوفة الكبرى التي تسمى الثوية، فأنها تقع في ظاهر الكوفة بعد اجتياز خندقها[1]، ويمكننا القول: إن الخطط التي حددها الطبري فأنها تعطي أهمية للدارسين في تحديد المواقع الجغرافية التاريخية والتي تتزامن مع العمق الزمني لمدينة الكوفة.

(١) حسن الحكيم: الثوية موقعها وتاريخها، مجلة كلية الفقه، العدد الثاني لسنة ١٩٨٣- ١٩٨٤م.

خطط الكوفة في شعر المتنبي

لا أريد هنا دراسة المتنبي وشعره، فهو أشهر من أن يعرف، وهو مفخرة الأدب العربي، وأشهر شعراء العرب، حتى لقب بالشاعر الحكيم، وبه ختم عهد الشعر العربي العالي[1]، وإنما جاء هذا البحث مكرساً لخطط الكوفة من خلال شعره، لان المتنبي ابن الكوفة وربيبها، فهو ولد فيها عام ٣٠٣هـ/٩١٥م في محلة كندة، ونسب إليها فقيل عنه الكندي الكوفي، وقد عرفت مدينة الكوفة هذا الشاعر العربي الكبير، فقد كان أبوه يبيع الماء فيها، كما ورد في المصادر والمراجع، وقد اختلف الناس في موقع هذه المهنة الاجتماعية وهم بين متحدث بها، وهو يريد أن يرفع من شأن المتنبي الذي انحدر من إنسان حقير، وانه بعد ذلك قد ملأ الدنيا وشغل الناس، وكان هو يبيع ماء وجهه على الممدوحين، فقد هجاه احد الشعراء بقوله[2]:

أي فضل لشاعر يطلب الفضل ... من الناس بكرة وعشيا

عاش حيناً يبيع في الكوفة الماء ... وحيناً يبيع ماء المحيا

وكانت ثقافة المتنبي قد تبلورت في مدينة الكوفة، ومدارسها الفكرية، وان كان غير دائم الاستقرار فيها، فقد كان يغادرها حيناً، ويقصدها حيناً، لأسباب بعضها سياسية أو ثقافية أو اجتماعية، ولكن هذا التجوال لم يمنعه من أن يسجل جوانب من الكوفة ويوضح مكانتها الإدارية باعتبارها من المدن الإسلامية المهمة التي مصرت في التاريخ العربي الإسلامي، فأشار إلى كونها احد العراقين، وهذا اللفظ أطلق على الكوفة والبصرة[3]، فهو في مخاطبته لأبي الفوارس عام ٣٥٣هـ يقول[4]:

---

(١) فيليب حتي: تاريخ العرب ٥٥١/٢.

(٢) طه حسين: مع المتنبي ٢٠/٣.

(٣) ياقوت الحموي: معجم البلدان ٩٣/٤.

(٤) البرقوقي: شرح ديوان المتنبي ٩/٤.

فــلا عــدمت أرض العــراقين فتنــة دعتـك إليهـا كاشـف الخـوف والمحـل

وأشار إلى الكوفة بلفظ ((كوفان)) في مخاطبته لسيف الدولة الحمداني عام ٣٤٥هـ بقوله[١]:

ابـــن المعفـــر في نجـــد فوارســـه بـــسيفه ولـــه كوفـــان والحـــرم

وكان المتنبي قد أشار في شعره لبعض سمات منطقة ((ظهر الكوفة)) والمراد منها ما ارتفع من أرض الكوفة، فان الإنسان القاصد مدينة النجف الاشرف يشعر بالصعود أو الارتفاع التدريجي، فقد ورد في مصادر اللغة: أن الظهر ما غلظ من الأرض وارتفع، وانه طريق البر[٢]، وقد حدد المؤرخ الطبري (ت٣١٠هـ) في تاريخه منطقة ظهر الكوفة بأنها تقع من وراء خندقها[٣]، وقد اشتهرت هذه المنطقة بالشقائق، وهو ورد مختلف الألوان ينبت في فصل الربيع وقد رآه النعمان بن المنذر – ملك الحيرة – فأعجبه منظره وطلب حمايته، فسميت تلك الورود – شقائق النعمان – ويقول الثعالبي خرج النعمان يوماً إلى منطقة الظهر متنزهاً، وقد أخذت الأرض زخرفها وازينت بالشقائق فاستحسنها وقال احموها فحميت باسمه[٤]، وهو في المعنى ((جمع شقيقة وهو زهر احمر مبقع بنقط سوداء كبيرة، إلا إن الزهر الواحد منها ارق من الآخر[٥]، وقد أشار المتنبي إلى هذه الشقائق الجميلة بقولة[٦]:

ولا تـــرد الغـــدران إلا وماؤهـــا مـن الـدم كالريحـان تحـت الـشقائق

وفي مدحه للحسين بن إسحاق التنوخي يقول:

وقد صارت الأجفان قرحى من البكا وصـــار بهـــاراً في الخـــدود الـــشقائق

---

(١) ن. م ١٤٢/٤.

(٢) ابن منظور: لسان العرب ٥٢٣/٤، الزبيدي تاج العروس ٣٧١/٣.

(٣) الطبري: التاريخ ٢٦٨/٩.

(٤) الثعالبي: ثمار القلوب ص١٤٤.

(٥) البستاني: البستان ١٢٤٧/١.

(٦) البرقوقي: شرح ديوان المتنبي ٧١/٣، ٧٢.

وقد احتوت منطقة ظهر الكوفة على الحصى والدرر الجميلة، وكانت تحمل إلى النساء الحسان، يثقبنه لمخانقهن لحسنه ونفاسته، وقد قيل: إن حصباء هذه المنطقة تنوب عن الدر والياقوت وقد أشار إليها المتنبي بقوله(١):

بلاد إذا زار الحسان بغيرها حصى تربها ثقبنه للمخانق

وقد أطلق على هذه الحصباء في بعض العصور اسم ((در النجف)) فيقول الدكتور عبد العزيز الدوري: وبلور النجف كان يصنع منه الخواتم وبعض أنواع القناديل، وبعض أدوات الزينة ولصلة هذا البلور بالنجف فقد اشتهر بـ ((در النجف))(٢).

وتعد منطقة ((الثوية)) من خطط مدينة الكوفة التي تقع في ظهرها أو في ظاهرها، وهي منطقة جغرافية واسعة تمتد إلى مدينة الحيرة(٣)، وقد ذكرها المتنبي بقوله(٤):

وليلاً توسدنا الثوية تحته كأن ثراها عنبر في المرافق

والمتنبي في هذا البيت يتذكر المكان الذي اتخذه وسائد ونام عليه فكان ترابه عنبر لطيبه، وكان يشتاق إلى هذه المنطقة، وحتى إذا كان بعيداً عنها فيقول:

وكم دون الثوية من حزين يقول له قدومي ذا بذاكا

وأراد المتنبي بهذا البيت انه كم دونها من إنسان حزين لفراقي فإذا قدمت فرح لقدومي فيقول له القدوم هذا السرور بذلك الغم الذي كنت لقيته بالبعد.

وأشار المتنبي إلى موضعي (العذيب وبارق) فأنهما يقعان في ظاهر الكوفة فيقول البكري: إن بارق قريب من الكوفة، فهو الحد بين القادسية والبصرة وأما العذيب فهو بالقرب من بارق(٥)، وقد أشار ابن جبير إلى هذا الموضع في

---

(١) ن. م ٨٢/٣.

(٢) الدوري: تاريخ العراق الاقتصادي ص١٠.

(٣) لدي بحث منشور تحت عنوان ((الثوية موقعها وتاريخها)).

(٤) العكبري: شرح ديوان المتنبي ١٥٣/٢.

(٥) البكري: معجم ما استعجم: ٢٢١/١.

رحلته[1]، ويقول ياقوت الحموي: إن العذيب ماء بين القادسية والمغيثة، وهو من منازل حاج الكوفة، وقال أبو عبد الله السكوني: إن العذيب يخرج من قادسية الكوفة[2]، فيقول أبو الطيب المتنبي[3]:

تذكرت ما بين العذيب وبارق ... مجر عوالينا ومجرى السوابق

وصحبة قوم يذبحون قنيصهم ... بفضلة ما قد كسروا في المفارق

وقد أراد المتنبي أن يقول: تذكرت نزولنا بين هذين الموضعين، حين كنا نجر رماحنا عند مطاردة الفرسان ونتسابق على الخيل، وهذا يعني انه تذكر أرضه التي ولد فيها ونشأ، وتذكر بعض الشجعان الذين لا يكسرون سيوفهم إلا في جماجم الأبطال، وكان من الايد وسدة السواعد، وإجادة الضرب بحيث يذبحون ما يصيدون بفضول ما بقي من سيوفهم التي كسرت في رؤوس الأعداء[4].

وفي القرب من مدينة الكوفة تقع الرهيمة واعكش وهما من عيون الطف ومن ضياعها المعروفة[5]، وفيهما يقول المتنبي:

فيا لك ليلاً على اعكش ... احم البلاد خفي الصوى

وردنا الرهيمة في جوزه ... وباقيهِ أكثر مما مضى

وقد أراد المتنبي أن يقول: انه وردنا هذا المكان وما بقي من الليل أكثر مما مضى، وكان يتعجب من شدة ظلام الليل فيه، حتى اسودت البلاد وخفيت أعلام الطريق.

ولم ينس المتنبي منطقة ((البسيطة)) وهي أرض تقع بين أرض الكوفة وحزن بني يربوع[1]، وقد امتازت هذه المنطقة بالعشب، فترعاها الإبل والبقر الوحشية، وقد وصفها المتنبي بقوله[2]:

---

(١) ابن جبير: الرحلة ص١٦٧.

(٢) ياقوت: معجم البلدان ٩٢/٤.

(٣) المتنبي: الديوان ٦٠/٣.

(٤) البرقوقي: شرح ديوان المتنبي ٦٠/٣.

(٥) البلاذري: فتوح البلدان ص٢٩٦، ياقوت الحموي: معجم البلدان ١٠٩/٣.

وجابــت بــسيطة جــوب الــرداء بــــين النعـــام وبــــين المهــــا

وقد أراد المتنبي أن يقول إن هذه المنطقة كانت تجوبها النوق بين النعام والمها، وهي البقر الوحشية لأنها خالية من الناس، وعند عودة المتبني من مصر إلى الكوفة. قد مر بمنطقة البسيطة فانشد قائلاً:

بــسيطة مهـــلاً ســـقيت القطـــارا تركـــت عيـــون عبيـــدي حيـــارى
فظنـــوا النعـــام عليـــك النخيـــل وظنـــوا الـــصوار عليـــك المنـــارا
فأمـــسك صـــحبي بـــأكوارهم وقــد قــصد الــضحك فــيهم وجــارا

وقد أشار المتنبي في هذه الأبيات إلى أصحابه الذين قد امسكوا برجالهم، لأنهم لم يملكوا أنفسهم من الضحك وقد ذهب الضحك فيهم كل مذهب، فمنهم من اقصد، ومنهم من أفرط فيه، ويبدو إن أجواء البسيطة كانت مساعدة على الانفتاح والانشراح حيث يواجه الإنسان الصحراء المترامية، وما تنبت من أعشاب وما ترعى فيها من حيوانات.

وأورد المتنبي في شعره بعض محال مدينة الكوفة المعروفة بأحداثها التاريخية فيقول[٣]:

أمنـــسي الـــسكون وحـــضر موتـــا ووالـــدتي وكنـــدة والـــسبيعا

ووردت محلة الكناسة عند العكبري بدلاً من محلة السكون وقد سميت هذه المحال بأسماء القبائل العربية التي سكنتها.

---

(١) ياقوت: معجم البلدان ٤٢٤/١.

(٢) البرقوقي: شرح ديوان المتنبي ١٦٣/١.

(٣) العكبري: شرح ديوان المتنبي ٢٥٧/٢.

مساجد الكوفة ومكانتها العبادية والعلمية

عند تخطيط المدينة عام ١٧هـ، وضع المسجد الكبير في وسطها، وأصبح محورها ومركزها، ولما تزامن تخطيط الكوفة مع العمليات العسكرية لفتح العراق، فأصبح مسجدها الكبير قاعدة عسكرية ومقراً للمجاهدين من العراق والحجاز واليمن، وتشير بعض الروايات المأثورة إن لموضع المسجد خلفية تاريخية، سحيقة في القدم، كموضع صلاة إبراهيم الخليل عليه السلام، ومقام جبرائيل، وموضع سفينة نوح وغيرها من المقامات، وذكر الإمام الصادق عليه السلام فضيلة مسجد الكوفة بقوله: ((والذي نفسي بيده لو يعلم الناس من فضله ما اعلم لازدحموا عليه)) وقد وضع المسجد من حيث أهميته التاريخية، ومكانته العبادية في المكانة التي أعطيت للمسجد الحرام، والمسجد النبوي، والمسجد الأقصى. وقد شيد مسجد الكوفة على ارض مربعة الشكل، بانحراف قليل عن زاوية القبلة، وقد شيده سعد بن أبي وقاص، ووسعه المغيرة بن شعبة، ومن بعده زياد بن أبيه، وقام بإصلاحه الحجاج بن يوسف الثقفي وخالد بن عبد الله القسري، وكانت للمسجد أربعة أبواب هي:

١- باب السدة.

٢- باب كندة.

٣- باب الأنماط.

٤- باب الفيل أو الثعبان.

وعند اتخاذ الإمام علي عليه السلام مدينة الكوفة عاصمة للدولة الإسلامية، أصبح المسجد مركزاً للدولة، وفيه بويع الإمام الحسن عليه السلام بالخلافة، بعد استشهاد أمير المؤمنين عليه السلام، وفيه صلى المختار بن أبي عبيد الثقفي ومصعب بن الزبير وشبيب الخارجي، وفي عام ١٣٢هـ، خطب فيه السفاح خطبته الأولى، وأعاد الكوفة عاصمة للدولة الإسلامية، وقد أصبح مسجد الكوفة مدرسة للقران والفقه، إذ يجلس فيه القراء لتعليم الناس، وكان الشيخ عبد الرحمن السلمي (

شيخ القراء في الكوفة) يتحلق حوله طلاب العلم، والمقرئ حمزة بن حبيب الزيات، والمقرئ علي بن حمزة الكسائي، وأصبحت الكوفة مستقر الفقهاء والمفسرين من الصحابة والتابعين، ففي العصر الراشدي برز أعلام الفكر والفقه والحديث والتفسير، يعلمون الناس الأحكام ويرشدونهم إلى عقائد الإسلام، وهم:

١- الإمام علي عليه السلام.

٢- عبد الله بن مسعود.

٣- عمار بن ياسر.

٤- خباب بن الارت.

٥- حذيفة بن اليمان.

٦- سهل بن حنيف.

وفي التاريخ الأموي برز الفقيهان: عامر بن شراحيل الشعبي وسعيد بن جبير، وفي التاريخ العباسي، كان الإمام الصادق عليه السلام رائداً للمدرسة الكوفية، وعليه تتلمذ الإمام أبو حنيفة النعمان بن ثابت، وكان يقول: ((لولا السنتان لهلك النعمان))، وشهد مسجد الكوفة محاضرات أعلام النحو الكوفي وهم:

١- علي بن حمزة الكسائي.

٢- أبو الأسود الدؤلي.

٣- يحيى بن زياد الفراء.

٤- يعقوب بن إسحاق المعروف بابن السكيت.

وإلى نحوي الكوفة الفراء أشار ثعلب بقوله: ((لولا الفراء لسقطت العربية)) ويأتي مسجد السهلة من حيث أهميته التاريخية والدينية بعد مسجد الكوفة وكان يسمى (مسجد القرى) وقد أشار إليه الإمام أمير المؤمنين عليه السلام بقوله: ((في الكوفة أربع بقاع قدس)) فقيل يا أمير المؤمنين سمها فقال:

١- مسجد السهلة.

٢- مسجد جعفى.

٣- مسجد غني.
٤- مسجد الحمراء.

وفي نص آخر يقول: ((نحن نسمي مسجد السهلة باسم مسجد القرى)) وكان يدعى أيضا مسجد بني ظفر، وفيه أحاديث كثيرة تؤكد فضيلته منها: ((ما أتاه مكروب إلا وفرّج الله كربته)) ورويت أحاديث عن الإمامين علي بن الحسين (زين العابدين) وجعفر الصادق عليهما السلام، تؤيد فضيلة مسجد السهلة و وذكرت بعض الروايات انه موضع نبي الله إدريس، ومنه سار إبراهيم الخليل، ومناخ الخضر، وتشير بعض روايات الإمامية انه منزل الإمام المهدي عليه السلام، وقد شجعت هذه الروايات على اعتكاف الناس فيه، والصلاة في مقاماته، وتنسب للأنبياء والأئمة عليهم السلام مقامات في مسجد السهلة وهي: مقام إبراهيم الخليل، والخضر، وصالح، وإدريس، وعيسى، والإمام زين العابدين، والإمام الصادق، والإمام المهدي عليهم السلام. ومن الثابت إن المتآمرين والمنافقين في الكوفة لم يتخذوا من مسجد السهلة مكانا للاجتماع، ولم يعقد فيه مجلس فرح بعد استشهاد الإمام الحسين عليه السلام.

ويقع مسجد صعصعة بن صوحان (صاحب الإمام أمير المؤمنين عليه السلام) بالقرب من مسجد السهلة، وتستحب الصلاة فيه، لأنه مسجد مبارك وقد صلى فيه الإمام عليه السلام. أما مسجد زيد بن صوحان (صاحب الإمام عليه السلام) ومن أنصاره العقائديين فقد صلى فيه الخضر بعد خروجه من مسجد السهلة. ويجب على الباحث استقصاء النصوص الواردة في هذه المساجد، للوقوف على حقائقها. وكان مسجد جعفى يقع في خطة قبيلة مذحج، وهو مسجد مبارك صلى فيه أمير المؤمنين عليه السلام، ويقع مسجد مبارك في الجنوب الغربي من مسجد الكوفة، وكان يصلي فيه الشيعة الموالين لآل البيت عليهم السلام، ويقع مسجد غني في خطة قيس، شمال شرق مسجد الكوفة، وهو من المساجد المباركة التي صلى فيه الإمام زين العابدين عليه السلام، وفي الكوفة مساجد أعدت للتآمر والدسائس فيجتمع فيها المنافقون ومنها:

مسجد الاشعث بن قيس الكندي الذي يقع بين مسجد الكوفة والسهلة، ومسجد الجواشن و ومسجد جرير بن عبد الله البجلي و الذي اجتمع فيه المبغضون لآل البيت عليهم السلام، مبتهجين باستشهاد الإمام الحسين عليه السلام، وان مسجد ثقيف فانه يقع في خطة ثقيف في الثوية وعنده دفن المغيرة بن شعبة.

ويسمى مسجد الحمراء بمسجد النبي يونس بن متي أو مقام النبي يونس، وقد سكنته الحمراء من القبائل. وقد شاركت الحمراء في حركة المختار بن أبي عبيد الثقفي وحركة عبد الرحمن بن الأشعث، وقد أرخ العلامة السيد جعفر الحلي بناء مسجد الحمراء عام ١٣١٢هـ، على نفقه المحسن اخندة علي بقوله:

الحمد الله الذي من فضله	أحيى جميل مآثر القدماء
ما جددت آثار مسجد (يونس)	بأجل تأسيس وخير بناء
يا طالب الأعمال قد أرخته	(اعمل فهذا مسجد الحمراء)

وقد تعرض مسجد الحمراء أو مسجد النبي يونس إلى الهدم في تاريخنا المعاصر وما زال حتى يومنا هذا.

ويعد مسجد الكوفة أول مؤسسة علمية في تاريخ الكوفة فقد كان الصحابة رضي الله عنهم يشكلون نواة المدرسة الكوفية منذ عام ١٧هـ، فقد هبط على أرضها ثلاثمائة من أصحاب الشجرة وسبعون من المشاركين في معركة بدر الكبرى وقد وردت أول إشارة علمية لمركز الكوفة الإداري والعلمي في رسالة عمر بن الخطاب عند توليته للصحابي الجليل عبد الله بن مسعود رضي الله عنه والياً على الكوفة بقوله: ((إني بعثت إليكم بعبد الله بن مسعود معلماً ووزيراً وأثرتكم به على نفسي فخذوا عنه)) وتشعرنا كلمة (معلم) إلى مكانة ابن مسعود العلمية في الإسلام حيث كان فقيها ومفسراً كبيراً وصاحب حلقة في مسجد المدينة يلتف حوله عدد من الصحابة يسألونه في التفسير والفقه والتشريع وأخذت الحركة العلمية في الكوفة بالتوسع بعد عام ٣٦هـ، منذ أن اتخذها أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام عاصمة للدولة الإسلامية فقد ألقى في مسجدها الكبير علومه

ومعارفه في كافة مجالات الحياة ومكانا للقضاء لحل مشاكل المسلمين وقد ألقى عليه السلام كثيراً من خطبه البليغة التي ضمها كتابه الخالد (نهج البلاغة) في مسجد الكوفة وتعد هذه الخطب من روائع الأدب العربي فقد وهبه الله تعالى طلاقة اللسان وقوة البيان فكان إذا اعتلى المنبر اشرأبت له الأعناق واندمجت به النفوس وقد اجمع المتخصصون في علوم اللغة والبيان والبديع بان الإمام علياً عليه السلام هو أمير الفصاحة والبيان لا شبة في ذلك ولا التباس، فكانت تطاوعه الألفاظ الشاردة وتنقاد إليه المعاني المستعصية فيلبسها من جميل نسجه وبديع وشيه أثوابا محبرة ويخرجها من نسق عجيب بعد كلام الله سبحانه وتعالى وكلام رسوله الكريم عليه أفضل الصلاة والسلام شرفا ومنزلة وكان حديثه المأثور وكلمته الخالدة (قيمة كل أمرى ما يحسن) موضع استشهاد المفكرين والمؤرخين والباحثين، وهذه خصيصة انفرد بها الإمام علي عليه السلام فان كلماته وخطبه كلها من ماء واحد، ومنبع صافي، وقد أصبحت من معجزات اللسان العربي وبدائع العقل البشري فقد أرسى عليه السلام قواعد العلم في الكوفة في عصره وبعده وكان العلماء يلتقون في مسجدها يتذاكرون في الفقه والتفسير واللغة والأدب وغيرها. وقد أتى أهل الكوفة الصحابي الجليل عبد الله بن عباس رضي الله عنه يسألونه في الفقه والتفسير فأجابهم بقوله: (تسألوني وفيكم ابن أم دهماء) وهذه الكلمة إلى الفقيه الكبير سعيد بن جبير. وفي مجال اللغة قد سطح نجم الفراء في سماء الكوفة وقد قال فيه ثعلب: (لولا الفراء لقطعت العربية) وفي مجال الشعر فقد أنجبت الكوفة فحول الشعراء والأدباء ويكفيها فخراً شاعر العرب الأكبر أبي الطيب المتنبي، وكان الشاعران الكميت بن زيد وحماد الراوية قد التقيا في مسجد الكوفة وهما يتذكران أشعار العرب وأيامها فاختلفا مرة فقال الكميت لحماد: أتظن انك اعلم مني بأيام العرب وأشعارها ؟ فقال حماد: هذا هو اليقين، فغضب الكميت وما زال يناقشه ويسأله حتى أفحمه، وعند تأسيس مدينة بغداد عام ١٤٥هـ، ساهم كثير من علماء الكوفة في الحركة العلمية في مدينة بغداد وكان بعضهم من مؤدبي أبناء الخلفاء العباسيين

كالمفضل الضبي والكسائي والفراء وابن السكيت وغيرهم وفي هذه الفترة كان الإمام جعفر بن محمد الصادق عليه السلام يقوم بدور بارز في تطور مدرسة الكوفة فقد استقطبت كثيراً من أعلام الأمصار الإسلامية، وعليه تتلمذ الإمامان أبو حنيفة النعمان بن ثابت ومالك بن انس رضي الله عنهما فقد قال أبو حنيفة: (ما رأيت افقه من جعفر بن محمد) ويقول مالك بن انس: (جعفر بن محمد اختلفت إليه زمانا فما كنت أراه إلا على احد ثلاث خصال: أما مصل وأما صائم وأما يقرأ القران وما رأت عين ولا سمعت أذن ولا خطر على قلب بشر أفضل من جعفر بن محمد الصادق علماً وعبادة وورعاً وكانت ملامح التعليم العالي قد بدأت من مسجد الكوفة كما أشار إلى ذلك الفقيه الحسن الوشاء بقوله: (أدركت في هذا المسجد تسعمائة شيخ كل يقول: حدثني جعفر بن محمد) وتشعرنا كلمة (شيخ) الواردة في هذا النص، بتطور كبير للحركة العلمية في الكوفة لان حاملها لا يكون إلا من العلماء المتقدمين في السن في الغالب وقد تفرعت دراسات واسعة النطاق في التفسير والحديث والفقه واللغة والنحو وعلم الكلام والفلسفة من مسجد الكوفة عبر تاريخه وقد أشار الفقيه والمحدث الدار قطني إلى المحدث أبي العباس بن عقدة بقوله: (اجمع أهل الكوفة انه لم ير من زمن ابن مسعود إلى زمان ابن عقدة أحفظ منه). بصفته احد أركان علم الحديث. وأشار المؤرخ ابن النديم إلى شخصية هشام بن الحكم الكندي بقوله: (كان حاذقا بصناعة الكلام و حاضر الجواب). وان هذه الأصالة نجدها عند كثير من أعلام الكوفة وفي مجالات العلم والمعرفة.

الكوفة في كتاب ((الرجال)) للشيخ النجاشي

تعرض الشيخ النجاشي أبو العباس احمد بن علي، المتوفى عام ٤٥٠هـ، في كتابه ((الرجال)) إلى بعض الأعلام الكوفيين ومواقعهم العلمية والاجتماعية، وجانب من خطط الكوفة في عصره ولعل كتابه (الكوفة وما فيها من الآثار والفضائل)[1]. وقد ضم كثيراً من خطط الكوفة. وأعطى ما يناسب بعض الرجال من ألقاب علمية كقوله ((وجه أو من وجوه أصحابنا الكوفيين)) ويلحق بعض مصطلحات التعديل به أو تولية الوظائف الإدارية كقوله: ((كان قاضيا بالكوفة)) أو ((كان صاحب بيت المال)) أو من الكتاب ونحو ذلك[2]، وإذا كان صاحب الترجمة من بيت معروف في المجتمع الكوفي أشار إليه كبيت آل نعيم الغامديين أو من بيت أبي سيرة، أو من بني تميم أو بني هلال، ويكشف الشيخ النجاشي عن اسر الكوفة في القرون الهجرية الأولى كقوله: آل بني الحر بيت بالكوفة أطباء، وان آل اليشكري بيت بالكوفة، وإذا كان بعض الكوفيين قد سكن مدينة بغداد أو غيرها من المدن الإسلامية، وساهم في الحركة العلمية أشار إليه كقوله: كوفي نشأ ببغداد[3]، أو أن أصله من الكوفة ونشأ ببغداد، ويوضح التلاحق العلمي بين البصرة والكوفة عند انتقال العلماء بين المدينتين، وإذا ابتعد العالم الكوفي عن العراق وسكن مصر أو الشام أشار إليه، وكان بعض الكوفيين قد تنقل بين أكثر من مدينة أو قطر، فذكر إن احدهم ولد في الكوفة ونشأ في واسط، وان تجارته في بغداد، وكشف الشيخ النجاشي عن اثر الكوفيين في مدن المشرق الإسلامي، فنشر بعضهم حديث الكوفيين في مدينة قم أو أن احد الكوفيين قد أكثر السفر والتجارة

---

(1) الطهراني: الذريعة ٣/ ٢٨١، الحكيم: الشيخ النجاشي ص١١٧، كحالة: معجم المؤلفين ٣١٧/١.

(2) النجاشي: الرجال ص١٢٨، ص١٣٣، ص٢٢٦، ص٢٤٠.

(3) المصدر نفسه ص١٤٦، ص١٦٥، ص٢٢٢.

إلى سجستان، وعند ترجمته لأحمد بن علي العلوي العقيقي قال: كان مقيما في مكة، وسمع أصحابنا الكوفيين.

وكانت مدينة الكوفة منذ نشأتها عام ١٧هـ، مقصد العلماء ومؤمل الفقهاء فقد أرسى قواعد مدرستها الإمام علي عليه السلام، ووسع آفاق علومها الإمام الصادق عليه السلام، فيقول الحسن بن علي الوشاء ((خرجت إلى الكوفة في طلب العلم)) وكان قد جاور الكوفة، ومن المحتمل قضى بقية حياته في النجف الاشرف، وقد التقى الشيخ النجاشي بإسحاق بن الحسن العقرابي وقال: ((رايته بالكوفة وهو مجاور)): وكان بعض أعلام ((رجال النجاشي)) قد اختاروا المجاورة بالكوفة لقدسيتها وما يضم ظهر الكوفة من أجساد الأنبياء والصالحين، وهم يعطون مؤشراً على حجم الحركة العلمية في الكوفة والنجف في القرن الرابع الهجري ومن خلال التراجم تبرز بعض خطط الكوفة في عصر الشيخ النجاشي، فانه قد أشار إلى ((اسطوانة إبراهيم))[١]. في مسجد الكوفة، ومسجد جعفر بن بشير البجلي حيث قال عنه النجاشي ((باق في بجيلة إلى اليوم)) أي إلى القرن الخامس الهجري، وقد صلى فيه الشيخ النجاشي وقال: ((وأنا وكثير من أصحابنا إذا وردنا الكوفة نصلي فيه مع المساجد التي يرغب في الصلاة فيها))[٢]، وأشار إلى مسجد دار اللؤلؤ في الكوفة وقال: أن صباح بن صبيح الحذا الفزاري كان إماماً في هذا المسجد، وعند ترجمته لمساعه بن مهران الحضرمي قال: إن له مسجداً بالكوفة يقع في محلة حضرموت، وهو مسجد زرعة بن محمد الحضرمي، وان عبد الله بن أبي يعفور العبدي كان قارئا في مسجد الكوفة، ومن الملاحظ انه لم تكن بمدينة الكوفة في القرنين الرابع والخامس الهجريين مدارس، وإنما كانت المساجد تؤدي دورها التعليمي، وان دور بعض الأعلام تؤدي هذا الجانب العلمي، فكان بعضهم ينزل في كندة أو وراء أشجع أو منطقة عرزم أو في طاقات عرينة، وأشار الشيخ

---

(١) النجاشي: الرجال ص٢٥.

(٢) المصدر نفسه ص٨٦.

النجاشي إلى بعض خطط الكوفة من خلال ترجمته للرجال كخطة عايذة اليمن، وقال: ليس لعايذة قريش خطة في الكوفة[1]، وأورد لفظ ((ظهر الكوفة)) من خلال ترجمته لربعي بن عبد الله الهذلي، وتقع هذه المنطقة في الكوفة، أي باتجاه مدينة النجف الاشرف الحاضرة. وحدد النجاشي مكان حنان بن سدير بن حكيم الصيرفي في سدة الجامع على بابه في موضع البزازين، وقال: إن موضع محمد بن علي الحلبي في طاق المحامل. ومن خطط الكوفة التي أشار إليها النجاشي منطقة جعفى، وأشار إلى المنطقة ((الواقعة في طريق الحاج الذي يربط الكوفة بمكة المكرمة.

وتعطي النصوص التي أوردها الشيخ النجاشي عن الكوفة أهمية تاريخية وجغرافية تمتد من تمصيرها وحتى منتصف القرن الخامس الهجري.

---

(1) النجاشي: الرجال ص١٦٦.

الحيـــاة الاجتماعية والاقتصادية

دور القبائل اليمنية في مدينة الكوفة في الحياة السياسية

منذ بدايات الفتح الإسلامي للعراق، كان لليمنيين حضور كبير في العمليات العسكرية، بدءاً من معركة القادسية في سنة ١٥هـ، وبعد هذه الاسهامة العسكرية أصبحت للقبائل اليمنية في مدينة الكوفة خططٌ عرفت بأسمائها. ويقول المؤرخ الطبري: إن أربعة آلاف مقاتل خرجوا من المدينة المنورة إلى العراق تحت قيادة سعد بن أبي وقاص، وكان بينهم ثلاثة آلاف يمني، وألف قيسي، أكثرهم من بني هلال، وفي منطقة (شراف) تجمعت القوات الإسلامية تحت لواء واحد، وقد ارتفع عدد اليمنيين المقاتلين في الجيش الإسلامي، كما يقول الطبري[1]. وعند تخطيط مدينة الكوفة عام ١٧هـ، توزعت القبائل اليمنية على خطط الكوفة وهي: (كندة، مذحج، طي، اشعر، لخم، جذام، الازد، خثعم، همدان، بجيلة، حضرموت، قضاعة، خزاعة) ويقول المستشرق ماسنيون: ((إن مذحج وحمير وهمدان من القبائل المتحضرة حقاً من سكان المدن والقرى اليمانية، وقد صاروا سبباً لتحضر العنصر العربي في الكوفة))[2]. وأننا لا نتفق مع هذا الرأي، لان الحضارة في العراق قديمة العهد، ضاربة في أعماق التاريخ، وقد حملها السومريون والاكديون والبابليون والآشوريون، وأضاف الحيريون حضارة أخرى اقتربت من العصر الإسلامي، وان اندماج اليمنيين بالعراقيين في مدينة الكوفة، أدى إلى تلاقح حضاري بين حضارتي العراق واليمن، ويقول ابن حزم: إن قبيلة تجيب، أحدى بطون كندة قد استقرت في الشام والعراق ومصر وشمال أفريقيا، وشاركت في الفتوح في المشرق والمغرب[3]. وتعود أصول قبيلة كندة إلى بني كهلان اليمنيين، وان كهلان وحميرهما ابنا سبأ بن يشجب بن يعرب بن قحطان، وقد برز من قبيلة كندة حجر بن عدي (الصحابي الجليل)، والأشعث بن قيس

---

(١) الطبري: التاريخ ٣/ ٤٨٣- ٤٨٤.

(٢) ماسنيون: خطط الكوفة ص٥٣.

(٣) ابن حزم: جمهرة أنساب العرب ٢/٤٣٠- ٤٣١.

(المنافق المعروف)، كما أشار إليه أمير المؤمنين عليه السلام [1]. وقد أجمعت المصادر على عقيدة حجر بن عدي الراسخة، وجهاده المتواصل للدفاع عن الإسلام، وال البيت عليهم السلام، وإلى عقيدة الأشعث بن قيس المتذبذبة وانتقالاته من الجاهلية إلى الإسلام، ومن الإسلام إلى الردة، ومن الردة إلى الإسلام وكان موقفه، ومواقف أسرته صفحات سود في التاريخ الإسلام، وتاريخ قبيلته. وقد أشار ابن حجر إلى الصحابي الجليل حجر بن عدي الكندي بأنه من فضلاء الصحابة[2]. وانه أمير كندة في معركة صفين، وأمير الميسرة في يوم النهروان، ولكن على الرغم من فضيلته وجهاده لم يراع معاوية بن أبي سفيان جهوده وجهاده ومقامه في الإسلام، فأقدم على قتله عام ٥١هـ، في مرج عذراء بغوطة دمشق. وهدم زياد بن أبيه داره في مدينة الكوفة، في الوقت الذي كان الأشعث بن قيس الكندي قد احتل موقعا متقدما في عهد حكام الجور والجبروت، ولم ينظر لارتداده عن الإسلام، وعزوفه عن الدين، وخروجه عن أهداف إمام زمانه أمير المؤمنين عليه السلام، وبقي اليمنيون في الكوفة ومنهم الكنديون بين نقيضين في العقيدة والإيمان، فهناك من نذر نفسه لآل بيت النبوة عليهم السلام، ومنهم من أعلن البغض والحقد للإسلام، وقد استغل زياد بن أبيه حالة التناقض هذه، فأقدم على القبض على حجر بن عدي، بإسناد من رجال مذحج وهمدان، في حين إن أسداً وتميماً قد امتنعا عن إسناده خشية أن يقع شغب واختلاف وتفسد بينهم الحمية[3]. وقد استشهد حجر بن عدي أمام السلطة الظالمة وتخاذل الكنديين وانقسامهم. ومن المحتمل ان الظرف السياسي العنيف، والأطماع المالية ساهمتا في هذا الانقسام العقائدي، ويذكر ابن قتيبة: إن لليمنيين دوراً في ميمنة جيش الإمام علي عليه السلام في معركة الجمل في البصرة[4]. ولاشك إن

(١) محمد عبده: شرح نهج البلاغة ١/٥٦- ٥٧.

(٢) ابن حجر: الإصابة ١/٣٢٩.

(٣) الطبري: التاريخ ٥/٢٥٦، ٦/١٤٦، أبو الفرج: الأغاني ١٦/٥٠٤.

(٤) ابن قتيبة: الإمامة والسياسة ١/٩٣.

للكنديين الموالين لأمير المؤمنين عليه السلام دوراً بارزاً في المعركة، وموقفاً ثابتاً في أدوارها الحاسمة. وأشار المؤرخ البلاذري: إلى اليمنيين في مدينة الكوفة والخطط التي نزلوا بها بقوله: ((أسهم لنزار وأهل اليمن بسهمين على انه من خرج بسهمه أولاً فله الجانب إلا يسر، وهو خيرهما، فخرج سهم أهل اليمن، فصارت خططهم في الجانب الشرقي، وصارت خطط نزار في الجانب الغربي، وفي رواية عن الشعبي: إن عدد من سكن الكوفة عند تأسيسها عشرون ألفا، اثنا عشر ألفاً من اليمن، وثمانية آلاف من نزار[1]. وذكرت المصادر التاريخية مواقف القبائل العربية من الأحداث التي وقعت في عهد الخلافة الراشدة (١١- ٤٠هـ) فقد وقفت ربيعة إلى جانب الإمام علي عليه السلام في حروبه، وقد أشار عليه السلام إلى ذلك بقوله: ((ربيعة اعني أنهم أهل نجدة وبأس إذا لا قوا خمسياً عرمرماً)) وقال أيضاً: ((يا معشر ربيعة فانتم أنصاري ومجيبوا دعوتي، ومن أوثق حي في العرب في نفسي))[2]. ولما أعلن المختار بن أبي عبيد الثقفي في الكوفة، طالباً بدم الحسين عليه السلام، وبايعته ربيعة وكندة وخثعم[3]. أما قبيلة جعفى فهي أحدى فصائل مذحج، وكانت أصولها من وادي (فردان) في اليمن، وقد سكنت مدينة الكوفة مع القبائل اليمنية في محلة كندة، الواقعة في الجنوب الغربي من الكوفة، ويقول المستشرق ماسنيون: ((إن مذحج وبطونها كانت كلها شيعية))[4]. وقد بنت مسجداً في خطتهم، وأدى فيه الإمام علي عليه السلام الصلاة لمكانته عند المؤمنين في الوقت الذي كانت في الكوفة مساجد قد أعدها المتآمرون والمجرمون مكانا لتنفيذ جرائمهم. ويبدو إن لقبائل اليمن في الكوفة تأثيراً على سير الأحداث وتقلباتها في العصرين الراشدي والأموي، ويحتلون مساحة عريضة من سكان الكوفة، ويقول الأستاذ الدكتور

(١) البلاذري: فتوح البلدان ص٢٧٦.

(٢) نصر بن مزاحم: وقعة صفين ص٢٨٩، المسعودي: مروج الذهب ٥٧/٣.

(٣) ابن اعثم الكوفي: الفتوح ٢/٢، البلاذري: أنساب الأشراف ٢٦٠/٥.

(٤) ماسنيون: خطط الكوفة ص٥٣، ص١٦٩.

حسين أمين: ((يبدو إن اغلب سكان الكوفة في بداية أمرها من عرب الجنوب من اليمن، ومعظمهم من قضاعة وبجيلة وخثعم وكندة والازد ومذحج وحمير وهمدان والنخع))[١]. وكان لبعض قبائل اليمن دور في صناعة المنسوجات التي تخصص بها أهالي نجران، إذ نقلوا صناعة (الحلل النجرانية) إلى الكوفة وكانوا يدفعون منها ضريبة الخراج المفروضة عليهم[٢]. ويقول الأستاذ هشام جعيط: أن كلمة (مصر) هي مصطلح يماني، ولم يكن شائعا للتعبير عند إنشاء مدينة الكوفة، خلافا لكلمة (تخطيط) التي تعنى الاستيلاء على الأرض بعد تقسيمها، وذكر إن في مدينة الكوفة إحدى عشرة جبانة، كانت ست جبانات منها لأهل اليمن[٣]. ويمكننا القول: إن قبيلة همدان قد احتفظت بالولاء العلوي، والثبات على العقيدة الإسلامية، منذ السنة التاسعة للهجرة، عند دخول الإمام علي عليه السلام أرض اليمن فأعلنت إسلامها وولاءها وفيها يقول الشاعر[٤].

فلو كنت بوابا على باب جنة ... لقلت لهمدان ادخلي بسلام

وبقيت على الولاء لأهل البيت عليهم السلام، واستجابت لدعوة المختار الثقفي في ثورته على بني أمية وال الزبير، وقد أشار عبد الله بن همام السلولي إلى القبائل التي ساندت المختار الثقفي بقوله[٥]:

وفي ليلة (المختار) ما يذهل الفتى ... ويلهيه عن رؤد الشباب شموع
دعا يا لثارات (الحسين) فأقبلت ... كتائب من (همدان) بعد هزيع
ومن (مذحج)جاء الرئيس بن مالك ... يقود جموعاً عبئت بجموع
ومن (أسد) وافي يزيد لنصره ... بكل فتى ماضي الجنان منيع

---

(١) حسين أمين: الصحابة الكرام في الكوفة، مجلة المورد، العدد الرابع، المجلد (٢٨) لسنة ١٤٢١هـ/٢٠٠٠م، ص٤٢.
(٢) المختار: المنسوجات العراقية ص٥٣.
(٣) هشام جعيط: الكوفة نشأة المدينة العربية الإسلامية ص٦٧، ص٣١٠.
(٤) المسعودي: مروج الذهب ٣/٩٣.
(٥) البلاذري: أنساب الأشراف ٥/٢٣٤.

وكانت قبيلة أسد التي أشار إليها الشاعر في أبياته قد التفت حول لواء الإمام علي عليه السلام في معركة الجمل، فضلا عن قبيلتي طيء وبكر بن وائل[١]. في الوقت الذي اخذ التخاذل موقعه في أسرتي آل الأشعث وال الأشعري، وقد شخّص الإمام علي عليه السلام بدقة موقف الأشعث بن قيس بقوله: (منافق بن كافر) ووصفه في رسالة أرسلها إليه بقوله: ((والله لقد أسرك الكفر مرة، والإسلام أخرى، فما ذاك من واحدة منهما مالك ولا حسبك، وان امرءاً دل على قومه السيف وساق إليهم الحتف لحري أن يمقته الأقرب، ولا يأمنه الأبعد))[٢]. أما أبو موسى الأشعري فانه كان يحرض الناس على عدم الالتحاق بجيش الإمام علي عليه السلام في البصرة، فكتب إليه قائلا: ((إذا أقدم رسولي إليك فارفع ذيلك، واشدد مئزرك، واخرج من حجرك، واندب من معك))[٣].

إن النصوص التاريخية التي أوردناها عن القبائل اليمنية في مدينة الكوفة قد لعبت دوراً في الحياة السياسية في العصرين الراشدي والأموي، وما صاحبهما من تقلبات عقائدية وفكرية، كانت فيها القبائل اليمنية تتأرجح بين موقفين متناقضين، ويقول الدكتور يوسف خليف: ((كان الكوفيون أول من أعلنوا أخلاصهم لعلي))[٤]. وقد زحف بهم الإمام عليه السلام إلى البصرة لقتال الخارجين عليه، ومن ثم إلى صفين لقتال المتمردين، وقد ابلوا بلاءاً حسناً، ولكن هذه التضحية لا تلغي موقف بعض الكوفيين من التراجع في المواقف الحرجة، والتي أعطت فسحة للعدو، وقد استثمرها كما هو الحال في موقعة صفين، وقد أشار إلى ذلك الأستاذ خليف بقوله: ((إن علي بن أبي طالب كان يحب الكوفة، وينظر إلى الكوفيين على أنهم أنصاره وأعوانه وجنده الأمناء، فانه قد ضاق بهم ذرعا في أخريات أيامه،

---

(١) الطبري: التاريخ ١٨٦/٥.

(٢) محمد عبده: شرح نهج البلاغة ٥٦/١- ٥٧.

(٣) المصدر نفسه ١٢١/٣.

(٤) يوسف خليف: حياة الشعر في الكوفة ص٥٢.

واخذ يشكو منهم ويصفهم بأنهم: اسود رواعة، وثعالب رواغة، وأنهم ناس مجتمعة أبدانهم، مختلفة أهواؤهم، وان من فاز بهم فاز بالسهم الاخيب، وانه أصبح لا يطمع في نصرهم ولا يصدق قولهم))[1]. وقد أفصح الإمام علي عليه السلام في مواضع عديدة من (نهج البلاغة) إلى هذه المواقف المرتبكة من الإيمان والعقيدة، وبين التخاذل والتراجع، فيقول: ((ما هي إلا الكوفة اقبضها وابسطها، أن لم تكوني إلا أنت تهب أعاصيرك، فقبحك الله، وتمثل بقول الشاعر[2]:

لعمر أبيك الخير يا عمرو أنني ... على وضر من ذا الإناء قليل

وقد أراد الإمام علي عليه السلام من أهل الكوفة إطاعة إمامهم، لأنه المسؤول الأول عن أمورهم ومتطلبات حياتهم فيقول: ((أيها الناس إن لي عليكم حقاً، ولكم عليّ حق، فأما حقكم علي فالنصيحة لكم، وتوفير فيئكم عليكم، وتعليمكم كيلاً تجهلوا، وتأديبكم كيما تعلموا، وأما حقي عليكم فالوفاء بالبيعة والنصيحة في المشهد و المغيب، والإجابة حين ادعوكم والطاعة حين أمركم))[3]. وقد وضع الإمام علي عليه السلام واجبات متبادلة بينه وبين الرعية، يجب مراعاتها والالتزام بها، ولكن كما اشرنا إن بعض القبائل ومنها اليمنية لم تلتزم بهذه الواجبات، وتخلت عن طاعته عليه السلام في الوقت الذي كان يعتز بأهل الكوفة، ووصفهم بأنهم ((جبهة الأنصار وسنام العرب))[4]. وقد أراد عليه السلام تغيير الملامح التي طبع عليها العرب من تعصب قبلي، وعادات بالية وان يكون الإسلام عاملاً للتغيير الاجتماعي، فانه أبى أن ينزل القصر الأبيض إيثاراً للخصاص التي يسكنها الفقراء، وربما باع سيفه ليشتري بثمنه الكساء والطعام، وروى النضر بن منصور بن عقبة بن علقمة قال: ((دخلت على علي عليه السلام، فإذا بين يديه لبن حامض آذتني حموضته، وكسر

---

(1) المصدر نفسه ص١٢٨.

(2) محمد عبده: شرح نهج البلاغة ٦٤/١.

(3) المصدر نفسه ٨٣/١- ٨٤.

(4) محمد عبده: شرح نهج البلاغة ٢/٣.

يابسة، فقلت يا أمير المؤمنين، أتأكل مثل هذا؟ فقال لي: يا أبا الجنوب كان رسول الله يأكل ايبس من هذا، ويلبس اخشن من هذا،- وأشار إلى ثيابه - فان لم آخذ بما اخذ به خفت إلا الحق به))[1]. ورفض عليه السلام النزول في قصر الإمارة في الكوفة، ذلك القصر الذي اعد لولاة الأمور والقادة، ومن اجل هذا يدع الدنيا وراءه ظهريا، وهو خليفة المسلمين أن ينزل في قصر الإمارة، ويؤثر عليه الأرض الخلاء، والدار المهجورة، وقال: إنه قصر الخبال لا انزله أبداً[2]. وكان الأولى بالناس أن يسلكوا خطوات إمامهم، وينفذوا وصاياه ولكن المصادر التاريخية أشارت إلى تقاعس كثير من الناس عن المسير لقتال معاوية، وقد راحوا يتسللون الواحد بعد الآخر من معسكرهم بالنخيلة))[3]. وإذا وقفنا عند كلماته عليه السلام ((أفٍ لكم لقد سئمت عتابكم، أرضيتم بالحياة الدنيا من الآخرة عوضا، وبالذل من العز خلفا، إذا دعوتكم إلى جهاد عدوكم دارت أعينكم كأنكم من الموت في غمرة، ومن الذهول في سكرة)) يجد بها عزوف الناس عن الدين، والابتعاد عن أصوله، وهذا ناتج من عدم تعميق العقيدة في النفوس، وتغلغل الإيمان في القلوب، وان قوله عليه السلام ((ولوددت أني لم أركم ولم أعرفكم)) وقوله: ((فقد والله ملأتم صدري غيظا، وجرعتموني الأمرّين أنفاسا وأفسدتم عليّ رأبي بالعصيان والخذلان)) وقد ختم قوله ((ولكن لا رأي لمن لا يطاع))، وتعبّر هذه الأقوال عن مرارة الحياة مع جماعة لا يفهمون أهداف إمامهم، ولا مستقبل حياتهم. وكان عليه السلام يتمنى أن تكون الكوفة في مأمن من العدوان، وبعدها عن نكبات الدهر فيقول: ((كأني بك يا كوفة تمدين مد الأديم العكاظي، تعركين بالنوازل، وتركبين بالزلازل، واني لأعلم انه ما أراد بك جبار سوء إلا ابتلاه الله

(١) العقاد: عبقرية الإمام ص١٧.
(٢) خالد محمد خالد: في رحاب علي ص٦٦.
(٣) المصدر نفسه ص٢١٧.

بشاغل ورماه بقاتل))[1]. وقد أراد عليه السلام من الكوفة في عهده أن تبلغ القمة من المجد، بعد انتصاره على أهل البصرة في وقعة الجمل، فقد جعلها عاصمة للدولة، وقائدة للأمة، ولكن كثيراً من الكوفيين لم يهضموا هذه الأهداف، فتخلوا عن إمامهم، وانشغلوا في خلافاتهم، وأشار الأستاذ هشام جعيط إلى منطقة الكناسة في الكوفة بقوله: ((وتلفت الكناسة النظر بصورة خاصة، كانت أرضا عراء واسعة في خلافة علي حيث تميم وهمدان تفضان الخلافات بينهما))[2]. فقد كان الأولى بالناس الالتفاف حول الإمام عليه السلام، وتنفيذ إرشاداته ونصائحه، واقتفاء سيرته القائمة على الزهد والقناعة، فقد كان عليه السلام يخرج إلى سوق الكوفة، وهو خليفة المسلمين وأمير المؤمنين، حاملاً احد أسيافه الأثيرة لديه، الحبيبة إليه عارضا إياه للبيع وقائلا: ((من يشتري سيفي هذا فو الله لو كان معي ثمن أزار ما بعته)) لماذا هذه الفاقة، وبيت المال يستقبل كل يوم من أقطار الإسلام مالاً غدقا، ومن حقه كأمير المؤمنين أن يأخذ منه كفاية، لماذا يصر على أن يطحن بنفسه دقيقه ؟ ويرّقع مدرعته حتى لا يبقى فيها مكان لرقاع جديدة، لماذا لا يأكل الخبز إلا قديداً مخلوطاً بنخالته ؟ ويهرب من قصر الإمارة بالكوفة إلى كوخ من طين[3]. وكان عليه السلام يرى بعض أصحابه قد خرج من التزاماته الدينية، وقد قارن بينهم وبين أصحاب رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فيقول: ((والله لقد رأيت أصحاب محمد صلى الله عليه وآله وسلم فما أرى اليوم شيئا يشبههم.. لقد كانوا يصبحون وبين أعينهم آثار الليل، باتوا فيه سجّداً لله، يتلون كتابه، ويتراوحون بين جباههم وأقدامهم.. وإذا ذكروا الله مادوا كما يميد الشجر في يوم ريح.. وهملت أعينهم حتى تبتل ثيابهم))، وقد أعطى عليه السلام صورة دقيقة لأيام الإسلام الأولى، وأيام الوحي والرسالة، وقد عاش فيها أمير المؤمنين عليه السلام دوماً وأبداً، ولا يستطيع الزمن مهما توغل في البعد أياماً أن ينتزع الإمام

---

(1) محمد عبده: شرح نهج البلاغة ٩٧/١.

(2) هشام جعيط: الكوفة نشأة المدينة العربية الإسلامية ص٢٩٠.

(3) خالد محمد خالد: في رحاب علي ص٢٣٠.

العابد منها، فهي منسكه ومحرابه[1]. ولم تهضم بعض القبائل العربية القادمة من الحجاز أو اليمن إلى الكوفة هذه السيرة وهذه السلوكية، ولذا ابتعد بعضهم عن الإمام عليه السلام، ووجد في سلوكية معاوية ومنهجيته في الحكم والسياسة ما يرضي نفوسهم وحياتهم الدنيوية، ولاشك أنهم لا يلتقون مع منهجية أمير المؤمنين عليه السلام العبادية ووصاياه العقائدية كما في قوله: ((أوصيكم عباد الله بتقوى الله فان تقوى الله خير ما تواصى به عباده، واقرب الأعمال لرضوانه، وأفضلها في عواقب الأمور عنده، وبتقوى الله أمرتم وللاحسان خلقتم))، فان دعوته الخالصة لتقوى الله وحسن عبادته وطاعته، قد لاقت قبولاً حسناً عند بعض أصحابه، ولكنها لم تدخل في أعماق غيرهم، فسرعان ما فضلوا الدنيا على الآخرة، وان هذا الاختلاف العقائدي كان واضحا في الحياة الاجتماعية في مدينة الكوفة، وفي عهد أمير المؤمنين عليه السلام.

---

(1) خالد محمد خالد: في رحاب علي ص٦٢- ص٦٣.

قبيلة مذحج في حاضرة الكوفة

المقدمة:

تحتاج القبائل العربية إلى دراسات مستفيضة ودقيقة للوقوف على أصولها القبلية وأماكنها الجغرافية، وان كثيراً من القبائل العربية لم يقف المؤرخون والجغرافيون والأدباء على آراء موحدة لأصول هذه القبائل وأنسابها ومواطنها، وكان الاجتهاد موضعاً للبحث والدراسة عند تحليل النصوص، وتعد قبيلة مذحج في مقدمة القبائل العربية الضاربة في أعماق التاريخ جذوراً عميقة وذلك في عصر ما قبل الإسلام، فقد كان لها في بعض أيام العرب مساهمات ومع القبائل العربية علاقات سياسية واجتماعية، وبقي التاريخ يلاحق قبيلة مذحج في العصور الإسلامية، فقد كان لها في عمليات التحرير والفتوحات في العراق والشام ومصر والمشرق مساهمات عسكرية بارزة، ساعدت على نشر الإسلام وحمل لوائه وفي أحداث الخلافة الراشدة مواقف سياسية وهذا مما جعل قبيلة مذحج تساهم في بناء الدولة العربية الإسلامية وكان لها في حاضرة الكوفة منذ تمصيرها عام ١٧هـ حضور اجتماعي وسياسي وإداري وهذا مما جعل بحثنا يقتصر على موقع قبيلة مذحج في مدينة الكوفة وبالتحديد في عهد الخلافة الراشدة، إذ شهدت هذه الفترة أحداثاً سياسية كان لها آثارها على مستقبل الدولة العربية الإسلامية في عصورها التالية، ومن الله تعالى التوفيق، انه نعم المولى ونعم النصير.

العمق التاريخي لقبيلة مذحج:

احتلت قبيلة مذحج بعداً تاريخياً عميقاً من بين القبائل العربية الجنوبية التي استوطنت اليمن في عصور قديمة، وقد ذهب كثير من المؤرخين إلى أنها تنحدر من مالك بن ادد بن زيد بن يشجب بن عريب بن زيد بن كهلان بن سبأ[1]. وقد أكد المؤرخ اليمني أبو محمد الحسن الهمداني ((ت٣٤٤هـ)) على هذا النسب في كتابه

---

(1) ابن قتيبة: المعارف، ص١٠٥، اليعقوبي: التاريخ ٢٠٢/١ المبرد: نسب عدنان وقحطان ص١٩.

((الاكليل))[1]. وقد أطلق على قبيلة مذحج لفظ ((شعب)) لان القبائل تشعبت منها، كما عدت من جماجم العرب لأن ((الجماجم)) تتفرع منها قبائل[2]. ويلتقي لفظ الشعب مع لفظ الجماجم في المعنى، وعلى ذلك تصبح قبيلة مذحج من القبائل الرئيسة في العرب وتكون بمنزلة الرأس للأنساب[3]. وقد اختلف علماء اللغة والأنساب والتاريخ في الوصول إلى معنى ((مذحج)) إن كانت نسبة لإنسان أو مكان أو فعل أو غيرها، ولكن الراجح كما ذهبت بعض مصادر اللغة أنها نسبة إلى الفعل ((ذحج)) بفتح الذال وكسر الجيم – فيقول ((إذ حجت أي أقمت))[4]. وهذا الرأي الذي ذهبنا إليه يلتقي مع النسبة المكانية أو اللسانية التي أشارت إلى معنى ((مذحج)) ومن المتفق عليه إن قبائل مذحج وتفرعاتها تنتسب إلى رجال كانوا أعلاماً شامخة في التاريخ العربي وهم من ولد مالك بن ادد، والحكم بن سعد العشيرة وجعفى بن سعد العشيرة وغيرهم، وأصبح لأبناء هؤلاء وأحفادهم حضور في التاريخ العربي قبل الإسلام، وفي عصور التاريخ الإسلامي، وأشارت المصادر إلى الفصائل المتفرعة من مذحج والمنحدرة من سلاسة جلد بن مالك بن ادد، وجسر بن عمرو الذي ينتسب إليه النخعيون و غيرهم وقد حددت مصادر التاريخ، وملاحم العرب في أيامهم في أرض اليمن مناطق مذحج من هذه الأرض العربية إذ تقع مضاربهم بين نجران وأرض عامر أو في المنطقة المحصورة بين مأرب ونجران[5]. وهذا له دلالة أن الجزء الشمالي من اليمن كان موطن قبيلة مذحج وفصائلها ولكن المنازعات التي وقعت بين مذحج وغيرها من القبائل العربية وبخاصة مع بني عامر أدى إلى انتشار المذحجيين في

---

(1) الهمداني: الاكليل ١٤٦/١.

(2) ابن عبد ربه: العقد الفريد ٣٠٧/٣، ابن رشيق: العمدة ١٩٠/٢- ١٩١.

(3) سعد عبود سمار: قبائل مذحج، ص١٥.

(4) ابن منظور: لسان العرب ١٠٥: ١، الزبيدي: تاج العروس، ٥٨٥/٥.

(5) أبو عبيدة، معمر بن المثنى: نقائض جرير والفرزدق، ص٤٦٩.

أرجاء اليمن فاندمج بعضهم مع حمير[1]. ويقول الدكتور جواد علي: إن مذحج كانت تنزل في ((الافلاج)) أو حولها في المنطقة المسماة ((جبل الطويق)) في الوقت الحاضر، والظاهر إن غزو امرئ القيس لنجد قد جعل قبائل مذحج مضطرة إلى الهجرة صوب الجنوب واستيطانهم في العربية الجنوبية[2]. وحدد الدكتور نزار الحديثي العلاقة بين مذحج وحمير بقوله: إن قبائل مذحج تسللت من ((العبر)) و((ردمان)) إلى المنطقة المحصورة بين شبوة بحضرموت، ((بلد المعافر)) التي كانت تعرف ((سر و حمير)) فاستوطنتها وأجلت عنها حمير في الإسلام وعرفت هذه الأراضي فيها بعد سرو مذحج[3]. وقد سميت بعض التقسيمات الإدارية في اليمن والتي تدعى بالمخاليف إلى بعض البطون من قبيلة مذحج، كمخلاف جنب ومخلاف سحنان، ومخلاف زبيد، ومخلاف جعفى، وهذا له دلالة على انتشار مذحج في مناطق واسعة في اليمن، وكانت لها مع القبائل الشمالية علاقات غير ودية أدت إلى حروب عرف بعضها بالأيام، كيوم البيداء بين عدوان ومذحج[4]. ويوم السلان الذي سجلت فيه مذحج انتصاراً[5]. ويوم خزاز بين مذحج وربيعة وقد خسرت مذحج المعركة وقد أشار إلى ذلك السفاح التغلبي إلى ذلك بقوله[6]:

وليلة بت أوقد في خزازى ... هديت كتائب متحيرات

وقد أدى الاحتكاك بين قبيلة مذحج وغيرها من القبائل إلى حروب كقبيلة سليم وقبيلة عامر بن صعصعة، وقبيلة تميم وغيرها وقد أشار المؤرخ الهمداني في

---

(1) الهمداني: صفة جزيرة العرب، ص١٧٥.

(2) جواد علي: المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام ٢/ ٥٥٢.

(3) الحديثي: أهل اليمن في صدر الإسلام، ص٦٩.

(4) آلافوه الاودي: الديوان، ص٧.

(5) ن. م، ص٦.

(6) أبو عبيدة: نقائض جرير والفرزدق، ص١٠٤٤- ص١٠٩٥، أيام العرب قبل الإسلام ق٣٧٩/١.

كتاب ((الاكليل)) إلى صراع مذحج مع همدان وأشار ياقوت الحموي إلى صراع مذحج مع قضاعة وطيء والازد وكندة ونجد في كتاب ((الأغاني)) لأبي الفرج الأصفهاني والعقد الفريد لابن عبد ربه وكتاب ((معجم ما استعجم)) للبكري وكتاب ((التيجان في ملوك حمير)) لوهب بن منبه وغيرها من الكتب المعنية بتاريخ اليمن.

اعتناق قبيلة مذحج للإسلام:

كانت أسرة الصحابي الجليل عمار بن ياسر أول من اعتنقت الإسلام من قبيلة مذحج، فقد انتسبت هذه الأسرة لقبيلة عنس إحدى فصائل مذحج، فقد آمن ياسر وسمية أبو عمار بالإسلام كما آمن عمار وأخوه عبد الله به إيماناً عقائدياً راسخاً وذكر المؤرخ اليعقوبي إن محمية بن جزء بن عبد يغوث الزبيدي حليف بني جمح قد اعتنق الإسلام وكان من البدريين[1]. وكان هلال بن أبي خولي وأخواه خولي وعبد الله قد شهدوا معركة بدر الكبرى[2]. ويبدو إن الإسلام قد دخل في صفوف المذحجيين بصورة جماعية بعد إرسال النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم الرسل إلى اليمن في السنة التاسعة للهجرة وقد وصلت إلى المدينة المنورة وفود يمنية وقد أعلنت إسلامها على يد النبي صلى الله عليه وآله وسلم، وفي السنة العاشرة من الهجرة وجه النبي الكريم الإمام علياً عليه السلام في سرية إلى شمال اليمن لدعوة الناس إلى الإسلام، فوصل عليه السلام إلى أرض مذحج وبعد قتال معهم، أدى إلى هزيمتهم وسقوط لوائهم وعند ذلك كف عن قتالهم ودعاهم إلى الإسلام فأجابوه فاخذ منهم الصدقات[3]. وأشار الطبري إلى إسلام قبيلة همدان على يد الإمام علي

---

(1) اليعقوبي: التاريخ ٧٦/٢.

(2) ابن هشام: السيرة النبوية ١٧٤/٤، البلاذري: فتوح البلدان، ص٧٧، ابن الأثير: الكامل في التاريخ ٢٩٠/٢، ابن كثير: البداية والنهاية ٧٥/٥.

(3) الواقدي: المغازي: ١٠٨٠/٣.

عليه السلام[1]. وأخذت وفود اليمنيين تصل من فصائل قبيلة مذحج معلنة إسلامها فأسلمت مراد وزبيد وعنس وبني سعد العشيرة وجعفى والنخع، وكانت هذه القبيلة آخر من وفد على النبي صلى الله عليه وآله وسلم من مذحج في السنة الحادية عشرة للهجرة وكان هذا الوفد برئاسة زرارة بن عمرو النخعي[2] ولكن هذه الوفود لم تؤلف مجموع القبائل المذحجية، إذ إن بعضها بقي على جاهليته وتبع بعضهم الأسود العنسي (عبهلة بن كعب بن عوف) في حركته وادعائه النبوة[3]. في حين أن هناك من قاتل الأسود العنسي من مذحج وهمدان تحت لواء قيس بن مكشوح المرادي[4]. وكانت زعامات مذحج في هذه الفترة التي أعقبت وفاة النبي صلى الله عليه وآله وسلم تنقلت بين عمرو بن معد يكرب الزبيدي، وفروه بن حسيك المرادي، والأسود العنسي، وقيس بن مكشوح المرادي.

قبيلة مذحج في العراق:

ساهمت قبيلة مذحج في عمليات تحرير العراق من السيطرة الفارسية، وبلاد الشام من السيطرة البيزنطية مساهمة فعالة في المعارك العسكرية الحاسمة، والذي يهمنا هنا دور مذحج في العراق، وذلك بدءاً من معركة القادسية عام ١٥هـ/٦٣٦م، وكان عددهم عند مسير القائد سعد بن أبي وقاص من المدينة المنورة نحو العراق (١٣٠٠ مقاتل) تحت زعامة ثلاثة من رؤسائهم وهم[5]:

١- عمرو بن معد يكرب الزبيدي على بني منبه.

٢- أبو سبرة بن ذؤيب، على بني جعفى.

٣- يزيد بن الحارث الصدائي، على بطون صداء وجنب ومسيلة.

---

(١) الطبري: التاريخ ١٣٢/٣.

(٢) ابن سعد: الطبقات الكبرى ٣٤٦/١.

(٣) البلاذري: فتوح البلدان، ص١٠٩.

(٤) ن. م ص١١٠، الطبري: التاريخ ٢٣٠/٣، ابن الأثير، الكامل في التاريخ ٣٣٩/٢.

(٥) الطبري: التاريخ ٤٨٤/٣، ابن الأثير: الكامل ٤٥١/٢.

وقد لعبت قبيلة النخع من مذحج دوراً بارزاً في المعركة، وقد شهد لهم عمر بن الخطاب بقوله: (أن الشرف فيكم يا معشر النخع لمتربع)[1]. وكان بعض النخعيين قد سار إلى بلاد الشام لقتال البيزنطيين، كما كان لهم في العراق جولات وصولات مع الفرس، قد أوكلت لعمرو بن معد يكرب الزبيدي مهمة استطلاع القوات الفارسية التي كان يقودها جالينوس[2]. وقد تمكن عمرو بن معد يكرب من قتل احد الفرسان الذي كان يقف بين الصفين ويرمي جيش المسلمين بالنشاب[3]. وكان زيد بن عبد الله النخعي أول من رشق الفرس بالنبال، ثم حمل على الفرس وعند استشهاده اخذ أخوه ارطاة الراية[4]. وفي أيام القادسية وصلت إمدادات عسكرية بقيادة قيس بن هبيرة المرادي وتتألف بين ٧٠٠ - ١٠٠٠ فارس وفيهم من النخع الاشتر النخعي[5]. وقد استبسل المذحجيون في أحداث القادسية فوقف عمرو بن معد يكرب الزبيدي بين الصفوف وهو ينادي، ((يا معشر المهاجرين كونوا اسوداً، فان الأسد من أغنى نفسه))[6]. وأشار الطبري إلى قبيلة جعفى المذحجية وإسهاماتها في القتال[7]. وفي ليلة الهرير حمل لواء النخع زيد بن كعب النخعي[8]. وقد حدد الطبري أسماء القادة المذحجيين وانتماءاتهم القبيلة منهم[9]:

١- عمرو بن معد يكرب الزبيدي.

٢- قيس بن هبيرة المرادي.

---

(١) الطبري: التاريخ ٤٨٤/٣.

(٢) ن. م ٥١١/٣ و ابن الأثير: الكامل ٤٦٠/٢.

(٣) ن. م ٥١١/٣، ابن الأثير: الكامل ٤٦٠/٢.

(٤) الدينوري: الأخبار الطوال ص١٢٨.

(٥) ن. م ص١٢٧، البلاذري: فتوح البلدان، ص٢٥٣.

(٦) أبو يوسف: الخراج ص٣٤.

(٧) الطبري: التاريخ ٥٥٥/٣.

(٨) الطبري: التاريخ ٥٦٠/٣، ابن عبد البر: الاستيعاب ٥١٦/١.

(٩) ن. م ٥٦٣/٣.

٣- ابن ذي البردين الهلالي (هلال النخع).
٤- كثير بن شهاب المذحجي.

وقد شاركت المرأة المذحجية في القتال في أيام القادسية فقد كانت نساء النخع وبجيلة يقمن بمهام قتالية[1]. وبقي المذحجيون يواصلون الجهاد بعد القادسية في معارك المدائن وجلولاء ونهاوند، ففي يوم جلولاء أرسل سعد بن أبي وقاص مدداً عسكريا بقيادة قيس بن هبيرة المرادي في ألف مقاتل[2]. وأصبح له موقع قيادي في المعركة، وهو على خيل المسلمين، وان قيس بن هبيرة المرادي على الجناح[3]. وأعطى المؤرخ ابن اعثم الكوفي لموقف جابر بن طارق النخعي أهمية قتالية وقتله لرستم الأصغر[4]. وفي معركة نهاوند عام ٢١هـ أبلى المذحجيون بلاءاً حسنا في المعركة وكان قيس بن هبيرة المرادي على مقدمة المسلمين وقد دخل إلى أرض ((قرميسين))[5]. وكُلِّف عمرو بن معد يكرب الزبيدي من قبل القائد النعمان بن مقرن بقيادة استطلاعية لحشود الفرس، وكان مستشار النعمان في وضع الخطط العسكرية، وكان فرسان مذحج قد تصدوا للفيلة التي استخدمها الفرس في المعركة[6]. وقد حمل فرسان مذحج وفرسان نخع وزبيد على قطعات الفرس حتى أزالوهم عن أماكنهم، وكانت هذه المعركة قد انتهت لصالح المسلمين، واستشهد فيها عمرو بن معد يكرب الزبيدي.

---

(1) ن. م ٣/٥٧١، ابن كثير: البداية والنهاية ٧/٧٦.
(2) الدينوري: الأخبار الطوال ص١٣٤ و ابن اعثم الكوفي: الفتوح ١/٢٧٢.
(3) البلاذري: فتوح البلدان ص٢٩٠.
(4) ابن اعثم الكوفي: الفتوح ١/٢٧٥.
(5) ن. م ٢/٤٣.
(6) ابن اعثم الكوفي: الفتوح ٢/٤٥- ٥٥.

موقع مذحج من خطط الكوفة:

تأسست مدينة الكوفة عام ١٧هـ/٦٣٨م لتكون معسكراً ثابتا للجيش العربي الإسلامي الذي تولى مهمة تحرير أرض السواد من السيطرة الفارسية، ولذا أطلق عليها لفظ (كوفة الجند)[١]. وقد اختير موقع الكوفة ليكون نقطة ارتكاز يستريح عندها الجند من عناء السفر وعناء القتال، ومن ثم أصبحت معسكراً ثابتاً[٢]. وقد اختطت كل قبيلة مع رئيسها خطة، وكان عددها أحدى وعشرين خطة[٣]. وكانت لقبائل اليمن تسع خطط هي: كندة، مذحج، طيء، اشعر، لخم، جذام، الازد، خثعم، همدان[٤]. وشكلت قبائل اليمن وقبائل نزار أسباع مدينة الكوفة، وكان الغرض من هذا التخطيط أحكام الأشراف على القبائل، وتنظيم العطاء، وقد احتلت مذحج وحمير وهمدان وحلفاؤهم سبعا، وجعل على كل ربع أميراً[٥]. وهذا يشكل الوسيط بين السلطة وهذه القبائل، وفي عهد الإمام علي عليه السلام (٣٦-٤٠هـ) تغيرت الأسباع فأصبحت قبيلة مذحج والأشعريين في خطة عليها زياد بن نصر[٦]. وحينما ولي زياد بن أبيه ولاية الكوفة في عهد معاوية بن أبي سفيان (٤١-٦٠هـ) حول خطط مدينة الكوفة إلى أرباع هي[٧]:

١- أهل المدينة ربعاً وعليها عمرو بن حريث.

٢- تميم وهمدان ربعا وعليها خالد بن عرفطة.

---

(١) ياقوت: معجم البلدان ٤/٤٩١.

(٢) الموسوي: العوامل التاريخية لنشأة وتطور المدن ص٨٣. الحكيم: (تمصير الكوفة بين الإنسان والأرض) مجلة الكوفة: المجلد الخامس، العدد الأول ٢٠٠١، ص٤٦.

(٣) اليعقوبي: البلدان ص٣١٠- ٣١١، الطبري: التاريخ ٤/١٩٠.

(٤) حسين علي محفوظ: (تاريخ الكوفة تعريف مقتضب وتلخيص سريع) مجلة الكوفة المجلد الخامس، ص٤١.

(٥) ابن عبد ربه: العقد الفريد، ٤/١٩٢.

(٦) نصر بن مزاحم: وقعة صفين، ص١١٧.

(٧) الطبري: التاريخ ٦/١٥٠.

٣- ربيعة ربعا وعليها قيس بن الوليد.

٤- مذحج وأسد ربعا وعليها أبو بردة بن أبي موسى الأشعري وكان غرض زياد بن أبيه من هذا التحول الإداري في الكوفة ضم كل ربع من هذه الأرباع إلى مجموعات قبلية ولا ينسجم بعضها بعضاً من ناحية النسبة(١).

وكانت قبيلة النخع من قبائل مذحج الكبيرة وتنتسب إلى جسر بن عمرو بن علة بن جلد بن مالك(٢). وقد تفرعت عن النخع بطون عديدة هي: عامر، وصهبان، وهبيل، وجذيمة، وحارثة، وكعب، وكليب، ونهار، وقيس بن سعد، وحارثة، وجحفل(٣).

ويستفاد من التقسيم الإداري القائم على القبيلة في الكوفة والذي عرف بالأسباع تارة وبالأرباع تارة أخرى إلى طبيعة المدينة العسكرية والأمنية، وقد ذكر المؤرخ الطبري أن النخع من قبيلة مذحج قد استقرت في قبلة المسجد(٤). وذهب المستشرق ماسنيون إلى القول: ان قبائل مذحج وحمير وهمدان كانوا من سكان المدن والقرى، ولذا عدهم متمدنين تقريباً، وان كندة وبجيلة نصف متحضرين، وان هذه القبائل كانت سبباً في تحضير سكان الكوفة من العرب(٥). وقد يكون هذا التعميم غير دقيق لان القبائل كانت متوزعة في البلاد فمنها المستقرة ومنها المتنقلة حسب ظروفها الاقتصادية والاجتماعية، ولكن الذي نصل إليه أن لقبيلة مذحج في الكوفة عدا منازلها المعروفة خططا أخرى أشار إليها المؤرخون وهي:

---

(١) ناجي حسن: القبائل العربية في المشرق، ص٨٥.

(٢) ابن الكلبي: نسب معد واليمن الكبير ٢٨٧/١.

(٣) ابن عبد ربه: العقد الفريد ٣١٠/٣ – ٣١١، ابن حزم: جمهرة أنساب العرب ص٤١٠ – ص٤١٢.

(٤) الطبري: التريخ ٤٨٨/٣.

(٥) ماسنيون: خطط الكوفة، ص٥٣، ينظر سعد عبود: قبيلة مذحج، ص٢٢٠.

١ـ المسجد:

كان مسجد جعفى من المساجد المهمة في عهد خلافة الإمام علي عليه السلام ويقع في الجنوب الغربي من مسجد الكوفة ولكل من مسيلة والنخع وصهبان وهبيل وعامر وجذيمة والحارث مساجد(١).

٢ـ الجبانات:

كانت لقبيلة مذحج وتفرعاتها مقابر في الكوفة عرفت بأسمائها كجبانة مراد، وجبانة جعفى التي تنسب إلى المبارك بن عكرمة بن حميري الجعفي(٢):

موقع قبيلة مذحج العلمي والإداري:

احتلت قبيلة مذحج دوراً في المعارك وحروب التحرير وقد اشرنا إلى ذلك ولها دور بارز في الحياة العلمية والإدارية في مدينة الكوفة، وكان عدد كبير من الصحابة قد نزل الكوفة منذ تأسيسها، وأصبح لهم جذر عميق في نشأة مدرسة الكوفة وكان من بينهم ثلاثة من مذحج وهم: أبو موسى عبد الله بن قيس الأشعري، وسلمة بن يزيد، وحذيفة بن اليمان العبسي، وقد أشار الأستاذ الدكتور نزار عبد اللطيف الحديثي إلى قائمة بالصحابة الذين نزلوا الكوفة ومنهم المذحجيين وفصائلم في بحثه المقدم لألفية الكوفة والمنشور في المجلد الخامس وأطلق عليهم لفظ ((سرج الكوفة)) وقد اشرنا إلى ذلك في بحثنا (تمصير الكوفة بين الإنسان والأرض) المقدم إلى المؤتمر العلمي الذي عقدته جامعة الكوفة وكان بعض أعلام مذحج قد جمع بين العلم والإدارة وكان لبعضهم مساهمات في الأحداث التي شهدتها مدينة الكوفة وهم:

---

(١) ابن الكلبي: نسب معد واليمن الكبير، ٢٨٨/١ ينظر البراقي، تاريخ الكوفة، ص٨٣ - ص٨٥،

(٢) اليعقوبي: البلدان ص٣١١، البلاذري: فتوح البلدان، ص٢٧٩.

١- سلمة بن يزيد الجعفي، صحابي وفد على النبي ﷺ، وكانت له راية على مذحج وهمدان في القادسية.
٢- زحر بن قيس الجعفي، كان والياً على المدائن في عهد أمير المؤمنين علي عليه السلام.
٣- فرات بن زحر الجعفي، شارك في حركة المختار الثقفي وقتل في معركة جبانة السبيع.
٤- جبلة بن زحر الجعفي، شارك في حركة عبد الرحمن بن الأشعث، وكان من قراء الكوفة، وقد وصف بأنه من عظماء اليمن.
٥- عبيد الله بن الحر بن عمرو الجعفي.
٦- جمانة بن شريح بن مرة.
٧- المختار بن كعب بن مالك.
٨- عبد الله بن الحارث بن عمرو بن وهب.
٩- الاسعر بن حمران
١٠- دينار بن بادية.
١١- تميم بن عبد الله
١٢- سويد بن غفلة بن عوسجة.
١٣- جابر بن يزيد بن بداء.
١٤- أبو خثيمة تميم بن معاوية.
١٥- عبد الله بن إدريس.

وكان من بين هؤلاء الشاعر والفقيه والقائد، وبرز من قبيلة (النخع) المذحجية إداريون وقادة وعلماء منهم:

١- ارطاة بن كعب بن شراحيل، وقد وفد على النبي ﷺ واستشهد في يوم القادسية.
٢- دريد بن كعب بن شراحيل، تسلم لواء النخع بعد استشهاد أخيه وقاتل به حتى استشهد.
٣- عرفجة بن وهم بن سنان.
٤- الأرقم النخعي.

٥- زرارة بن قيس.

٦- هاني بن هوذة، الذي أبقاه الإمام علي في الكوفة عند مسيره إلى النهروان.

٧- الحارث بن لقيط النخعي.

٨- الهيثم بن الأسود النخعي.

٩- العريان بن الهيثم بن الاسود.

١٠- مالك بن الحارث بن يغوث النخعي، وقد كان من ابرز رجال النخع وصاحب راية أمير المؤمنين عليه السلام في صفين، وقد ولاه الإمام عليه السلام ولاية مصر.

١١- إبراهيم بن مالك الاشتر النخعي، الذي كان احد قادة المختار بن أبي عبيد الثقفي البارزين.

١٢- كميل بن زياد النخعي و كان واليا لأمير المؤمنين عليه السلام على هيت، وهو صاحب الدعاء المشهور بدعاء كميل.

١٣- شريح بن خالد بن جعفر.

١٤- يزيد بن قيس بن مالك.

١٥- قطن بن حجر بن هبيرة.

١٦- شريك القاضي.

١٧- حفص بن غياث بن طلق القاضي.

١٨- الحجاج بن ارطاة.

١٩- إبراهيم بن يزيد بن الحارثة.

٢٠- الأسود بن يزيد.

٢١- عبد الرحمن بن يزيد.

٢٢- شريح بن كعب بن سلامان.

٢٣- حفص بن غياث.

٢٤- حشرج بن زياد.

٢٥- حبش بن الحارث بن لقيط.

٢٦- حرملة بن قيس.

ونبغ من فصائل مذحج الأخرى ممن ينتسب إلى ((رهاء)) وجنب وصداء، ومن الفصائل الأخرى المتنسبة إلى مراد وعنس.

وإذا تتبعنا أحداث معركتي الجمل وصفين نجد قبيلة مذحج تحتل مركز الصادرة في جيش الإمام علي عليه السلام ويتقدم مالك الاشتر النخعي وكميل بن زياد النخعي رجالات مذحج في الأحداث التي وقعت في عهدي عثمان بن عفان والإمام علي، وكان لمذحج السبق في مبايعة الإمام عليه السلام بالخلافة، وقد التقى برؤسائهم، وكان من النخع هشام بن أبرهة، ومن مراد عبد الرحمن بن ملجم[1]. وأرسل المراديون من مصر سودان بن حمران لمبايعة الإمام عليه السلام وكان للمذحجيين في معركة الجمل قيادات عسكرية بارزة وهي على النحو الآتي:

١- مالك بن الحارث ((الاشتر النخعي)) على الميمنة.

٢- عمار بن ياسر العنسي على الميسرة.

٣- هند المرادي على الساقة.

٤- شريح بن هانئ المرادي علي الرجالة.

ولعل ابرز وقائع الجمل هو تعانق الاشتر النخعي وعبد الله بن الزبير، مما جعل ابن الزبير ينادي ((اقتلوني ومالكاً)) وقد أوضح مالك الاشتر فيما بعد لأصحابه هذه المقولة بقوله: ما أنجاني إلا قول ابن الزبير اقتلوني والاشتر لقتلوني[2]. وكان لمالك الاشتر في يوم الجمل صولات وجولات وقد احتل مركز الصدارة في يوم صفين، وقد وقف عند الجسر المعقود على الفرات لعبور جيش الإمام عليه السلام فوقف الاشتر مع ثلاثة آلاف فارس حتى لم يبق احد من الناس الاعبر[3] وفي وقائع صفين كان مالك الاشتر في قلبها، والرايات المذحجية وغيرها

---

(١) ابن اعثم الكوفي: الفتوح ٢٥٥/٢.

(٢) ابن اعثم الكوفي: الفتوح ٣٣٢/٢ – ٣٣٣، المسعودي: مروج الذهب ٦٧/٢.

(٣) نصر بن مزاحم: وقعة صفين، ص١٥٢، البلاذري: أنساب الأشراف، ٩٨/٢ والطبري: التاريخ ٥٦٥/٤.

حوله، وقد تمكن ببسالة و شجاعة إزاحة جيش معاوية عن الماء، وألقى فرسان الشاميين تحت ضربات سيفه، وكان في ((الليلة الهرير)) يخاطب جنده بقوله: ازحفوا قيد رمحي هذا، وإذا فعلوا، قال: ازحفوا قارب هذا القوس، وكانت رايته مع حيان بن هوذة النخعي[1]. وقد أوضح نصر بن مزاحم في كتابه ((وقعة صفين)) موقع مالك الاشتر من أحداث صفين، وقيادته للجيش من جانب، ولفصائل مذحج من جانب آخر، ومن الملاحظ إن المصادر قد أشارت إلى موقع المذحجيين في جيش معاوية بن أبي سفيان وإلى المذحجيين الذين اعتزلوا القتال وبعد أن انتهت الحرب بالمهادنة بعد التحكيم بعث الإمام علي عليه السلام مالك الاشتر والياً على مصر وقد شعر معاوية بخطورة هذه الولاية على ملكه في الشام، فدبر له معاوية مؤامرة لاغتياله عن طريق دس السم بالعسل، ولما نجح معاوية في تدبيره استبشر بوفاة مالك الاشتر[2]. ونختم حديثنا إلى القول: إن الإمام علياً عليه السلام اعتمد على جماعة من المذحجيين لإدارة الأمصار الإسلامية في أثناء خلافته وهم:

١- عبيد السلماني المرادي، والياً على الفرات.

٢- كميل بن زياد النخعي، والياً على هيت.

٣- مالك بن الحارث (الاشتر النخعي) على الجزيرة و مصر.

٤- هاني بن هوذة النخعي، والياً على الكوفة.

٥- عبد الله بن عبد المدان الحارثي، والياً على نجران.

٦- العقار بن قيس الجعفي، والياً على المدئن.

٧- زحر بن قيس الجعفي والياً على المدائن.

---

(١) نصر بن مزاحم: وقعة صفين ص٤٧٥.

(٢) البلاذري:أنساب الأشراف ٢/٣٩٨- ٣٩٩، الطبري: التاريخ ٥/٩٥- ٩٦، المسعودي مروج الذهب ٢/٤٠٩.

النجف الاشرف والكوفة في رحلة ابن بطوطة

زار الرحالة العربي أبو عبد الله محمد بن عبد الله اللواتي الطنجي المعروف بابن بطوطة مدينة النجف الاشرف عام ٧٢٧هـ/١٣٢٧م ووصف معالمها الحضارية والفكرية والإدارية والاقتصادية في كتابه ((تحفة النظار في غرائب الأمصار وعجائب الأسفار)) وصفاً كان بعضه يحتاج إلى إيضاح وتفصيل وبعضه إلى نقد وتحليل، وهذا مما جعلنا نطلق لفظة ((المقارنة)) على بحثنا هذا بعد الرجوع إلى المصادر والمراجع التي تناولت مدينة النجف بشمولية ووضوح منذ تمصيرها في أوائل العصر العباسي، وحتى حقبة العصر المغولي الايلخاني، ولما كان ابن بطوطة في وصفه للمدينة قد تنقل من جانب لآخر، وكرر العودة لجوانب سبق أن ذكرها، فآثرنا تقسيم البحث وفق الآتي:

١ـ الطرق والمواصلات:

دخل ابن بطوطة مدينة النجف الاشرف من طريق البادية، وهو طريق الحج البري الذي يربط النجف بالديار المقدسة، فوصف آبار السيدة زبيدة والآبار والأحواض الأخرى في الطريق، ووقف على الوديان والهضاب، وكان وصفه لهذه الظواهر الطبيعية يلتقي مع وصف الرحالة ابن جبير الذي سبقه بما يقرب من قرن ونصف[1]. وعند وصول ابن بطوطة إلى القادسية وصفها بالقول:

((القادسية مدينة عظيمة افتتحها سعد رضي الله عنه، وخربت فلم يبق منها الآن إلا مقدار قرية كبيرة فيها حدائق النخل. وبها مشروع ماء الفرات))[2]. وقد وضع ابن بطوطة في هذا النص مدينة القادسية بين عام ١٥هـ عند وقوع المعركة الفاصلة

---

(1) ابن بطوطة: الرحالة ١٠٩/١، ابن جبير: الرحالة ص١٦٣، ص١٦٧ ينظر الحكيم: ((درب زبيدة أو طريق الحاج من الكوفة إلى مكة)) المقدم للمؤتمر العلمي الثاني لكلية الآداب، بجامعة الكوفة بتاريخ ١٩٩٤/١١/٢٦.

(2) ابن بطوطة: الرحالة ١٠٩/٣.

بين العرب المسلمين والفرس، وبين عام ٧٢٧هـ، في أثناء طريقه إلى النجف، حيث أن القادسية لا تبعد عن النجف إلا بضعة أميال، وتوضح رسالة القائد سعد بن أبي وقاص للخليفة عمر بن الخطاب هذه المسافة بقوله: ((إن القادسية بين الخندق والعتيق، وان ما عن يسار القادسية بحر اخضر في جوف لاح إلى الحيرة بين طريقين فأما احدهما فعلى الظهر، وأما الآخر فعلى شاطئ نهر يدعى الخصوص يطلع بمن سلكه على ما بين الخورنق والحيرة))(١). وفي هذا النص أشارة إلى ((بحر النجف))، ((ظهر الحيرة))، ((قصر الخورنق))، وهذه المواقع يمر بها السائح وهو في طريقه إلى مدينة النجف، ومن المؤكد إن ابن بطوطة قد مر بها دون أن يعطي أشارة لها في رحلته، بدليل انه عند رجوعه من النجف، وهو في طريقه إلى البصرة نزل في ((قصر الخورنق)) فيقول: ((وخرجنا من مشهد علي عليه السلام فنزلنا الخورنق موضع سكن النعمان بن المنذر وآبائه من ملوك بني ماء السماء، وبه عمارة وبقايا قباب ضخمة في فضاء فسيح على نهر يخرج من الفرات))(٢). وان وقوفه على آثار الخورنق في تلك الحقبة يعطينا دليلاً على بقائه، وتحديداً لموقعه الذي ما زال مجهولاً حتى وقتنا الحاضر، وان كان بحثنا ((الخورنق والسدير))(٣). قد توصل إلى تحديد تقريبي للخورنق على ضفاف بحر النجف، أو على ((متن النجف))(٤). وكان قد رافق ابن بطوطة في أثناء مسيره من النجف إلى البصرة جماعة من عرب خفاجة، وذلك لحمايته من اللصوص وقطاع الطرق فيقول: ((ولما تحصلت لنا زيارة أمير المؤمنين علي عليه السلام سافر الركب إلى بغداد وسافرت إلى البصرة صحبة رفقة كبيرة من عرب خفاجة وهم أهل تلك البلاد ولهم شوكة عظيمة وباس شديد ولا سبيل للسفر في تلك الأقطار إلا في صحبتهم،

---

(١) الطبري: التاريخ ٤٩٢/٣.

(٢) ابن بطوطة: الرحالة ١١٣/١.

(٣) البحث منشور في مجلة كلية الفقه في النجف، العدد الثالث ١٤١٠هـ / ١٩٨٩م.

(٤) الحكيم: ((الخورنق والسدير)) ص٢١١، ص٢١٢.

فاكتريت جملا على يد أمير تلك القافلة شامر بن دراج الخفاجي))[1]. ويبدو إن ابن بطوطة قد وصلته أخبار قبيلة خفاجة في المنطقة وتصديها لقوافل الحاج ونهبها الأمتعة والأموال في الأعوام ٤٠٢، ٤٠٣، ٤١٤، ٤٢٣ و ٤٥٧، ٤٧٨، ٤٧٩، ٤٨٥، ٥٥٨، ٥٦٣، ٥٧١هـ، وكان يشاركها في التصدي جماعات أخرى من الأعراب. وبقيت قبيلة خفاجة صاحبة السطوة والبأس في القرن الثامن الهجري، وهذا له دلالة على ضعف السلطة المركزية وفقدان الأمن، مما جعل مسالك الطرق غير مأمونة إلا إذا دفعت اتاوات للقبائل القاطنة ذات الشأن والنفوذ كما حصل لأبن بطوطة مع قبيلة خفاجة[2].

٢ـ الوصف الجغرافي والحضاري:

وصف ابن بطوطة مدينة النجف الاشرف بقوله: ((فنزلنا مدينة مشهد علي بن أبي طالب رضي الله عنه بالنجف، وهي مدينة حسنة في أرض فسيحة صلبة من أحسن مدن العراق وأكثرها ناسا وأتقنها بناء))[3]. فقد كانت النجف في هذه الحقبة مسورة ولها قلاع وأبواب وقد أشارت المصادر إلى إن أبا محمد الحسين بن فضل بن سهلان أمر ببناء سور يحيط بالنجف عام ٤٠٠هـ، وقد تولى أبو إسحاق الارجاني أمر البناء والأشراف عليه[4]. ووصف السيد غياث الدين ابن طاووس (ت٦٩٣هـ) هذا السور عام ٥٧٥هـ بقوله: كان للسور بابان هما: باب السلام الكبير، وباب عبد الحميد النقيب بن أسامة[5]. وقد اغفل ابن بطوطة ذكره لسور

(١) ابن بطوطة: الرحلة ١/١١٣.

(٢) الطبري: التاريخ ٩/٦١٣، ١٠/١٥١، ابن الجوزي: المنتظم ٥/٦٥، ٧/٢٦٨، ٩/٦٣، ١٠/٢٠٦، ٢٢٢، ٢٦٠.

(٣) ابن بطوطة: الرحلة ١/١٠٩.

(٤) ابن الأثير: الكامل في التاريخ ٩/٢١٩، ابن كثير: البداية والنهاية ١١/٣٤٢، ابن الوردي: التاريخ ١/٤٤٦، أبو الفدا: المختصر في أحوال البشر ٢/١٣٩.

(٥) ابن طاووس: فرحة الغري ص١٣١.

النجف، ولعل وصفه لها بأنها ((مدينة حسنة)) يعود إلى طبيعة تنظيمها المعماري وتنسيق أسواقها، وقوله ((وأتقنها بناء)) فمن المحتمل أراد بذلك سورها المتين وبه اتخذت النجف شكلا دائريا[١]. وهذه الخصائص التي امتازت بها النجف عند دخول ابن بطوطة لها هي التي قادته إلى القول أنها: ((من أحسن مدن العراق))، وان تركز السكان داخل السور جعلها ذات كثافة عالية، ويضاف إلى سكانها أعداد الزائرين الكبيرة الذين يفدون عليها وبخاصة في المناسبات الدينية كما ذكر ذلك ابن بطوطة في ((ليلة المحيا)) ولكنه لم يعط رقما تقريبيا لعدد سكان النجف، بل اكتفى بالقول: ((وأكثرها ناسا)) وذلك بالقياس إلى المدن العراقية التي زارها.

٣ـ الوضع الاجتماعي والاقتصادي:

تحدث ابن بطوطة عن بعض الظواهر الاجتماعية والاقتصادية في مدينة النجف بقوله: ((وأهلها تجار يسافرون في الأقطار، وهم أهل شجاعة وكرم، ولا يظام جارهم، صحبتهم في الأسفار فحمدت صحبتهم))[٢]. وكانت المصادر والمراجع قد أشارت إلى هذه الحقيقة التي أوردها ابن بطوطة، فان تجارة العراق في هذا الوقت قد تركزت في بغداد والبصرة والموصل وواسط والنجف[٣]. وكان تجار البندقية وجنوة الذين يقصدون بغداد والبصرة يمرون بمدينة النجف[٤]. وان الطرق التجارية التي تبدأ من سوريا تخترق بغداد ثم النجف إلى البصرة[٥]. وبحكم موقع النجف هذا جعل فيها التجارة رائجة، ووضعها الاقتصادي حسن، فأنشئت فيها الأسواق والقيساريات والتي وصفها ابن بطوطة بقوله: ((ولها أسواق حسنة نظيفة دخلناها من باب الحضرة، فاستقبلنا سوق البقالين والطباخين

---

(١) المظفر: مدينة النجف الكبرى ص٥٨.

(٢) ابن بطوطة: الرحلة ١/١١٠.

(٣) خصباك: العراق في عهد المغول الايلخانيين ص١٣٥.

(٤) لونكريك: أربعة قرون من تاريخ العراق الحديث ص١٢، ص١٣.

(٥) الخياط: (النجف في المراجع) موسوعة العتبات المقدسة/قسم النجف ٢٠١/١.

والخبـازين، ثـم سـوق الفاكهـة وثـم سـوق الخيـاطين والقيـسارية ثـم سـوق العطارين))[1]. وتعد ظاهرة تخصص الأسواق حضارية متقدمة حتى لا تتجاور البضائع الرديئة مع البضائع النفيسة، أو البضائع ذات اللهب والشرر مع البضائع النظيفة الترفة، وإلى ذلك أشار الشيزري ((فان ذلك إلى اقتصادهم أرفق، وإلى صنائعهم انفق))[2]. وإذا تأكدنا بان ((العطارين)) الذين ذكرهم ابن بطوطة هم بائعو الأعشاب والعقاقير الطبية، فانه يعطي صورة حضارية جميلة لمدينة النجف في القرن الثامن الهجري، إذ أصبح لهم سوقٌ خاصة بهم.

٤ـ الحياة الدينية والفكرية:

لقد أطال ابن بطوطة في الحديث عن الحياة الدينية والفكرية في مدينة النجف الاشرف، وكان المرقد العلوي في مقدمة حديثه فقال: ((ثم الحضرة حيث القبر الذي يزعمون انه قبر علي عليه السلام))[3]. ويكشف من لفظه ((يزعمون)) عن شكوكه في حقيقة موضوع القبر الشريف، وقد أبطلنا هذا الوهم في بحثنا ((الثوية موقعها وتأريخها))[4]. والذي قسمنا فيه منطقة ((ظهر الكوفة)) جغرافياً إلى قسمين هما: الغري والثوية. وأكدنا من خلال المصادر الموثوقة إن الإمام علياً عليه السلام دفن في ((الغري)) حيث مرقده الآن، وان الصحابة والتابعين الذين نزلوا الكوفة قد دفنوا في ((الثوية)) وهذا مما يضعف رأي الخطيب البغدادي وغيره من المؤرخين من إن الإمام علياً دفن في الثوية[5]. وربما إن ابن بطوطة قد سار على نفس الوهم.

---

(١) ابن بطوطة: الرحلة ١/١٠٩.

(٢) الشيزري: نهاية الرتبة ص١١.

(٣) ابن بطوطة: الرحلة ١/١٠٩.

(٤) البحث منشور في مجلة كلية الفقه، العدد الثاني ١٤٠٣هـ/١٩٨٣م.

(٥) الخطيب البغدادي: تاريخ بغداد ١/١٣٨.

وقد ربط الرحالة ابن بطوطة بين زيارة المرقد العلوي وبعض التقاليد الاجتماعية والشعائر الدينية التي كان يمارسها الزائرون للمرقد بقوله: ((وهذه الروضة لها كرامات عندهم لأنّ بها قبر علي رضي الله عنه فمنها في ليلة السابع والعشرين من رجب وتسمى عندهم ليلة المحيا يؤتى إلى تلك الروضة بكل مُقعد من العراقيين وخراسان وبلاد فارس والروم فيجمع منهم الثلاثون والأربعون ونحو ذلك، فإذا كان بعد العشاء الآخرة جعلوا فوق الضريح المقدس. والناس ينتظرون قيامهم وهم ما بين مصل وذاكر وتالٍ ومشاهد للروضة، فإذا مضى من الليل نصفه أو ثلثاه أو نحو ذلك قام الجميع أصحاء من غير سوء وهم يقولون: لا اله إلا الله، محمد رسول الله، علياً ولي الله، وهذا أمر مستفيض عندهم سمعته من الثقاة، ولم احضر تلك الليلة لكني رأيت بمدرسة الضياف ثلاثة من الرجال: احدهم من أرض الروم، والثاني من اصبهان، والثالث من خراسان، وهم مقعدون فاستخبرتهم عن شأنهم فاخبروني أنهم لم يدركوا ليلة المحيا، وأنهم منتظرون أوانها من عام آخر))[1]. وان هذه الليلة التي أشار إليها ابن بطوطة هي ليلة ((المبعث)) النبوي الشريف، وإذا تعذر على المسلمين زيارة مرقد النبي عليه أفضل الصلاة والسلام، فأنهم يزورون مرقد ابن عمه الإمام علي عليه السلام، فيقول السيد ابن طاووس: ((من عمل ليلة سبع وعشرين من رجب اعلم إن من أفضل الأعمال فيها زيارة مولانا علي أمير المؤمنين عليه السلام))[2]. ولذا يتوافد الناس على مدينة النجف في هذه المناسبة حتى تكتظ بالزائرين إلى درجة الاختناق وما زالت هذه المراسيم تؤدى حتى الوقت الحاضر، وهذا مما جعل الباعة المتجولين يعرضون بضائعهم في شوارع المدينة وساحاتها، فيقول ابن بطوطة ((وهذه الليلة يجتمع لها الناس من البلاد، ويقيمون سوقاً عظيمة مدة عشرة أيام))[3].

---

(1) ابن بطوطة: الرحلة ١/١١٠.

(2) ابن طاووس: إقبال الأعمال ص٦٧٠، ص٦٧٣.

(3) ابن بطوطة: الرحلة ١/١١٠.

ويصف ابن بطوطة أثاث المرقد العلوي وقناديله وتحفه بقوله: ((ثم يدخل القبة وهي مفروشة بأنواع البسط من الحرير وسواه، بها قناديل الذهب والفضة منها الكبار والصغار، وفي وسط القبة مسطبة مكسوة بالخشب عليها صفائح الذهب المنقوشة المحكمة العمل، مسمرة بمسامير الفضة قد غلبت على الخشب بحيث لا يظهر منه شيء وارتفاعها دون القامة، وفوقها ثلاثة من القبور يزعمون احدها قبر آدم عليه الصلاة والسلام، والثاني قبر نوح عليه السلام، والثالث قبر علي رضي الله عنه)) ثم يقول: ((وبين القبور طسوت ذهب وفضة فيها ماء الورد والمسك وأنواع الطيب، يغمس الزائر يده في ذلك ويدهن به وجهه تبركاً))[1]. ويعود أكساء حيطان المرقد بخشب الساج المنقوش إلى عهد عضد الدولة (ت٣٧٢هـ)[2]. وقد بقي إلى عام ٧٥٣هـ أي بعد زيارة ابن بطوطة لمدينة النجف بربع قرن، فقد التهمته النيران[3]. أما حديثه عن قبري ادم ونوح عليهما السلام، فان المأثورات الدينية تشير إلى قبريهما في النجف، ومدفن الإمام علي جوارهما كما ورد في الزيارة المعروفة: ((السلام عليك وعلى ضجيعيك ادم ونوح))[4]. وينتقل بعد ذلك ابن بطوطة إلى وصف أبواب المرقد العلوي وستائره بقوله: ((وللقبة باب آخر عتبته أيضاً من الفضة وعليه ستور الحرير الملون يفضين إلى المسجد مفروش بالبسط الحسان، مستورة حيطانه وسقفه بستور الحرير، وله أربعة أبواب عتباتها فضة، وعليها ستور الحرير))[5]. ومن المحتمل أراد ابن بطوطة بالمسجد الملاصق للمرقد العلوي، هو مسجد عمران بن شاهين الخفاجي، مؤسس الدولة الشاهينية في بطائح العراق في القرن الرابع الهجري، وعند توسيع الصحن الحيدري في القرن الحادي عشر الهجري أزيل قسم من هذا المسجد وما زالت بقيته موجودة حتى

---

(1) ابن بطوطة: الرحلة ١/١١٠.

(2) ابن عنبة: عمدة الطالب ص٤٨.

(3) م. ن، ابن زهرة: غاية الأختصار ص١٦١.

(4) الشرقي: الأحلام ص٥٣.

(5) ابن بطوطة: الرحلة ١/١١٠.

الوقت الحاضر، وهو يدعى بمسجد عمران، وعليه صخرة مخرمة ومنقوشة يعود تأريخها إلى عام ٧٧٦هـ[١]. ويعد ((مسجد عمران)) من أقدم مساجد النجف الاشرف.

وقد توسع ابن بطوطة في وصفه لمدرسة النجف والحركة العلمية والمؤسسات الفكرية الأخرى التي كانت تجاور المرقد العلوي فيقول: ((وبإزائه المدارس والزوايا والخوانق، معمورة أحسن عمارة، وحيطانها بالقاشاني، وهو شبه الزليج عندنا لكن لونه أشرق ونقشه أحسن))[٢]. ومن المحتمل إن هذه المؤسسات كانت تعود إلى القرن الرابع الهجري، فقد بنى عضد الدولة الرواق العلوي الذي أصبح مأوى لطلاب العلم[٣]. وأراد ابن بطوطة بلفظ ((الزوايا)) وهي التي تخصص للعبادة وإطعام الطعام، أما الخوانق ويراد بها بيت الذكر، ومحل إقامة الصوفية وأصحاب الطرق[٤].

وقد أشار إلى ذلك ابن بطوطة بقوله: ((ويدخل من باب الحضرة إلى مدرسة عظيمة يسكنها الطلبة والصوفية من الشيعة، ولكل وارد عليها ضيافة ثلاثة أيام من الخبز واللحم والتمر مرتين في اليوم، ومن تلك المدرسة يدخل باب القبة وعليها الحجاب والنقباء والطواشية فعندما يصل الزائر يقوم إليه احدهم أو جميعهم وذلك على قدر الزائر فيقفون معه على العتبة ويستأذنون له ويقولون عن أمركم يا أمير المؤمنين هذا العبد الضعيف يستأذن على دخوله الروضة العلية فان أذنتم له وإلا رجع، وان لم يكن أهلا بذلك فانتم أهل المكارم والستر، ثم يأمرونه بتقبيل العتبة وهي من فضة وكذلك العضادتان))[٥]. ويعود تأسيس الأربطة والزوايا في مدينة النجف إلى العهد المغولي الايلخاني، إذ لم تشر المصادر إلى

---

(١) الشرقي: الأحلام ص٥٥.

(٢) ابن بطوطة: الرحلة ١/١٠٩.

(٣) الحكيم: الشيخ الطوسي ص٩٨.

(٤) ناجي معروف: علماء النظاميات ص٢٤١، ٢٤٤.

(٥) ابن بطوطة: الرحلة ١/١٠٩- ١١٠.

تاريخ ابعد، ففي عام ٦٦٦هـ انشأ عطا ملك جويني صاحب الديوان في العراق رباطاً للصوفية، وهناك من يؤرخه عام ٦٧٦هـ[1]. وقد عد السيد ابن طاووس هذا الرباط من حسنات الصاحب عطا ملك بن محمد الجويني[2]. وقد أوقف عليه الوقوف الكثيرة، وادر لمن يسكنه ما يحتاج إليه[3]. وتذهب بعض المصادر إلى أن ((دار السيادة)) قد شيد في العهد المغولي الايلخاني وفيه (خانقاه) أو تكية خاصة بالصوفية[4]. ويقول الشيخ محبوبة: إن السلطان محمد خدا بنده وابنه أبا سعيد قد انشأ مدرسة وخانقاه في مدينة النجف، واجريا فيه آثاراً حسنه، وأبواباً من البر[5].

ومما يلاحظ في النص الذي أورده ابن بطوطة وقوع المدارس والزوايا والخوانق في منطقة واحدة مجاورة للمرقد العلوي، وكانت النجف في المدة التي دخلها ابن بطوطة قد أنجبت كثيراً من الأعلام من أبرزهم: السيد حيدر بن علي بن حيدر العلوي الحسني الآملي، وقد تجاوزت تأليفه العشرين كتاباً في التفسير والفقه والحديث وعلم الكلام[6]. والشيخ عبد الرحمن بن محمد بن إبراهيم العتائقي والذي اربت تاليفه على الأربعين كتاباً[7]. وقد أودعت كتبهما في خزانة الروضة الحيدرية[8]. وكان بعض من تولى نقابة العلويين في النجف والذين أشار إليهم ابن

---

(١) ابن الفوطي: الحوادث الجامعة ص٣٥٨، تلخيص مجمع الآداب ٤/ ق١/١٠٣٥، العزاوي: تاريخ العراق بين احتلالين ٢٦٣/١، تاريخ الأدب العربي ٣١٥/١، التعريف بالمؤرخين ١١٠/١.

(٢) ابن طاووس: فرحة الغري ص١١٥.

(٣) ابن الفوطي: الحوادث الجامعة ص٣٥٨.

(٤) سعاد ماهر: مشهد الإمام علي في النجف ص١٣٤، لسترانج: بلدان الخلافة الشرقية ص١٠٤.

(٥) محبوبة: ماضي النجف وحاضرها ٤٦/١.

(٦) الأمين: أعيان الشيعة ٢٦/٢٩، الخياباني: ريحانة الأدب ٦٤/٣، الطهراني: الذريعة ٢/١، ١٢٢/٥٢٥، ٣٢٥، ٣٤٤، ٢٠٤/٣٤٨،٥، ٢٣٨، ٦١/٤٥٥،١٠، ٣٢٦/١٥، ١٦١/٢٠.

(٧) الخياباني: ريحانة الأدب ٨١/٦، القمي: الفوائد الرضوية ص٢٢٧، الكنى والألقاب ٣٤٨/١، شمس الدين، حديث الجامعة النجفية ص٢٨، ص٢٩. الأمين: أعيان الشيعة ١٧٣/٣٧.

(٨) محبوبة: ماضي النجف وحاضرها ٤٦/١، الطهراني: الذريعة ٥٠٢/٢، ٥٠٩، ١٩٦/٤، ١٣١/١٤.

بطوطة في رحلته من الأعلام المؤلفين كالسيد حسن بن تاج الدين الآوي[١]. والسيد محمد بن السيد علي بن طباطبا[٢]. وغيرهم من أعلام مدرسة النجف في القرن الثامن الهجري.

والذي يؤاخذ على رحلة ابن بطوطة في حديثه عن الحياة الدينية والفكرية في النجف هو قوله: ((وأهل هذه المدينة كلهم رافضية))[٣]. ولم نجد في رحلته أية أشارة تشير إلى مضايقات مذهبية قد تعرض لها أو التي تشكل ظاهرة في المجتمع النجفي يومذاك، فقد قصد النجف صدر الدين إبراهيم بن محمد بن المؤيد بن حمويه الجويني الشافعي (ت٧٢٢هـ) وتاج الدين علي بن عبد الله بن أبي الحسن الاردبيلي الشافعي (ت٧٤٦هـ)[٤]. ولم يعط ابن بطوطة دلائل وإثباتات بقوله: ((لكنهم غلوا في علي رضي الله عنه))[٥]. وهذا وهم لاشك فيه، إذ من المحتمل إن ابن بطوطة قد اعتبر الشعائر الدينية التي كان يمارسها الناس في المرقد العلوي من باب الغلو، وهذا الاحتمال بعيد عن الصحة، فالنجفيون مسلمون إماميون، محبون لعلي وآل بيته من غير غلو أو تطرف، كان الأولى بابن بطوطة الإعراض عن مثل هذه الألفاظ، حفاظاً على الوحدة الإسلامية والابتعاد عن التعصب المذهبي البغيض.

٥ـ الحكومة والإدارة:

خضعت مدينة النجف الاشرف بعد سقوط بغداد بيد المغول الايلخانيين عام ٦٥٦هـ/١٢٥٨م رسمياً للمغول، فأرسل هولاكو مائة جندي مغولي لحماية

---

(١) مصطفى جواد: مقدمة ديوان ((الشريف المرتضى)) ١/ ٢٣.

(٢) العزاوي: التعريف بالمؤرخين ١/ ١٣١، كحالة: معجم المؤلفين ١١/ ٥١، اليعقوبي: البابليات ٣ / ق٢ /٢٠٨.

(٣) ابن بطوطة: الرحلة ١/ ١١٠.

(٤) ابن حجر: الدرر الكامنة ١/ ٦٩، ٣/ ١٤٥- ١٤٦.

(٥) ابن بطوطة: الرحلة ١/ ١١٩.

مرقد الإمام علي عليه السلام والسكان القاطنين حوله[1]. وأصبح لنقيب العلويين مقام إداري رفيع، فأشار إليه ابن بطوطة بقوله:

((وليس بهذه المدينة مغرم ولا مكاس ولا وال، وإنما يحكم عليهم نقيب الأشراف))[2]. وتمتد أحيانا سلطة النقيب إلى منطقة جغرافية أوسع تضم النجف وكربلاء والكوفة والحلة[3]. فهو يجمع بشخصيته الصفة الدينية والاجتماعية، والصفة الإدارية، ويشرف على المرقد العلوي وخزائنه، فيقول ابن بطوطة: ((ومن الناس في بلاد العراق وغيرها من يصيبه المرض فينذر للروضة نذراً إذا برئ، ومنهم من يمرض رأسه فيصنع رأساً من ذهب أو فضة ويأتي به إلى الروضة، فيجعله النقيب في الخزانة، وكذلك اليد والرجل وغيرهما من الأعضاء، وخزانة الروضة عظيمة فيها أموال مالا يضبط لكثرته))[4]. ولا شك أن النذور للمرقد العلوي لها جذر تاريخي قديم.

فقد أشارت لنا المصادر نماذج كثيرة من هذه النذور منها إن أبا محمد الحسن بن الفضل بن سهلان لما مرض، نذر أن عوفي يكمل السور على مشهد أمير المؤمنين علي عليه السلام[5]. ولكن لم نجد أية أشارة للنذور الخاصة بإصابة عضو من أعضاء الإنسان بمرض معين وعند الشفاء منه تقدم بدلها أعضاء من الذهب والفضة، كما أشار ابن بطوطة في رحلته، كما لم نجد في الخزانة الحيدرية أية قطعة تؤيد هذا الزعم، وربما استقى ابن بطوطة ذلك من مصادر غير موثوقة. وإنما تأتي

---

(١) رشيد الدين الهمداني: جامع التواريخ ٢/ الجزء الأول /٢٩٦.

(٢) ابن بطوطة: الرحلة ١/١١٠.

(٣) ابن عنبة: عمدة الطالب ص٣١٦، ص٣١٧، عبد الرزاق كمونة: موارد الإتحاف ٢/٤٩، ١٠٧.

(٤) ابن بطوطة: الرحلة ١/١١٠.

(٥) ابن كثير: البداية والنهاية ١١/٣٤٢.

النذور في اغلبها لبناء مؤسسة ذات نفع عام، كما في نذر عمران بن شاهين أن عفا عنه عضد الدولة، يبني الرواق العلوي وقد وفى بنذره[1].

وكان ابن بطوطة قد أفادنا بحقائق إدارية لنقيب الأشراف في مدينة النجف قد شاهدها بنفسه، فهي تعطي صفة الحاكم المفوض، فيقول:

ونقيب الأشراف مقدم من ملك العراق، ومكانه عنده مكين ومنزلته رفيعه، وله ترتيب الأمراء الكبار في سفره، وله الأعلام والاطبال، وتضرب الطبلخانة عند بابه مساء وصباحاً، واليه حكم هذه المدينة، ولا وال بها سواه، ولا مغرم فيها للسلطان ولا لغيره))[2]. وذكر النقيب الحاكم في النجف بقوله: ((وكان النقيب في عهد دخولي إليها نظام الدين حسين بن تاج الدين الاوي))[3]. وكان هذا النقيب قد تقلد نقابة العلويين في مدينة النجف الاشرف عام ٧٢٥هـ[4]. أي قبل وصول ابن بطوطة للنجف بسنتين، وذكر ابن بطوطة من تولى نقابة العلويين قبل هذا التاريخ، وبقوله: ((وكان قبله جماعة يلي كل واحد منهم بعد صاحبه)) ومن هؤلاء:

١ـ جلال الدين بن الفقيه:

أشارت المصادر إلى جلال الدين بن الفقيه، نقيب العلويين في النجف بأنه كانت بيده النقابة والصدارة، وقد تولاهما بعد أخيه زين الدين هبة الله، وأضيف إليه منصب القضاء في عهد السلطان المغولي غازان[5]. ولم يعط ابن بطوطة صورة عن النقيب جلال الدين، بل اكتفى بذكر اسمه.

---

(١) محبوبة: ماضي النجف وحاضرها ٢٢٩/١، البراقي: الدرة البهية ص٨٢، ص٨٣.

(٢) ابن بطوطة: الرحلة ١١١/١.

(٣) م. ن.

(٤) محبوبة: ماضي النجف وحاضرها ٣٠٤/١.

(٥) محبوبة: ماضي النجف وحاضرها ٢٩٧/١.

٢ـ قوام الدين بن طاووس:

تقلد قوام الدين احمد بن عز الدين الحسن آل طاووس (ت ٧٠٤هـ) نقابة العلويين في النجف، وإمارة الحج، في عهد السلطان ارغون بن اباقا[١]. وقد اغفل ابن بطوطة الوظائف التي تقلدها هذا النقيب سوى توليه منصب النقابة.

٣ـ ناصر الدين مطهر بن الشريف الصالح شمس الدين الابهري:

أشارت المصادر إلى نقيب العلويين ناصر الدين مطهر بن شمس الدين محمد الابهري[٢]. وقد أورده ابن بطوطة بلفظ ((الاوهري))[٣].

٤ـ أبو غرة بن سالم بن مهنا بن جماز بن شيحة الحسيني المدني:

ولد أبو غرة بن سالم الحسيني في المدينة المنورة، وهاجر منها إلى مدينة النجف الاشرف، وتقلد نقابة الأشراف فيها، وتولى إدارة مرقد الإمام علي عليه السلام، واحتل منصب نقابة النقباء في بغداد[٤]. وعلى الرغم من تعداد ابن بطوطة لنقباء النجف دون أعطاء صورة لحياتهم العلمية والإدارية. فأنها ذات أهمية تاريخية لبيان طبيعة الإدارة في تلك الفترة، تضاف إلى ما ورد في الرحلة من حقائق وذلك لمعاصرة ابن بطوطة لبعض الأحداث.

أما مدينة الكوفة فهي لا تبعد عن النجف إلا بضعة أميال، فقد جاء وصف ابن بطوطة عنها مقتضباً، ويبدو انه لم يبقَ بها طويلاً، فأوضح أهميتها التاريخية بقولة: ((وهي أحدى أمهات البلاد العراقية المتميزة فيها بفضل المزية مثوى الصحابة والتابعين، ومنزل العلماء والصالحين وحضرة علي بن أبي طالب أمير

---

(١) م. ن ٢٩٨/١، كمونة: موارد الإتحاف ٤٧/٢.

(٢) ابن عنبة: عمدة الطالب ص٨١، البراقي: تاريخ الكوفة ص٢١٧، محبوبة: ماضي النجف ٣١١/١.

(٣) ابن بطوطة: الرحلة ١١١/١.

(٤) كمونة: موارد الإتحاف ١١٣/١.

المؤمنين))[1]. وقد أشارت المصادر إن كثيراً من الصحابة والتابعين قد دفنوا بالثوية في ظهر الكوفة كالمغيرة بن شعبة، وأبي موسى الأشعري، وزياد بن أبيه، وخباب بن الارت، وقرظة بن كعب، وسهل بن حنيف، وعبد الله بن يقطر، وعبد الله بن أبي أوفى، وكميل بن زياد النخعي وغيرهم[2]. ولم يبق من قبور الصحابة والتابعين في الوقت الحاضر سوى مرقد كميل بن زياد النخعي في منطقة الحنانة، أحدى أحياء النجف الحديثة، وقد أحيط بقبره مسجد كبير، وكان ابن بطوطة قد لاحظ في مدينة الكوفة المواضع التاريخية والأثرية والحضارية، إلا إن بعضها قد أصيب بالخراب بقوله: ((إلا إن الخراب قد استولى عليها بسبب أيدي العدوان التي امتدت إليها وفسادها من عرب خفاجة المجاورين لها، فأنهم يقطعون طريقها))[3]. ومما ساعد على دخول هؤلاء الكوفة من وقت لآخر هو كما قال ابن بطوطة أنها ((لا سور عليها)). ثم وصف بناءها وأسواقها والحياة الاقتصادية فيها بقوله: ((وبناؤها بالآجر، وأسواقها حسان وأكثر ما يباع فيها التمر والسمك))[4]. وجاء وصف ابن بطوطة لجامع الكوفة دقيقا فيقول: ((وجامعها الأعظم جامع كبير شريف، بلاطاته سبعة قائمة على سواري حجارة ضخمة منحوتة قد صنعت قطعاً، ووضع بعضها على بعض وأفرغت بالرصاص وهي مفرطة الطول، وبهذا المسجد آثار كريمة فمنها بيت إزاء المحراب عن يمين مستقبل القبلة يقال أن الخليل صلوات الله عليه كان له مصلى بذلك الموضع، وعلى مقربة منه محراب محلق عليه بأعواد الساج مرتفع وهو محراب علي بن أبي طالب رضي الله عنه، وهناك ضربة الشقي ابن ملجم، والناس يقصدون الصلاة به، وفي الزاوية من هذا البلاط مسجد صغير محلق عليه أيضاً بأعواد الساج يذكر انه الموضع الذي

(1) ابن بطوطة: الرحالة ١/١٣٧.

(2) الحكيم: (الثوية موقعها وتاريخها) ص١٤٤، ١٤٨.

(3) ابن بطوطة: الرحلة ١/١٣٧.

(4) م. ن.

فار منه التنور حين طوفان نوح عليه السلام))[1]. ثم انتقل ابن بطوطة في وصف الشواخص التاريخية الواقعة خارج مسجد الكوفة بقوله: ((وفي ظهره خارج المسجد بيت يزعمون انه بيت نوح عليه السلام، وإزاءه بيت يزعمون انه متعبد إدريس عليه السلام ويتصل بذلك فضاء يصل بالجدار القبلي للمسجد يقال انه موضع إنشاء سفينة نوح عليه السلام، وفي آخر هذا الفضاء دار علي بن أبي طالب رضي الله عنه والبيت الذي غسل فيه ويتصل به بيت يقال انه بيت نوح عليه السلام والله اعلم بصحة ذلك كله))[2]. ومن الجدير بالذكر إن بيوت الأنبياء التي أشار إليها ابن بطوطة لم نجد لها في المصادر ذكراً سوى مقام إبراهيم الخليل ونوح عليهما السلام.

أما مواضع قبور آل البيت عليهم السلام فقد وقف عليها ابن بطوطة وأشار إليها بقوله: ((وفي الجهة الشرقية من الجامع بيت مرتفع يصعد إليه فيه قبر مسلم بن عقيل بن أبي طالب رضي الله عنه، وبمقربة منه خارج المسجد قبر عاتكة وسكينة بنتا الحسين عليه السلام))[3]. ويقع مرقد مسلم بن عقيل وهاني بن عروة والمختار بن أبي عبيد الثقفي خارج مسجد الكوفة، ولم نجد في المصادر أية أشارة لقبري عاتكة وسكينة سوى قبر خديجة بنت الإمام علي عليه السلام الذي يقع بالقرب من مسجد الكوفة، مقابل باب الفيل، وعليه قبة مكسوة بالقاشي الأخضر. ووصف ابن بطوطة معالم قصر الإمارة وبقاياه بقوله:

((وأما قصر الإمارة بالكوفة الذي بناه سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه فلم يبق إلا أساسه))[4]. وما زالت أسس القصر قائمة حتى الوقت الحاضر، وهو مجاور ((دار الإمام علي)) الذي أشار إليه ابن بطوطة. وأما قبر المختار الثقفي فقد ذكره عند حديثه عن قبر عبد الرحمن بن ملجم المرادي بقوله: ((ورأيت بغربي جبانة

---

[1] ابن بطوطة: الرحلة ١/١٣٧- ١٣٨.

[2] م. ن : ١/١٣٨.

[3] م. ن.

[4] م. ن.

الكوفة موضعاً مسوداً شديد السواد في بسيط ابيض فأخبرت انه قبر الشقي ابن ملجم، وان أهل الكوفة يأتون في كل سنة بالحطب الكثير فيوقدون النار على موضع قبره سبعة أيام، وعلى قرب منه قبة أخبرت على أنها قبر المختار بن أبي عبيد))[1]. ونجد في الوقت الحاضر قبر المختار بن أبي عبيد الثقفي شاخصاً بالقرب من مرقد مسلم بن عقيل، ولم يكن أي اثر لقبر ابن ملجم في المنطقة القريبة للمسجد أو لقصر الإمارة. ولم يغفل ابن بطوطة ريف الكوفة وبساتينها ونخيلها، وقد حدد المسافة بين نهر الفرات ومسجد الكوفة بقوله: ((والفرات من الكوفة على مسافة نصف فرسخ في الجانب الشرقي منها، وهو منتظم بحدائق النخل الملتفة المتصل بعضها ببعض))[2].

ويبدو إن مدينة الكوفة في القرن الثامن الهجري، قد انحسرت عنها الحركة العلمية إذ لم نجد أية أشارة لابن بطوطة في هذا الجانب، فأصبحت النجف بدلاً منها مدرسة علمية واسعة، فيقول الشيخ علي الشرقي: ((فامتدت المدرسة من الكوفة إلى النجف، وفي القرن الثاني للهجرة بدأت العمارة والتشييد لمدرسة النجف، فانتقلت المدرسة من الكوفة إليها. وبقيت الكوفة تصب في بحر النجف إلى القرن الثامن للهجرة، وعند ذلك استوعبت النجف كل ما كان في الكوفة))[3]. وان عبارة ابن بطوطة: ((إلا إن الخراب قد استولى عليها)) تعطينا دليلا واضحا على أوضاع الكوفة العلمية والإدارية والاقتصادية والحضارية.

وتبقى ((رحلة ابن بطوطة)) مصدراً مهما لمؤرخي مدينتي النجف والكوفة بما ورد فيها من نصوص تتفق مع الواقع أو تختلف معه، وذلك لتوفر عنصري الزمان والمكان في هذه الرحلة.

---

(1) ابن بطوطة: الرحلة ١٣٨/١.

(2) م. ن.

(3) الشرقي: الأحلام ص٤٢، الحكيم: الشيخ الطوسي ص٩٦.

التاريخ الصناعي في منطقة المثلث الحضاري
الحيرة والكوفة والنجف

تعود الصناعة في المثلث الحضاري إلى عصر ما قبل الإسلام، وقد أعطت مدينة الحيرة في عهد المناذرة اللخميين صورة لحياتها الاقتصادية والحضارية، وكانت بعض صناعاتها قد ارتبطت باسمها، وحافظت مدينة الكوفة منذ عهد الخلافة الراشدة على صناعاتها وما زالت ((الكوفية)) حتى اليوم تلاحق صناعة المنسوجات، وأضافت مدينة النجف الأشرف إبداعات صناعية يفتخر بها العراق في الوقت الحاضر كالعباءة النجفية، وأبدان السيارات المعروفة بـ((دك النجف)) وقد أفادتنا المصادر على معرفة الصناعات في هذه المنطقة من العراق وهي:

١ـ صناعة العطور:

عرفت ((خد العذراء)). وهي أرض النجف من ظهر الكوفة بنباتاتها العطرية كالشيح والقيصوم وشقائق النعمان وغيرها، وقد وجد في أحد الأديرة القريبة من الكوفة مائة بيت للرهبان، وحول كل بيت بستان كبير به كثير من الأزهار[1]. وأشارت المصادر إلى أن مصانع الورد البنفسج نشأت في البصرة والكوفة في العصور العربية الإسلامية[2]. وقد حافظت مدينة النجف اليوم على هذه الصناعة ومازال ((ماء الورد)) يحمل اسم النجف في الأسواق العراقية، وان سوق ((الريحة)) وهو سوق العطور أحد أسواق النجف المتخصصة بهذه الصناعة.

٢ـ صناعة الدهون والصابون:

وجدت في مدينة الكوفة في العصر العباسي مصانع لاستخراج زيت الزيتون، وكان لصناع الكوفة شهرة فائقة في هذه الصناعة، مما جعل الخليفة

---

(١) الشابشتي: الديارات ص١٧١.

(٢) المقدسي: أحسن التقاسيم ص١٠١.

العباسي المعتصم بالله أن يبعث في طلبهم عندما بني مدينة سامراء واتخذها عاصمة للدولة العباسية[1].

كان في مدينة الكوفة سوق الصابون، وسوق للزيت عرف بسوق الزياتين، وبه يستخرج الزيت من السمسم وبذور القطن والكتان وتقع هذه الأسواق قرب قصر الإمارة[2].

٣ـ صناعة الخزف:

كانت مدينة الكوفة أحدى مراكز صناعة الخزف في العراق، وقد استطاع الكوفيون تطوير هذه الصناعة، وقد نجحوا في ذلك نجاحا كبيرا[3]. وأخذت صناعة الخزف في العراق تسير في طريق التقدم والرقي في البصرة والكوفة، وساهم عمال هاتين المدينتين بهذه الصناعة في مدينة سامراء في عهد الخليفة المعتصم[4].

٤ـ صناعة النسيج:

اختصت منطقة المثلث الحضاري (الحيرة، الكوفة، النجف) بصناعة النسيج، فقد عرفته مدينة الحيرة في عصر ما قبل الإسلام، فكانت المنسوجات الكتانية والحريرية تنسج في الحيرة. وكان بعضها في قصر الخورنق، وهي مصانع تعود للأسرة الحاكمة وقد أشار إليها الشاعر عمرو بن كلثوم، المتوفى عام ٦٠٠هـ بقوله[5]:

حلت سليمى بخبت بعد فرتاج وقد يكون قديما في بني تاج

---

(١) اليعقوبي: البلدان ص٢٩، ينظر الزبيدي، العراق في العصر البويهي ص١٥٠.

(٢) الزبيدي: العراق في العصر البويهي ص١٦٧.

(٣) زكي محمد حسن: فنون الإسلام ص٣٥٩.

(٤) اليعقوبي: البلدان ص٢٩.

(٥) شيخو: شعراء النصرانية في الإسلام: ق٢/ص٢٠٣.

إذ لا تَرجى سليمى أن يكون لها من الخورنق من قين ونساج
ولا يكون على أبوابها حرس كما تلفف قبطي بديباج
تمشي بعدلين من لؤم ومنقصة مشي المقيد في البابوت والحاج

كانت المنسوجات الصوفية التي تصنع في مدينة الحيرة تجهز منها بلاطات الأسر المالكة يومذاك، وقد وجد على أحد جدران دير هند الكبرى أبيات في مدح آل المنذر من ملوك الحيرة منها:

والقز والكتان أثوابهم لم يجلب الصوف لهم جالب

أما مدينة الكوفة فقد اشتهرت بمنسوجات الوشي والخز[1]. وقد فاخرت مدينة البصرة بهذه الصناعة، فيقول أبو بكر الهذلي الكوفي، ((نحن أكثر منكم – يقصد هنا أهل البصرة – ساجا وعاجا وديباجاً. وهذا النص نستدل منه على شهرة الكوفيين بنسج الديباج، وهو مأخوذ من الدبج أي النقش والتزيين، ومعناه نسيج ملون لحمته وسداه من الحرير[2]. وتذهب بعض المصادر إلى أن اليمنيين الذين سكنوا مدينة الكوفة في العهد الراشدي، هم الذين نقلوا هذه الصناعة إلى الكوفة، وأنتجوا أنواعا عديدة من المنتوجات التي كانت تشتهر بها اليمن في تلك الفترة كان من بينها المنسوجات السعيدية المعافرية والسحولية وغيرها، وسكن جماعة من أهالي نجران اليمن قرب مدينة الكوفة، وكانوا يقومون بصناعة النسيج، ويدفعونَ منها ضريبة الخراج المفروضة عليهم، وقد شاعت ((الحلل النجرانية)) في مدينتي الكوفة وبغداد[3]. وأضافت الكوفة إلى مصنوعاتها النسيجية، صناعة العمائم التي كانت تصنع من نسيج الخز لكبار شيوخ المدينة، أما عامة الناس فأنهم كانوا يلبسون الكوفية على رؤوسهم، وهي مناديل حريرية[4].

---

(1) ابن الفقيه: البلدان ص٣٥٢، ابن العميد: تاريخ المسلمين ص١٩٠، الوشاء: الظرف والظرفاء ص١٢٨.

(2) ابن قتيبة: عيون الأخبار ٢١٧/١، ابن سيدة: المخصص ٧٦/٤.

(3) المختار: المنسوجات العراقية ص٥٣.

(4) المقدسي: أحسن التقاسيم ص١٢٨.

وقد أشار الجاحظ المتوفى عام ٢٥٥هـ إلى صناعة الكوفة النسيجية بقوله: خير الوشي بالثوب السابري، والكوفي. والابريسمي[١]. ويقول ابن الفقيه: إن للكوفيين مهارة خاصة في صنع الوشي وصنع الخز[٢]. ولهم شهرة واسعة في صناعة الربط والخمر، وهي المنسوجات التي تسدلها المرأة على وجهها وأحيانا تكشف عن عينيها.

وتأسست في النجف الاشرف معامل للكوفية البيضاء، ومنها ((اليشماغ)) المنسوج وقام أصحاب المعامل بتقليد الشيماغ اللندني. وبطبع تشكيلته على الكوفية البيضاء. واشتهرت النجف بصنع العباءة بأنواعها، حتى أصبحت عالمية، وقد سماها ((نابليون الماريني)) بعباءة مشهد علي، وكانت تصدر إلى سوريا ومصر والحجاز[٣]. وتقول الكاتبة ليدي دراور: ((والنجف تشتهر بصنع العباءة الحريرية على اختلاف أنواعها، وتميز العباءة النجفية بخيط أزرق يخاط على جنبة منها، ومعه الذهب والفضة والخيط هذا بزعمهم يقي من العين الشريرة[٤]. وقد اختفت هذه الظاهرة في الوقت الحاضر، وربما كان يقوم بها بعض السذج من الناس، والعباءة النجفية على أنوع منها: العباءة الشتوية والصيفية والربيعية والرجالية والنسائية.

واشتهرت النجف بصناعة ((الشكاك)) وهي بيوت الشعر التي يستخدمها البدو في البادية، وقامت بتجربة صناعة السجادة التي تحمل اسم ((النجف الاشرف)) فصدرت السجادة الأولى عام ١٩٧٢م. وهي تحاكي السجادة الإيرانية، وان كانت غزولها وأصباغها أجنبية[٥]. ولكن هذه السجادة لم تحتل مكانة كبيرة في الأسواق مما أدى إلى اختفائها.

---

(١) الجاحظ: التبصر بالتجارة ص١٩.

(٢) ابن الفقيه: مختصر البلدان ص٢٥٢.

(٣) نابليون الماريني: تنزيه العباد في مدينة بغداد ص٢٦.

(٤) ليدي دراور: في بلاد الرافدين ص٢٧.

(٥) جريدة العدل: العدد الأول، السنة السابعة ١٣٩٢هـ / ١٩٧٢م.

٥ـ الصناعات المعدنية:

اشتهرت مدينتا النجف والكوفة بالصناعات المعدنية، فيقول الأستاذ عبد الجبار فارس: إن جميع النواعير المنصوبة في منطقة الفرات الأوسط هي من صنع مدينتي النجف والكوفة[١]. ويقوم اليوم سوق الصفارين بصنع الآباريق والأواني والقدور وغيرها. ويقوم سوق الصاغة بصناعة المصوغات الذهبية والفضية ولدينا أقدم نص للصياغة في النجف يعود إلى عام ٥٠١هـ/١١٠٦م، فقد كان الصائغ زيد بن واقصة يقع محله عند باب دار التقي بن أسامة العلوي. وأخذت الصياغة تتسع حتى تميز ((ذهب النجف)) عن بقية المدن بأنه يحتوى المثقال الواحد على ((٢٢حباية)) وفي عام ١٩٣٤م. رفع الصاغة النجفيون للملك غازي هدية نفيسة تمثل الحضرة والروضة الحيدرية من الذهب الابريز، وفوق الضريح، مصحف شريف قد زين بالميناء والآيات الكريمة. وكتب عليه بيتان من الشعر للخطيب محمد علي اليعقوبي وهما:

من التبر صيغت لكم قبة يقدمها النجف الأزهر

مصغرة الشكل عن قبة ثوى تحتها العالم الأكبر

وقام الصائغ النجفي، بصياغة الضريح الكاظمي الشريف عام ١٣٣٤هـ/ ١٩١٦م[٢].

---

(١) عبد الجبار فارس: عامان في الفرات الأوسط ص٧٣.

(٢) الموسوي: قبس من الكاظمين ص٦٠.

الكوفة
في الفكر الاستشراقي

آثار الكوفة في دراسات المستشرقين

تصدى بعض المستشرقين لدراسة آثار مدينة الكوفة وخططها القديمة ووقفوا على أنقاض تعود إلى عصور إسلامية مختلفة، وقد أشار الأستاذ جعفر الخليلي في ((موسوعة العتبات المقدسة/ القسم المخصص لمدينة النجف الأشرف)) إلى الرحالة الأمريكي ((جون بيترز)) الذي زار الكوفة عام ١٨٩٠م، وذهب إلى القول: إن آجر المدينة قد نقل إلى النجف، وشار إلى ((كري سعدة)) وعده من الأنهار المندرسة، وتوصل إلى انه يعود إلى عصر الملك البابلي ((نبو خذ نصر))، هو خندق حفره سابور ذي الأكتاف، فانه يبدأ من مدينة هيت وينتهي بالخليج العربي، وقد اتفقت المصادر التاريخية على ذلك. ومن الجدير بالذكر إن العالم الأمريكي ((جون بيترز)) قد تخصص بعلم الآثار في جامعة بنسلفانياً، وقام بدراسة لآثار مدينة ((نفرّ)) التاريخية. وكان الرحالة الانكليزي ((لوفتس)) قد تجول مع بعثة بريطانية في منطقة الحدود العراقية الإيرانية عام ١٨٤٩م، وقد أراد الاطلاع على المعالم الآثارية في النجف والكوفة، وتوقف بعض الوقت في مدينة الكفل، وقد أشار إلى حادثة ((الطوفان)) وقال: إن سفينة نوح قد رست في أرض النجف، وتحدث عن استشهاد الإمام علي عليه السلام. وكتب المستشرق الرحالة الألماني ((نيبور)) رحلته عن العراق في القرن الثامن عشر الميلادي، وقد ترجمها أستاذنا الراحل الدكتور محمود حسين الأمين رحمه الله. وقد زار نيبور مدينة النجف الاشرف، ووقف على آثار مدينة الكوفة وشاهد ((كري سعدة)) وقال: انه ((اليالاكوياس)) الذي حفره سكان العراق الأقدمون، ورسم مخططاً لمسجد الكوفة، واستفاد من الدليل الذي رافقه في الرحلة، وكان من أبناء مدينة النجف، وكان قد حدد بعض الأسماء والمواقع في مسجد الكوفة، كباب الفيل، ومقامات الأنبياء عليهم السلام والأئمة عليهم السلام، وموضع سفينة نوح، ومرقدي مسلم بن عقيل، وهاني بن عروة، وقال: إن السيدة عادلة خاتون، بنت احمد باشا، وزوجة الوالي العثماني سليمان باشا، قد ساهمت في بناء مسجد الكوفة من الناحية الشمالية

الغربية، وتحدث المستشرق ((نيبور))عن مسجد السهلة، واستمع إلى حديث المرافق له، أما المستشرق ((سروليس بدج)) قد تحدث في كتابه ((رحلات إلى العراق)) عن تأسيس مدينة الكوفة ومرقد الإمام علي عليه السلام ونشأة مدينة النجف الاشرف، وقد استفاد من نصوص الرحالة المغربي ابن بطوطة، ووقف المستشرق ((سروليس بدج)) على المواقع الأثرية في مدينتي الحيرة والكوفة، وبحر النجف، يوم كانت سفن الهند والصين تصل إليه. وقال: إن أرض النجف قبل الإسلام كانت مصيفا لملوك دولة المناذرة اللخميين في الحيرة، وعند تأسيس مدينة النجف الاشرف التي سماها ((مشهد علي)) ساعد على اتساع حركة العمران فيها، وتحدث أيضاً عن مدرسة النجف العلمية، ومسجد الكوفة وأبراجه القوية، وتناول ((دار الإمارة)) وما قامت به مديرية الآثار العامة في العراق من تنقيبات. وفي الحقيقة إن المستشرق الفرنسي ((لويس ماسنيون)) في كتابه الشهير ((خطط الكوفة وشرح خريطتها)) الذي ترجمه الأستاذ تقي محمد المصعبي، والذي حققه مؤخراً الأستاذ كامل سلمان الجبوري، يعد من أهم كتب المستشرقين عن مدينة الكوفة فقد امتاز بالدقة في كثير من مباحثه، كما تحدث عن مدينة النجف الاشرف التي سماها ((ضاحية الكوفة))، وأضاف إلى ضاحية الكوفة منطقة ((الكناسة)) وهي من الأماكن المندرسة، وتناول المستشرق ((لويس ماسنيون)) خطط الكوفة من سكك ومقابر ومناهج وجبانات وصحاري وقطائع ومؤسسات اقتصادية ودينية، وأشار إلى بناء الكوفة عام ١٧هـ / ٦٣٨م بصورة مقتضبة. ويبقى كتابه ((خطط الكوفة)) موضع اهتمام الباحثين والمؤرخين عند الكتابة عن مدينتي الكوفة والنجف الاشرف. ومن الملاحظ إن للمستشرق ماسنيون رحلة توغل فيها في مناطق البادية ومنطقة بحر النجف، فوقف على الآثار التاريخية. ووصفها وصفا دقيقا. وكان القرن التاسع عشر الميلادي قد شهد تحركاً علمياً واسع النطاق قام به المستشرقون في العراق، فدرسوا آثاره، ومعالمه، ومظاهر الحضارة فيه، كما وقف بعضهم على المؤسسات العلمية واطلعوا على خزائن الكتب وما كانت تضم من مخطوطات نادرة، وقد اقتنى بعضهم كثيراً من هذه الكتب ونقلها إلى أوربا، وما

زالت إلى هذا اليوم محفوظة هناك. وقد قامت البعثات الجامعية الأوربية بدور الكشف والتنقيب والاطلاع على كنوز المعرفة في العراق، ففي عام ١٩٣١م وصلت مدينة الحيرة بعثة علمية من جامعة ((اكسفورد)) للتنقيب عن آثار الحيرة، وقد وضعت يدها على تحديد الأماكن الآثارية القديمة، وقد أكملت دائرة الآثار والتراث هذا الجانب وتم التنقيب عن منطقة ((أم عريف))، وفي عام ١٩٨٦م تقدمت بعثة يابانية للتنقيب في تلال بحر النجف ومنطقة الحيرة. وقد آن الأوان في الوقت الحاضر استرجاع الآثار العراقية المحفوظة في متاحف العالم، واسترجاع المخطوطات إلى مكتباتنا وتحقيقها ونشرها.

المستشرق الفرنسي لويس ماسنيون
وكتابه ((خطط الكوفة))

تخصص المستشرق الفرنسي البروفيسور المسيولويس فرديناند ماسنيون Louis.F.Massigon (١٨٨٣- ١٩٦٢م) بالخطط والبلدان ودراسة الآثار في العراق والوطن العربي، وقد اهتدى إلى الأماكن المندرسة من مساجد وقصور وأديرة ومقابر وقنوات، وكانت مدينة الكوفة إحدى الحواضر الإسلامية التي نالت اهتماماته، فكتب كتابه الشهير ((خطط الكوفة)) ونشر بعنوان: .Expication Dupi An Dekufa, Irak

وترجمه من الفرنسية إلى العربية السيد تقي محمد المصعبي، وطبع في صيدا عام ١٩٤٦م. وقام الأستاذ السيد كامل سلمان الجبوري بتحقيقه عام ١٩٧٩م. ونشرته جمعية منتدى النشر في النجف الأشرف. وكان المسيولويس ماسنيون مولعاً بدراسة الأطلال، والوقوف على الآثار المندرسة، والأنقاض البالية، قبيل تأليفه لكتاب ((خطط الكوفة)) ففي عام ١٩٠٨م. تجول في الكوفة وصحراء النجف، وكررها عام ١٩٣٤م، وقد رافقه الشيخ عطية بن مارد ويبدو انه كان يستجمع مادته في هاتين الزيارتين، وكانت مقدمة ((خطط الكوفة)) تشير إلى الشواخص القائمة لقصر الإمارة، وبيت الإمام علي عليه السلام، ومرقد ميثم التمار، ومرقد السيد إبراهيم الطباطبائي الحسني، وسكة الترامواي بين النجف والكوفة، وكري سعدة، وأعطى لبعض شواخص المنطقة بعداً تاريخياً، وارتباطاً بدولة المناذرة في الحيرة، وقال عنها: ((هي ثغر من ثغر البادية City-Caravan)) وتحدث عن قصري الخورنق والسدير، ولكن وقع في خلط بين قصري السدير والاخيضر، إذ اعتقد إن قصر السدير هو الاخيضر، في حين إن النصوص التاريخية، والشعر العربي، والشواخص الموجودة تؤكد على إن الخورنق والسدير يقعان على بحر النجف، ولذا تحتاج مقدمة ((خطط الكوفة)) إلى دراسة دقيقة للوقوف على الهفوات التي وقع فيها ((ماسنيون)) وجاء عنوان ((تمصير الكوفة)) مقدمة

للكتاب وقال: ((إن أول تلك المساكن التي بنيت في محلة كندة، هي منازل مراد، والخزرج من الأنصار الذين كانوا قد سكنوا مع كندة في محلة واحدة عقب تحالفهم معها)) وقد أقحم ماسنيون في نهاية حديثه عن تمصير الكوفة، حديثا مقتضباً عن سوريا، ومقارنة البصرة بالكوفة، ويشكل هذا الإقحام خللاً في منهجية المؤلف. وكان المستشرق ((لويس ماسنيون)) قد تناول خطط الكوفة الأولى، وهي الأسباع، وقد وزعت القبائل العربية عليها، بحيث أصبح لكل سبع من الأسباع أكثر من قبيلة عربية، وكانت الحقبة الزمنية بين (١٧- ٣٦هـ) مستقرة لسكن القبائل، ولكن بعد دخول الإمام علي عليه السلام مدينة الكوفة بعد فراغه من موقعة الجمل في البصرة، واتخاذه الكوفة عاصمة للدولة الإسلامية عام ٣٦هـ، قام بتغيير الأسباع، وفق مقتضيات الوضع السياسي، فأصبحت قبيلتا همدان وحمير في سبع، ومذحج واشعر وطي في سبع وقيس وعبس وذبيان وعبد القيس في سبع، والازد وبجيلة وخثعم والأنصار في سبع، وكندة وحضرموت وقضاعة ومهرة في سبع، وتغلب وبقية بطون ربيعة في سبع، وقال ((إن كندة أسرة ملكية، وهي أسرة الأشعث بن قيس)) وأراد ماسنيون بذلك ما قامت به قبيلة كندة من تأسيس حكومة في الجزيرة العربية في عصر ما قبل الإسلام. ولما تولى زياد بن أبيه ولاية الكوفة، في عهد معاوية بن أبي سفيان قام بتغير جذري لخطط الكوفة، إذ قسّم المدينة إلى أرباع، وقد حددها المستشرق ((ماسنيون)) بأهل العالية وتميم وهمدان وربيعة وبكر وكندة ومذحج وأسد، وقد استصوب رأي الباحث الشيخ نور الله الشوشتري في كتابه ((إحقاق الحق)) حول بطون قريش وراياتها في معركة صفين مع الإمام علي عليه السلام، واخذ ماسنيون في دراسة المعالم الشاخصة في الكوفة بدءاً من المسجد الجامع والمساجد الأخرى التابعة لبطون القبائل العربية، وحدد موقع القصر والميدان في الجهة الجنوبية من المسجد مع انحراف قليل نحو الشرق، وان الميدان الذي يطل على القصر يقع في رحبة تسمى ((رحبة علي)) وتناول بعد ذلك ((المناهج)) وهي جمع منهج، ومعناها الفواصل بين تصفيف الخيام التي اقطعها القائد سعد بن أبي وقاص عند تخطيط الكوفة، وقد سماها بما

يناسبها من أسماء، أما السكك فأنها نسبت لقبائل عربية أو لرجال مشهورين، وكانت مفارق الطرق تسمى ((جهار سوج)) وهي لفظة فارسية، ومعناها الطرق الأربعة، وكانت لخنيس وبجيلة وكندة وهمدان. وقدم المستشرق ماسنيون لمصادر المياه في الكوفة لمحات مختصرة لم تف بالغرض، ومن ثم تحدث عن مقابر الكوفة أو الجبانات، وهي عشر مقابر لقبائل معروفة، أما ((الثوية)) وهي جبانة الكوفة الكبرى، فأنها تقع خلف الخندق، وفيها مقابر قريش وثقيف، أما صحاري الكوفة فكانت ست، وقد نسبت لقبائل وأشخاص، وقد كانت لبعض الرجال قطائع قد حدد بعضها منها ((قطيعة عبد الله بن دارم)) التي تقع على دير هند الصغرى، وقطيعة عبد القيس، وقطيعة الأشعث بن قيس الكندي، وقطيعة جرير بن عبد الله البجلي، وتحت عنوان ((الطوبوغرافية الاقتصادية للكوفة)) كان الحديث عن دار الرزق والأسواق والصيارفة والسماسرة، والمهن والأصناف، وقد حدد ((ماسنيون)) هذه المواقع جغرافيا، وربطها بحوادث تاريخية مقتضبة. أما الأسواق فقد حددها بالقول: أنها تمتد من القصر والجامع إلى دار الوليد بن عقبة من جهة، والقلائين من جهة أخرى، وإلى منازل ثقيف وأشجع من الجانب الآخر، وان هذا التحديد يستحق الثناء والتقدير، لأنه قد استوحى الدقة، والبعد التاريخي وقال: إن حوانيت الصيارفة تقابل مسجد الصيرفة في الكوفة، وان هذه المهنة تتصل بتاريخ الحيرة في عصرها ما قبل الإسلام ووقف ((ماسنيون)) على المهن والأصناف، وهي على الرغم من اقتضابها، فأنها ذات أهمية اقتصادية. وأشار ماسنيون إلى خارطة المستشرق ((كارستن نيبور Nibuhr))، وقال عنها: ((نسي أن يبين باب الفيل في الشمال)) ويعطي هذا النقد صورة عن اهتمام المستشرق ماسنيون بالخطط والمواقع، كما وجه نقداً إلى المستشرق ((الأب لامانس Lammense)) في بعض آرائه الدينية.

وقد ادخل ((ماسنيون)) ضواحي الكوفة ضمن خططها وهما: ضاحية النجف وضاحية الكناسة، فقد أطلق لفظ ((مشهد علي)) على ضاحية النجف، وربط أرض الغري قبل الإسلام بمنطقة الحيرة، ومن ثم قدم دراسة مقتضبة عن

مقبرة وادي السلام، ومحلات النجف الواقعة ضمن سورها الأخير، والإشارة إلى عشائرها، أما ضاحية الكناسة فأطلق عليها لفظ ((المندرسة)). ويبقى كتاب ((خطط الكوفة)) للمستشرق الفرنسي ماسنيون يمثل الصدارة من بين كتب الخطط والبلدان، ويحتاج إلى دراسة منجهية وتحليلة من لدن طلبة الدراسات العليا.

موقف المستشرق فلهوزن من مرويات أبي مخنف

تعرض المستشرق ((فلهوزن Wellhausen)) في كتابه: ((تاريخ الدولة العربية وسقوطها)) للإخباري الكوفي أبي مخنف لوط بن يحيى، المتوفى عام ١٥٧هـ/٧٧٤م. وقد أشار إلى اهتماماته بشؤون العراق، وبمدينة الكوفة على وجه الخصوص وفيما عداهما: ((فليس عنده علم صحيح اختص به، ونظراً إلى أن الكوفة والعراق، كانتا مقر الحزب المعارض لحكومة الدولة، فان أبا مخنف يتكلم خصوصاً عن ذلك))، ولكن قائمة مؤلفات أبي مخنف قد اجتازت هذا التحديد الجغرافي الذي ذهب إليه المستشرق ((فلهوزن))، فان كتبه ((الردة، وفتوح الشام، والشورى ومقتل عثمان)) وغيرها التي تناولت حكم معاوية بن أبي سفيان، وولده يزيد، وحكم عبد الله بن الزبير، ومروان بن الحكم، وكتبه عن فتوح خراسان، وحركات الخوارج، تبعد الإخباري أبو مخنف عن جغرافية العراق، وان ما ذكره ((فلهوزن)) في هذا الجانب لا يتفق مع رأيه القائل: إن الموضوعات التي تناولها أبو مخنف بتفصيل وشغف خاص هي ثورات الخوارج والشيعة. وهذا الرأي صحيح إذا كان الحديث عن هذه الثورات في العراق، ولكن هناك ثورات للخوارج والشيعة في مناطق متفرقة من المشرق الإسلامي ومغربه، وقد تناول أبو مخنف مواضيع مختلفة في التاريخ الإسلامي، وبخاصة تلك التي تتناول الشيعة والعلويين، لميوله العقائدية نحوهم، فقد ذكرت المصادر إن جده كان من أصحاب الإمام علي عليه السلام، وقد استفاد أبو مخنف من روايات الكوفيين، وقبيلة الازد، وقد قيل: إن أبا مخنف قد اهتم بأمر العراق وفتوحها، وان المدائني قد اهتم بأمر خراسان والهند وفارس، وان الواقدي قد اهتم بأمر الحجاز، وهذا القول صحيح وسليم في حالة تغليب مؤلفات هؤلاء الإخباريين عن منطقة دون سواها، ولكن هذا لم يكن مانعاً من خروجهم عن المناطق المحددة المذكورة، ويقول ((فلهوزن)): إن أبا مخنف يمثل الروايات العراقية، وقد تغلب هواه على أهل العراق، وكان إلى جانب الإمام علي عليه السلام وأبنائه، ولكن رواياته جعلت

المؤرخين من أمثال الطبري وابن الأثير يعتمدونها دون النظر إلى ميوله العلوية، فقد أورد أبو مخنف الصورة العراقية نتيجة انتماءاته الإقليمية للعراق والكوفة، وربما إن كتبه عن معركتي الجمل وصفين كانتا في المقدمة، وهي أقدم الكتب التي كتبها أبو مخنف، ويقول المؤرخ ابن قتيبة في كتابه ((المعارف)): إن أبا مخنف صاحب أخبار وانساب، ويقف المستشرق ((فلهوزن)) على روايات المؤرخ الكبير أبي جعفر الطبري التي اقتبسها من أبي مخنف فيقول: ((ولا نكاد نجد من أخبار موقعة صفين عند الطبري إلا ما يذكره أبو مخنف)) وفي الحقيقة إن الجزئيين الرابع والخامس من تاريخ الطبري تؤكد اقتباساته، ويقول: ((والطبري في العادة يذكر روايات أبي مخنف بحسب رواية ابن الكلبي لها)) كما ورد ((حكى المدائني عن أبي مخنف ثم أورد روايات عن مقتل عثمان بن عفان، ومن يقف على نصوص ابن سعد في كتابه ((الطبقات الكبرى)) والطبري في تاريخه يلاحظ نقولاتهما عن أبي مخنف، عن محمد بن السائب الكلبي وولده هشام، ومضى ((فلهاوزن)) في إيضاح منهجية أبي مخنف في موقعة صفين فيقول: ((وحكاية أبي مخنف لموقعة صفين طويلة جداً في الحقيقة، وهي من طراز أخبار مواقع القادسية ونهاوند، يحتل الكلام عن مقدمات المعركة، قبل بدئ الالتحام الحقيقي)) وكان أبو مخنف يستقي أخبار معركة صفين من شيوخ قبيلة الازد عن آبائهم، كما ذكر الطبري في تاريخه، وهي تعطي صفة الروايات العائلية كقوله: ((قال أبو مخنف: وحدثني أبي يحيى بن سعيد، عن عمه محمد بن مخنف، قال: كنت مع أبي مخنف بن سليم يومئذ، وأنا ابن سبع عشرة سنة)) وكان يذهب أحيانا إلى رواة آخرين كعامر الشعبي، وأبي المخارق الراسبي، ومجالد بن سعيد، ومحمد بن السائب الكلبي، ويقول فلهوزن: ((أما في الأغلب فانه لم يأخذ ما رواه عن أقرانه من الرواة المتقدمين بل هو قد جمع رواياته من سماعه لها بنفسه ومن السؤال عنها في مختلف مظانها وعند كل من استقالها من مصادرها أو حضرها بنفسه من الناس)) وقد أشار إلى هذا الجانب ابن النديم في كتابه ((الفهرست)) بقوله: ((قرأت بخط احمد بن الحارث الخراز، قالت العلماء: أبو مخنف بأمر العراق وأخبارها

وفتوحها يزيد على غيره)) ولاشك إن كثيراً من النصوص التي استقاها أبو مخنف قد سمعها من رواة وقصاصين، وقد وجه المستشرق ((فلهاوزن)) نقداً لاذعاً إلى بعض الرواة بقوله: ((نحن أمامنا طائفة كبيرة جداً من أسماء رواة نجهلهم جهلاً تماماً، وهؤلاء الرواة الذين شهدوا الحوادث لا يدركون ما يروونه إدراكاً كلياً شاملاً، بل هم يذكرون اقل الحوادث شأنا ولا يغفلون عند وصف الحادثة ذكر الأسماء المتصلة بها، وهم يجعلون الأشخاص في أفعالهم وأقوالهم في المحل الأول))، ولم تكن هذه مثلبة لأبي مخنف، وإنما كان رواة عصره يسيرون وفق هذا الخط، وقد أشار المستشرق ((بروكلمان)) في كتابه ((تاريخ الأدب العربي)) إلى هذه الظاهرة فيقول: ((وذهب كثير من المتأخرين في العصر العباسي مذهب أبي مخنف))، فقد كانوا يجمعون روايات متنوعة، فما على المؤرخ إلا الموازنة بينها ليعرف الصحيح من غيره، وحاول المستشرق ((فلهاوزن)) الوقوف على أخطاء أبي مخنف دون مراعاة لظروف عصره فيقول: ((فان أبا مخنف لا يتناول برواياته فترة طويلة من الزمان، وهو لا يربط بين أجزائها ربطا يراعي الواقع كما هي ويراعي ترتيبها التاريخي))، وفي الحقيقة إن هذه المنهجية لم تكن سائدة في القرن الثاني للهجرة، وإنما جاءت بعد عدة قرون وقد كان غرض الإخباريين جمع الروايات والأخبار من مصادر عائلية أو غيرها، ولولاهم لضاعت الأخبار، وإلى هذا الجانب أشار ((فلهاوزن)) بقوله: ولو إن أبا مخنف لم يكتب لخسر التاريخ خسارة كبيرة، وكيف كان يمكنه أن يسلك فيما كتب طريقا غير الذي سلكه؟ فلم تقدم لنا المصادر المكتوبة مادة كبيرة يستطيع أن يعتمد عليها، وهو قد انتفع بها ما كانت في متناول يده، ولكن من غير أن يجتهد في البحث عنها وفي جعلها أساساً على نحو منظم، وأكثر ما يرويه في معرض ذكر الشواهد التي تؤيد رواياته قصائد وأبيات من شعر الشعراء، وهذه المنهجية التي سار عليها قد سلكها غيره من الإخباريين، ولكن لو وقف المستشرق ((فلهاوزن)) على رواياته حول السقيفة وأخبارها فانه كان ينقلها بدقة متناهية، ولعل صراحته في إيراده هذا الحدث جعلت المحدثين يوجهون إليه مصطلحات التضعيف التي اعتادوا على ذكرها مثل

((ليس بثقة، متروك، ونحو ذلك)) وقد أشار المستشرق ((بركلمان)) في كتابه ((تاريخ الشعوب الإسلامية)) بان أبا مخنف على الرغم من كونه شيعيا وكوفيا، لكنه لم تبرز عليه مذهبيته في مؤلفاته، ولكنه في الوقت نفسه أورد وصايا الإمام علي عليه السلام ذات المحتوى الإنساني والأخلاقي في المعارك التي خاضها كما أشار المؤرخ بحشل في كتابه ((تاريخ واسط)) إلى وصية الإمام علي لجنده يوم الجمل بقوله: ((لا تتبعوا مدبراً، ولا تجهزوا على جريح، ولا تقتلوا أسيراً)) وقد تلمسنا غرابة في بعض آراء المستشرق ((فلهوزن)) التي تتقاطع مع الواقع التاريخي كقوله: ((إن أبا مخنف قد اغفل في بعض الأحيان شيئا مما لا يعجبه كإغفاله مثلاً إن عقيل بن أبي طالب كان في موقعة صفين يحارب في صفوف أعداء أخيه علي بن أبي طالب))، ولم يشر فلهاوزن إلى المصدر الذي استقى منه هذه المعلومة التي لم نجد لها ذكراً في المصادر، ولا ندري من أين استقى فلهاوزن هذه المعلومة، علماً إن عقيلا كان أعمى غير قادر على القتال، وكل ما في الأمر إن علياً عليه السلام كان يعامله كما يعامل الآخرين في العطاء، مما اوجد في نفس عقيل غضاضة على أمير المؤمنين عليه السلام. ووقف المستشرق ((فلهاوزن)) على روايات أبي مخنف فوجد في بعضها هفوات وقد أوضحها بقوله: ((ويعوزه ترتيب الحوادث ترتيبا تاريخيا مطرداً فهو لا يذكر إلا تواريخ بين أيام الأسبوع من غير ذكر الشهر والسنة، فهو لا ينظم الحوادث في خيط يصل بينها، بل يصف كل حادث على حدته مستقلا عما عداه، ويسهب في ذلك اكبر الإسهاب من غير إن يهتم باختصار على ما هو جوهري))، وقد أشار مترجمو أبي مخنف إلى مؤلفاته البالغة اثنين وثلاثين كتاباً، وكان يعالج في كل كتاب حادثة معينة، أو شخصية إسلامية بارزة، أو أسرة عربية معروفة، وقد استطاع في خلال هذه الثروة التاريخية الهائلة إخراج الأخبار وفق ترسل رائع قد انتظم في أكثر من ثلاثين مقالة مستقلة، تتألف كل منها في الأعم الأغلب مشاهد مفردة كما أشار إليها المستشرق ((بروكلمان)) ويقول الأستاذ شاكر مصطفى في كتابه ((التاريخ العربي والمؤرخون)): إن أبا مخنف لم يهمل التسلسل الزمني لحوادثه، فالأحداث عنده مفصلة، ولكن دون تمسك كبير،

وتتخللها الصور والمشاهد من خطب ومحاورات وشعر مما يقربها من قصص السمر والأيام، ولكن هذه النصوص كانت مؤيدة بالإسناد.

آراء استشراقية في تحليل حركة المختار الثقفي

اعتمد المستشرقون في دراساتهم لحركة المختار بن أبي عبيد الثقفي (٦٦-٦٧هـ) على نصوص المؤرخين العرب والمسلمين، وتوصلوا إلى نتائج بعضها عقلانية، قريبة من الصحة، وأخرى بعيدة عن الواقع الحقيقي للحركة، فقد تناول المستشرق ((ولهاوزن)) حركة المختار في كتابه ((الدولة العربية وسقوطها)) و((الخوارج والشيعة)) فقد استعرض الوضع السياسي في العراق في عهد عبد الملك بن مروان، وعد حركة مصعب بن الزبير وتقاطعها مع حركة المختار الثقفي من أهم أسباب سقوطهما فيقول ((وكان من حظ عبد الملك إن مصعب بن الزبير قد ضايقه الشيعة والخوارج في إمارته نفسها، فلم يستطع أن يفكر في الشروع في حرب خارج العراق)) وهذا الرأي سليم فقد انتظر عبد الملك نتيجة الصراع بين مصعب والمختار، ولما آلت النتيجة إلى مصعب تفرغ له وأنهى حركته بسهولة، وقد أوضح فلهوزن هذا الجانب في كتابه المشهور ((الخوارج والشيعة)) وقد تعرض في هذا الكتاب إلى حركة المختار والتقائه العسكري بعبيد الله بن زياد في الكوفة، قبيل إعلان حركته، إذ أن ابن زياد ضربه على عينيه، فقال: ((قتلني الله إن لم اقطع أنامله وأرجله وأعضاءه)) فكان قد وضع هذه الحادثة نصب عينيه، ولكن في الوقت نفسه كان يستعرض مأساة الإمام الحسين عليه السلام وال بيته في يوم الطف فيقول ((لا قتلن بقتله عدة القتلى التي قتلت على دم يحيى بن زكريا))، وكان المستشرق فلهوزن مستعرضاً للنصوص التاريخية المودعة في المصادر، وكانت فعلا معركة ((الخازر)) خاتمة لجبروت عبيد الله بن زياد، وأدت إلى مقتله ويذهب ((فلهاوزن)) وغيره من المستشرقين إلى إن انضمام الموالي إلى حركة المختار ساعد على نجاح حركته المؤقتة، في حين إن أشراف العرب قد اتجهوا إلى مصعب بن الزبير وهذا أمر طبيعي إذ إن كثيراً من هؤلاء قد لطخوا أيديهم بدماء الحسين وال بيته وأصحابه، ولكن يجب علينا القول إن بعض أشراف العرب كانوا مع المختار كإبراهيم بن مالك الاشتر. وقد أشار فلهاوزن في كتابه ((الدولة العربية)) إلى

استغلال عبد الملك لهذه الحالة، وهو يرى إن أهل العراق ((يقتتلون ويفني بعضهم بعضا))، وكان يميل إلى تفسير عنصري للأحداث في العراق، إذ انه كان يرى الصراع الدائر بين الموالي المظلومين، وبين العرب الحاكمين، ولكن لم يكن هذا الرأي سليما وفق آليات الأحداث، فقد يكون التمييز الاجتماعي احد آلياته، ولكن الأكثر واقعية هو الجانب الديني الذي أحدثه استشهاد الإمام الحسين عليه السلام في نفوس العراقيين. وقد أشار فلهاوزن إلى هذا الجانب من طرف آخر حينما عدّ المختار الثقفي شيعيا متحمساً، غرضه الانتقام من قتلة الحسين، وكان في الوقت نفسه منصفا للموالي الذين ظلموا في عهد الدولة الأموية، وكان قد أطلق لفظ الخشبية على الموالي، وذلك لحملهم الخشب بدلاً من السيوف، وأشار الأستاذ علي حسني الخربوطلي في كتابه عن ((المختار الثقفي)) إلى رأي المستشرق ((فلهاوزن)) فيقول: ((ويعلل المؤرخ فلهاوزن عدم أنصاف المؤرخين العرب للمختار بأنه وقف إلى جانب الموالي، وعمل على تحسين أوضاعهم السياسية والاجتماعية مما اغضب بعض العرب منه))، ويتفق فلهاوزن مع غيره من المستشرقين من أمثال ((فريد لندر)) و((فون ارندونك)) على إن لفظ ((الخشبية)) قد تطلق على أصحاب المختار. إلا أنهم شهروا سلاحاً خشبيا بالحرم المكي، وقت إنقاذهم للسيد محمد بن الحنفية (ابن الإمام علي عليه السلام) من سجن عبد الله بن الزبير، وامسكوا بالخشب المعد لحرق ابن الحنفية وأصحابه، وقد استعرض ((فلهاوزن)) في كتابه ((الخوارج والشيعة)) جانبا من حياة المختار الثقفي في الكوفة، وصلاته بعبيد الله بن زياد، ووقوفه إلى جانب مسلم بن عقيل (رسول الإمام الحسين لأهل الكوفة)، ونفيه إلى خارج الكوفة بعد قضائه مدة في سجن ابن زياد.

وكتب المستشرق البريطاني ((كلوب)) عدة كتب تناولت جانبا من التاريخ الإسلامي ومنها كتاب ((إمبراطورية العرب)) وقد استعرض حركة المختار الثقفي وفصولها السياسية والعسكرية ووصف صراع المختار مع مصعب بن الزبير في البصرة، وعبيد الله بن زياد في الموصل بالقول: ((وهكذا غدا وكأنه بين حجري

الرحى)). وقد اتفق مع غيره من المستشرقين على اعتقال ابن زياد للمختار، وعند إطلاق سراحه ((اقسم على أن يثار لنفسه من عبيد الله، فترك الكوفة متجها إلى مكة))، ويعد المستشرق ((كلوب)) هذه الحادثة سببا لاتصال المختار بشيعة الكوفة، بعد حركة التوابين التي قادها سليمان بن صرد الخزاعي، والتي انتهت بمعركة ((عين الوردة)) المفجعة، وفي الحقيقة إن المختار استفاد من حركة التوابين، وحصل على تأييد من الكوفيين، بحيث أصبح المختار كما يقول ((كلوب)) احد الثلاثة المتنافسين على السلطة وهم: عبد الملك بن مروان في سوريا ومصر، وعبد الله بن الزبير في الجزيرة والبصرة، والمختار الثقفي في الكوفة وشمال فارس. وحينما استعرض حركته وإعلان برنامجه على الناس، حصل على البيعة، وعند ذلك أرسل بعض الولاة لأرمينيا وأذربيجان والموصل والجبال. وذلك إلى القول: ((حتى راح يبعث بجيش إلى الموصل لوقف زحف عبيد الله بن زياد، وقد عهد بقيادته إلى إبراهيم بن مالك الاشتر)) وأعطى تفسيراً لهزيمة جيش الشام على الرغم من كثرة عدده، وذلك لعدم ولاء قبائل قيس لبني أمية، والذين كانوا في ميسرة الجيش مما أدى إلى رجحان كفة ابن الاشتر على ابن زياد، وتعرض المستشرق ((كلوب)) إلى هزيمة المختار أمام جيش مصعب بن الزبير، وعند ذلك ((اصدر مصعب أمره بقتل جميع الأسرى)). وهذا الرأي قد أكدته المصادر التاريخية.

وكان المستشرق ((شارل بلات)) في كتابه ((الجاحظ)) قد استقى نصوصا من تاريخي الطبري وابن الأثير قد أشار إلى جانب من حركة المختار الثقفي، وعند حديثه عن الكيسانية والمختارية اعتمد على البغدادي في كتابه ((الفرق بين الفرق))، وعند حديثه عن التوابين وحركة سليمان بن صرد الخزاعي أطلق لفظ ((جماعة التلاوم والتنادم))، على أصحاب هذه الحركة، وفي الحقيقة إن هذا اللفظ قد ورد في المصادر الإسلامية، وفي كتاب ((الأنساب)) للسمعاني. ونجد في كتاب ((مختصر تاريخ العرب)) لسيد أمير علي (المؤرخ الهندي) الذي كتبه باللغة الانكليزية، وترجم إلى اللغة العربية فأشار إلى مطاردة المختار لقتلة الحسين

والإمعـان في قتلـهم، وأطلـق لفـظ ((الجـزار)) علـى عبيـد الله بـن زيـاد. ووقـع المستـشرق ((نيكلـسون Nicholson)) في كتابـه ((Literary HIstor of the Arabs)) في وهـم حينمـا عـد انـضمام المـوالي إلى حركـة المختـار، هدفـه مقاومـة العرب بدلاً من أن تكون ضـد الأمويين، دون أن يشير إلى إن المختـار ينحـدر مـن أسرة ثقيـف العربيـة أولاً، وإلى اضـطهاد الموالي علـى أيـدي الأمـويين، فيقـول: إن المختار ألقى بنفسه في أحضان الموالي مما جعلهم يقفـون في وجه الدولـة الأمويـة والعرب. وجعل المؤرخ المستشرق((ميورMuir)) في كتابه ((Rise Decline an The caliphate,Its Fal)) إن سياسـة المختـار قـد بنيـت علـى أسـاس مـن الرمـال، فلم يكتب له البقـاء وقـد استهدف في رأيه هـذا انـضمام المـوالي إلى المختـار. وقـد أطلقــت. المستــشرقة ((بــو جيناغيانـه ستــشجيفكا)) في كتابهــا ((تــاريخ الدولــة الإســلامية)) لفـظ الفتنـة علـى حركـة المختـار الثقفـي كمـا أطلـق اللفـظ نفـسه ((بروكلمـان)) في دائـرة المعـارف الإسـلامية وهـذا نـاتج مـن عـدم فهـم للتـاريخ الإسلامي وعدم وعي تام لحوادثه، وقد الصق الدكتور ((راجـو فسكي)) العقيـدة الخارجية بالمختار، وقد وقف مع الخوارج ضد الأمويين وقد التقـى ((دونـدلسن)) في كتابه ((عقيدة الشيعة)) مع هذا الرأي، ولكنه قال: إن المختـار ادعـى انـه يعمـل باسم الإمام زين العابدين عليه السلام، وقد تتبع قتلة الحسين ولم يوضح هل إن المختـار تـرك العقيـدة الخارجيـة، ومـن ثـم اتجـه نحـو التـشيع، وإلى هــذا أشــار المـؤرخ ((دوزي)) في كتابـه ((Essai Sur 'Hist del' Islamisme)) إن المختـار كـان خارجيـا ثـم زبيريـا ثـم شـيعياً، ويقـول الـدكتور علـي حـسني الخربرطلـي في كتابـه ((المختار)) إن هذا الرأي يتعارض مع رأي فلهاوزن، فيذكر انه لاحق لدوزي انـه يجعـل المختـار معرضـا للسخرية، ويرى أن دوزي لم يفهـم المختـار علـى حقيقتـه. وكان بحث الأستاذ الدكتور فاروق عمر فوزي المنشور في مجلة ((آفـاق عربيـة)) في العدد السادس من السنة الثالثة وقد تناول حركة المختار الثقفي، معتمداً علـى آراء بعض المستشرقين من أمثـال ((البروفـسور موسـكاتي Moscuti)) الـذي أكـد علـى

المحتوى الديني لحركة المختار، وان ((البروفسور كلود كاهين)) قد ذهب إلى إن المختار قد جعل محمد بن الحنفية مهدياً، أما الدكتور ((راجكو سكي Raikawski)) فانه كان يفصل في آراء المختار الدينية التي جذبت إليه قبائل الكوفة اليمانية والموالي، وكان ((فان فلوتن)) في كتابه ((السيادة العربية)) قد ذهب إلى رأي مفاده إن المختار ضمن مساعدة العرب والموالي من أهل الكوفة، في حين كان عدد الموالي يفوق على عدد العرب. وتحتاج آراء المستشرقين عن المختار الثقفي إلى وقفة طويلة لتبيان ما ذهبوا إليه من تفسير للتاريخ.

الكوفة
والحياة العلمية والفكرية

الكوفة من الجامع إلى الجامعة[1]

ذهب بعض المؤرخين والباحثين إلى أن تمصير الكوفة كان يعود لعاملين هما: العامل العسكري، والعامل الجغرافي[2] فذكروا أن تأسيس مدينة الكوفة جاء لضرورة عسكرية تطلبتها دواعي عمليات التحرير العربية الإسلامية للعراق (فكان من الضروري أن يتخذ الجيش الإسلامي المحارب نقطة ارتكاز له ليستريح عندها من عناء السفر، وعناء الحرب، أو معسكرا ثابتا من ميدان القتال)[3]، وقد قيل: أن الكوفة دار هجرة ومنزل جهاد، وقيل إنها كوفة الجند[4]، وقد جاء تمصير الكوفة بعد موقعة القادسية، فنزلها سعد بن أبي وقاص وخططها خططا لقبائل العرب، وابتنى بها دارا[5]، أما العامل الجغرافي فيعود إلى صلة الكوفة بالجزيرة العربية، وتشابه البيئة بينهما، ولذا جاء التفكير بتخطيط مدينة تحفظ للجيش حيويته وقوته، وتعينه على المضي في الرسالة الكبرى التي غادر الصحراء من أجلها، وهي الجهاد في سبيل الله[6]، وقد طلب عمر بن الخطاب من سعد بن أبي وقاص أن يتخذ للمسلمين دار هجرة وقيروانا[7]، والمقصود بدار الهجرة أن تكون مركزا للقتال، الذي يرابط فيه مع أميرهم تحت السلاح، وكان الجنود

---

(1) بحث ألقي في المؤتمر العلمي الثالث (دور الكوفة في التراث العربي الإسلامي) في كلية الفقه في الفترة من٣-١٩٨٨/٥/٤ ونشر في جريدة الثورة في العدد ٦٧٦٧ الصادر في١٩٨٨/١٢/٧م مقال تحت عنوان (تمصير الكوفة).

(2) يوسف خليف: حياة الشعر في الكوفة ص٢٣.

(3) الموسوي: العوامل التاريخية لنشأة وتطور المدن ص٨٣.

(4) ياقوت: معجم البلدان ٤٩١/٤.

(5) ابن سعد: الطبقات الكبرى ١٢/٦.

(6) يوسف خليف: حياة الشعر في الكوفة ص٢٣.

(7) البلاذري: فتوح البلدان ص٢٧٤.

المسلمون يسمون أحيانا (المقاتلة) وأحيانا (المهاجرة) وإن لفظ (القيروان) يؤدي هذا المعنى أيضاً إذ إن من معانيها (الجماعة من الخيل ومعظم الكتيبة)[1].

ويضاف إلى العاملين المذكورين، عاملان آخران هما: العامل التاريخي، والعامل الفكري، فالكوفة وريث تاريخي لمدينة الحيرة، كما إن مدينة النجف وريث تاريخي للكوفة، فإن نشأة الكوفة عربية كانت بعيدة عن المؤثرات الأجنبية كالهندية والفارسية وغيرهما، فإن القبائل العربية التي جاءتها مهاجرة من الجزيرة العربية، أو التي كانت ساكنة في الحيرة في عصر ما قبل الإسلام والتي اتخذت من المسيحية ديانة، فقد أعطت للحيرة بعدا فكريا جعلها تساير دول الشام المعاصرة لها كالغساسنة والأنباط، فقصدها الشعراء، وأنشدوا في ملوكها القصائد، وتغنوا في مبانيها كالقصور والأديرة، وتباروا في أنديتها الأدبية، فأصبحت مركزا فكريا وحضاريا، ومن هنا كانت الجماعة العربية في العراق تولي اللغة والأدب عنايتها، كانت تقول الشعر، وكانت تستمع إلى الشعر، الذي يأتيها من الجزيرة، وكانت تنتج أدبا، وكانت تعتز بهذا الأدب، وكانت فوق ذلك تهتم بجمع هذا الشعر وتسجله وتحفظه في قصور الأمراء[2]، وكان عند النعمان بن المنذر ديوان شعر فيه أشعار الفحول، وما مدح به هو وأهل بيته[3]، وقد اختزنت كنوز الشعر والأدب العربي في القصر الأبيض في عهد النعمان بن المنذر[4]، وكان الكوفيون على علم بمكانه حتى جاء المختار بن أبي عبيد الثقفي، وكشف الموضع، فظهرت كنوز العرب الأدبية[5].

وعلى مقربة من الكوفة عند تمصيرها كانت الأديرة المسيحية كدير هند الصغرى الذي يلي الخندق، وكان النساطرة واليعاقبة يسكنون منطقة (عاقولا)

---

(1) الفيروز آبادي: القاموس المحيط (مادة قرن) ٤/٢٥٩.

(2) شكري فيصل: المجتمعات الإسلامية في القرن الأول ص١٠٧.

(3) ابن قتيبة: طبقات الشعراء ص١٠ (ليدن).

(4) ابن جني: الخصائص ١/٣٨٧.

(5) البراقي: تاريخ الكوفة ص١٤٩.

التي تعني الدائرة أو التكوف وهو الاسم السرياني للكوفة، وقد تغنى الشعراء بأديرتها، وعاش فيها الرسامان الصينيان فان شن وليوته بين (٧٥١- ٧٦٢م)[١]، فالكوفة من أساريرها (خد العذراء) ذلك النشر الذي ازدهر فيه الأدب العربي أيام الحيرة، وعلى عهد المناذرة[٢]، حتى إن الخط الكوفي كانت جذوره الخط الحيري، فقد كان السريان يكتبون بالخط السرياني، ومنه الخط (السطر نجيلي) الذي تكتب فيه الأسفار النصرانية[٣]، ويقول: إن السريان والكنيسة النسطورية كانوا على اتصال وثيق بالثقافة الإغريقية[٤]، ويميل بعض الباحثين إلى الظن أن كثيراً من عرب الحيرة عرفوا اللغة السريانية، ونفذوا منها إلى تمثل كثير من الثقافة الإغريقية[٥]، ولم تكن اللغة الفارسية التي كانت لغة الأكاسرة أن تدخل في أعماق العرب في الحيرة، ولكن بعد تحرير العراق وتمصير البصرة والكوفة أخذت اللغة العربية تزحف على أهل الكتاب[٦]، وعلى بقايا الأسر الفارسية عن طريق اندماج العرب بالموالي اجتماعيا وفكريا، وأخذ الإسلام يسير في بدوهم وحضرهم، ولا شك أن انتشار الإسلام قد صاحب انتشار اللغة العربية.

وهكذا اجتمع في الكوفة العامل العسكري، والعمل الجغرافي، والعمل التاريخي، والعامل الفكري، فقد كانت القبائل العربية التي تجاهد في الوقت نفسه حاملة الرسالة الإسلامية، وقد أشار إلى أهالي الكوفة عمر بن الخطاب بالقول:

---

(١) ماسنيون: خطط الكوفة ص١٠٥.

(٢) البراقي: تاريخ الكوفة ص١٤٩.

(٣) ن. م ص٢٠٩.

(٤) يوسف خليف: حياة الشعر في الكوفة ص٢٣٣ نقلا عن Leary Arabia befor M.O Muhammad.p.١٣٥.

(٥) شوقي ضيف: التطور والتجديد في العصر الأموي ص١٥.

(٦) ابن سعد: الطبقات الكبرى ٦/٥.

((رأس أهل الإسلام)) أو((رأس العرب)) وقال: ((رمح الله وكنز الإيمان وجمجمة العرب يجزون ثغورهم ويمدون أهل الأمصار))[1].

إن الكوفة كانت مصرا إسلاميا، ثم صارت عاصمة للخلافة، ثم عادت مصرا كما كانت، وهي في طول حياتها بقيت صاحبة المركز العلمي الذي كان يساير مركزها السياسي، فأخذ اسم الكوفة والكوفيين يدخل في التراث العربي الإسلامي، وبدأ شعاعها الفكري من جامعها العظيم الذي خطط مع تخطيط المدينة عام ١٧هـ، ولما بعث عمر الصحابي عبد الله بن مسعود إلى الكوفة كتب لأهلها: ((إني بعثت إليكم بعبد الله بن مسعود معلما ووزيرا، وآثرتكم به على نفسي، فخذوا عنه))[2]، وفي رواية أخرى إنه كتب لأهل الكوفة: ((أما بعد فإني بعثت إليكم عمارا أميرا، وعبد الله معلما ووزيرا، وهما من النجباء من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فاسمعوا لهما واقتدوا بهما وإني قد آثرتكم بعبد الله على نفسي أثرة))[3].

وكانت مدينة الكوفة قد بدأت بجامعها، وكان نواتها الصحابة الذين هبطوا أرضها، وكان عددهم ثلاثمائة من أصحاب الشجرة وسبعين من أهل بدر[4]، ولذا يعد جامع الكوفة أقدم مؤسسة علمية في تاريخ الكوفة، ومكانا للقضاء تحل فيه مشاكل المسلمين، وأخذ هذا الجامع في خلافة أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام طابعا علميا واسع النطاق، وبعد أن أصبحت الكوفة عاصمة للخلافة الإسلامية، فكان عليه السلام، قد ألقى في جامع الكوفة قسما من خطبه البليغة العظيمة التي ضمها كتاب (نهج البلاغة) تلك الخطب النفيسة التي تعد من روائع الأدب العربي، وتحتل مكانا من البلاغة بعد القرآن الكريم، وقد أشاد الإمام علي عليه السلام بالكوفة قائلا: ((الكوفة جمجمة الإسلام، وكنز الإيمان، وسيف الله ورمحه يضعه

---

(١) الطبري: التاريخ ٤/٥٢.

(٢) ابن سعد: الطبقات الكبرى ٦/١٣-١٤.

(٣) ن. م ٦/١١.

(٤) ن. م ٦/٩.

حيث يشاء، وأيم الله لينصرن الله بأهلها من مشارق الأرض ومغاربها كما انتصر بالحجارة))[1]، وقال أيضاً: ((والله إن الكوفة للهجرة بعد الهجرة، وإنها لقبة الإسلام))[2]، وكانت هذه المدينة قد حفظت بيضة الإسلام من جهة، ونشرت علومه من جهة أخرى، وقد حمل لواءها الصحابة، ثم التابعون، وتابعو التابعين، وأصبح لكل صحابي مدرسة من التابعين تأخذ عنه وتلتف حوله[3]، ولدينا شواهد كثيرة على تتابع الحركة العلمية في الكوفة، منها إن الكميت بن زيد، وحماد الراوية كانا يلتقيان في مسجد الكوفة يتذاكران أشعار العرب وأيامها، فاختلفا مرة في شيء، فقال الكميت لحماد: أتظن أنك أعلم مني بأيام العرب وأشعارها؟ فقال حماد: هذا هو اليقين، فغضب الكميت، وما زال يناقشه ويسأله حتى أفحمه[4].

وقد استطاع علماء الكوفة النهوض بالعلم نهضة واسعة في العصرين الأموي والعباسي، ونبغ فيهم علماء كبار حملوا مشعل الفكر العربي الإسلامي ومثال ذلك ما ذكره عبد الله بن عباس في تلميذه سعيد بن جبير عندما أتاه أهل الكوفة يسألونه، فأجابهم: ((تسألوني وفيكم ابن أم دهماء؟ ويعني به سعيد بن جبير[5]، وأشار ثعلب بعلمية الفراء بقول: ((لولا الفراء لقطعت العربية))[6]، كان إبراهيم النخعي فقيه الكوفة في عصره يتحدث عن المرجئة ويحذر الناس منهم[7].

ومن الملاحظ أن الكوفة على الرغم من حملها لواء المعرفة الإسلامية، فقد كان علماؤها يقصدون البصرة، ويأخذون من علمائها، وهذا ما نطلق عليه في

---

(1) ابن سعد: الطبقات الكبرى ٦/٦.

(2) الطبري: التاريخ ٥٩/٤.

(3) يوسف خليف: حياة الشعر في الكوفة ص١٨٧.

(4) احمد شلبي: تاريخ التربية الإسلامية ص٩٤.

(5) ابن سعد: الطبقات الكبرى ١٧٩/٦.

(6) ابن الانباري: نزهة الالباء ص٨٠.

(7) ابن سعد: الطبقات ٢٧٣/٦-٣٧٤.

الوقت الحاضر لفظ (التبادل الثقافي) بين المدرستين، وكان هذا التبادل يأخذ طابعين هما: الأخذ والعطاء من جهة، وطابع الخصومات الفكرية من جهة أخرى، وكلا الطابعين قدما للفكر والمعرفة خدمة جليلة، وبرزت للوجود في النحو العربي (مدرسة الكوفة) و(مدرسة البصرة) وما بين المدرستين من خصومات ومناظرات، ولكن هذا لم يمنع الكسائي النحوي وتلميذه الفراء، والقاسم بن سلام اللغوي، وهم من علماء الكوفة، أن يقصدوا البصرة والاستماع لعلمائها[1]، وهكذا كان التبادل الثقافي بين الكوفة والبصرة مستمرا، فلا يكاد يظهر مذهب من المذاهب العقلية، أو فكرة من الأفكار العلمية، أو ظاهرة من الظواهر الأدبية، في إحدى المدينتين حتى يرن صداها في المدينة الأخرى، وكانت النتيجة الطبيعية لهذا إن كثرت المنافسات العلمية و الخصومات الفكرية بينهما، وكانت المناظرات تقام في مساجد المدينتين، أو في قصور الخلفاء والأمراء. أو في مجالس خاصة يعقدها المهتمون بشؤون العلم والثقافة كمناظرة سيبويه البصري، والكسائي الكوفي في مجالس يحيى البرمكي حول بعض المسائل النحوية[2].

وعند تأسيس مدينة بغداد عام ١٤٥هـ، هاجر كثير من علماء الكوفة والبصرة إليها، ونشأت بين علماء المدينتين صلات فكرية واسعة النطاق، وكان للكوفيين حظوة عند الخلفاء والأمراء أكثر مما كان للبصريين[3]، فالمفضل الضبي الكوفي عهد إليه أبو جعفر المنصور تأديب ولده المهدي، والكسائي عهد إليه المهدي تأديب ولده الرشيد، وعهد إليه الرشيد تأديب ولده الأمين، وطلب المأمون من الفراء تعليم بنيه النحو[4]، وكان ابن السكيت معلما لأولاد المتوكل، وكان أبو جعفر محمد بن عمران الكوفي مؤدبا لعبد الله بن المعتز[5]، وهكذا

---

(1) يوسف خليف: حياة الشعر في الكوفة ص٢٣٩.

(2) الخطيب البغدادي: تاريخ بغداد ١٢/ ١٠٤-١٥٠.

(3) احمد أمين: ضحى الإسلام ٢/٣٤-٣٥.

(4) الخطيب: تاريخ بغداد ١٤/١٥٠.

(5) ابن الانباري: نزهة الالبا ص١٣٨- ص١٥٧.

أصبحت الكوفة في العصر العباسي تنشر علومها في بغداد وغيرها من المدن الإسلامية، وكانت هي وأختها البصرة أغنى الأمصار الإسلامية من الناحية الفكرية والثقافية وكانت البصرة في هذه الحقبة تفاخر الكوفة بأربعة كتب هي: البيان والتبيين، والحيوان للجاحظ، والكتاب لسيبويه، والعين للخليل[1]، ومن حق الكوفة أن تفاخر البصرة بمجموعة من العلوم والمعارف الإسلامية التي تجمعت في شخصية الإمام جعفر بن محمد الصادق عليه السلام، الذي استقى منه أئمة المذاهب الإسلامية كثيراً من علومه، فإن مدرسته في الكوفة قد تلاقحت مع مدرسته في المدينة، واستقطبت في وقت وجود الإمام الصادق فيها أعلاما من البصرة وواسط والحجاز، يقول الإمام مالك بن أنس: ((جعفر بن محمد اختلفت إليه زمانا، فما كنت أراه إلا على أحد ثلاث خصال: إما مصل، وإما صائم، وإما يقرأ القرآن، وما رأت عين ولا سمعت أذن ولا خطر على قلب بشر أفضل من جعفر بن محمد الصادق علما وعبادة وورعا))، ويقول عمرو بن المقدام: ((كنت إذا نظرت إلى جعفر بن محمد علمت أنه من سلالة النبيين))[2]، ويقول الإمام أبو حنيفة النعمان بن ثابت: ((ما رأيت أفقه من جعفر بن محمد))[3]، وقد نقل الناس عن الإمام جعفر الصادق عليه السلام ما سارت به الركبان حتى انتشر صيته في جميع البلدان.

ونجد ملامح التعليم الجامعي بدأت من جامع الكوفة كما أشار إلى ذلك الحسن الوشاء بقوله: ((أدركت في هذا المسجد تسعمائة شيخ كل يقول: حدثني جعفر بن محمد))[4]، فإن لفظة (الشيخ) تعني لقبا تعليميا عاليا، ويكون حمله من بين الأدلة التي يستدل بها على تحقيق الأهلية العلمية، كما إن حامله يكون من

---

(1) محمد عبد المنعم خفاجي: الجاحظ ص٢٦٣.

(2) ابن حجر: تهذيب التهذيب ٢/ ١٠٤.

(3) الذهبي: تذكرة الحفاظ ١/ ١٥٧.

(4) النجاشي: الرجال ص٣١.

العلماء المقدمين في السن في الغالب[1]، وقد ألف تلاميذ الإمام الصادق في جميع الفنون والمعارف، فألف أبان بن تغلب (معاني القرآن) وألف المفضل بن عمر (التوحيد) وألف جابر بن حيان كتابا في علم الكيمياء يقع في ألف ورقة تضمنت رسائل الإمام الصادق عليه السلام والتي بلغت خمسمائة رسالة في هذا العلم، وكانت هذه المصادر المعرفية عطاءاً خصبا لعلم الكيمياء استفاد منها العلماء فائدة كبرى، وألف جمع من تلاميذه عددا من المؤلفات حتى بلغت أربع مائة مصنف لأربعمائة مصنف[2]، وكان من تلاميذ الإمام عدد من أئمة المذاهب الإسلامية والكلامية، من أبرزهم: الإمام أبو حنيفة (ت١٥٠هـ)، وشعبة بن الحجاج (ت١٦٠هـ)، وسفيان الثوري (ت١٦١هـ)، ومالك بن أنس (ت١٧٩هـ)، وفضيل بن عياض (ت١٨٧هـ)، وحاتم بن إسماعيل (ت١٨٠هـ) وهشام بن الحكم (ت ١٩٧هـ)، وسفيان بن عيينة (ت١٩٨هـ).

وكانت مدرسة الكوفة قد تفرعت منها دراسات عامة واسعة النطاق كالدراسات القرآنية، والدراسات الحديثية، والدراسات الفقهية، والدراسات اللغوية والنحوية، والدراسات الكلامية والفلسفية، والدراسات التاريخية والرجالية وغيرها، فكانت منذ القرن الأول الهجري مدرسة لعلوم القرآن، فمن أبرز شيوخها الإمام علي عليه السلام، وعبد الله بن مسعود، وعمار بن ياسر، وحذيفة بن اليمان، فقد كانوا يقرئون الناس القرآن، ويفسرون آياته، وكان التفاف الناس حولهم كدوي النحل في جامع الكوفة، أما في علم الحديث فقد أرسى الإمام جعفر بن محمد الصادق عليه السلام قواعده في الكوفة، وكان يحدث بالحديث الصحيح، ويكشف عن زيف الغلاة والكذابين، وكان أبان بن تغلب من أكثر أصحاب الإمام الصادق اتصالا به، فقد روى عنه ثلاثين ألف حديث[3]، وقد أفرد أبو

---

(١) عبد الله فياض: تاريخ التربية عند الإمامية ص١٤٤- ص١٤٥.

(٢) المفيد: الإرشاد ص٢٧١، المحقق الحلي: المعتبر ص٤، البهائي: مشرق الشمسين ص٣، الأمين: أعيان الشيعة ٥٦/ ١٠٤ / ١٠٥.

(٣) الأمين: أعيان الشيعة ١/ ٣٦٨-٣٦٩.

العباس أحمد بن عقدة الزيدي الكوفي (ت٣٣٣هـ) كتابا في الرجال الذين رووا عن الإمام الصادق عليه السلام، وقد بلغوا أربعة آلاف راوٍ، مع بيان أسماء مصنفاتهم، وقد خص بالذكر المصنفين من الرواة عن الإمام الصادق عليه السلام[١]، يقول الحاكم النيسابوري: إن أصح أسانيد أهل البيت جعفر بن محمد عن جده عن أبيه عن علي إذا كان الراوي عن جعفر ثقة[٢]، وهذا له دلالة على أن أحاديث آل البيت عليهم السلام تتصل بصورة مباشرة بالرسول الكريم صلى الله عليه وآله وسلم وفي ذلك يقول الإمام الصادق عليه السلام: ((حديث أبي حديث جدي، وحديث جدي حديث الحسين، وحديث الحسين حديث الحسن، وحديث الحسن حديث أمير المؤمنين، وحديث أمير المؤمنين حديث رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، وحديث رسول الله من قول الله عز وجل))[٣].

ويعد أبو العباس بن عقدة أحد أركان علم الحديث في مدينة الكوفة قال الدار قطني: ((أجمع أهل الكوفة على أنه لم ير من زمن ابن مسعود إلى زمان بن عقدة أحفظ منه))[٤]، ومما يؤكد انتشار علم الحديث في الكوفة هو أن عددا من شيوخ الإمام أحمد بن حنبل في الحديث كانوا من الكوفيين أمثال: إسماعيل بن أبان الأزدي، وإسماعيل بن منصور السلوي، وتليد بن سليمان المحاربي، والحسين بن الحسن الفزاري، وخالد بن مخلد القطواني[٥]، ولصلة علم الحديث بالتاريخ والأخبار والسير، كان في الكوفة إخباريون مشهورون كأبي روق عطية بن الحارث الهمداني الذي أخذ عنه المؤرخ الطبري في ستة وأربعين موضعا في

---

(١) المحقق الحلي ص٤، البحراني: الحدائق الناظرة ١/ ٢٢، القمي: هدية الأحباب ص٧٥-ص٧٦.

(٢) الحاكم النيسابوري: معرفة علوم الحديث ص٥٥.

(٣) الكليني: الكافي ١/٥٣.

(٤) ابن كثير: البداية و النهاية ٢٠٩/١١، اليافعي: مرآة الجنان ٢/ ٣١١، السيوطي: طبقات الحفاظ ص٣٤٩، ابن العماد: شذرات الذهب ٢/ ٢٣٢.

(٥) أسد حيدر: الإمام الصادق والمذاهب الأربعة ٥٠٤/٤-٥٠٥.

كتاب (تاريخ الأمم والملوك) وكان نصر بن مزاحم المنقري (ت٢١٢هـ) إخباريا معروفا، قد دون أحداث القرن الأول الهجري.

وهذه النصوص تكشف لنا إن الكوفة كانت مدرسة حديث ولغة وأخبار، لا كما يقال مدرسة رأي فحسب، تلك المدرسة التي تزعمها أبو حنيفة في قبال مدرسة الحديث التي تزعمها مالك بن أنس في المدينة، وقيل: إن أبا خنيفة هو صاحب الرأي[1]، وقد سار على رأيه عدد من الفقهاء أمثال: محمد بن الحسن الشيباني، وأبي يوسف القاضي، وزفر بن الهذيل، والحسن بن زياد اللؤلؤي، وأبي مطيع البلخي، وبشر المريسي، وإذا قيل: أهل الرأي، يقال: أهل الكوفة، وإني أرى في هذه الأقوال مبالغة، وافتقار إلى الدقة، فإن فقه آل البيت عليهم السلام كان هو السائد في الكوفة، وإن أصحاب الرأي يمثلون تيارا فقهيا كان يعاصره فقه آل البيت، وهذا ما تكشفه محاججة الإمام الصادق لأبي حنيفة كما في رواية ابن شبرمة: ((أيهما أعظم قتل النفس أو الزنا؟ قال أبو حنيفة: قتل النفس، قال الإمام الصادق: فإن الله عز وجل، قبل في قتل النفس شاهدين ولم يقبل في الزنا إلا أربعة، ثم قال: أيها أعظم الصلاة أم الصوم؟ قال أبو حنيفة: الصلاة، قال الإمام الصادق: فما بال الحائض تقضي الصوم ولا تقضي الصلاة؟ فكيف ويحك يقوم لك قياسك اتق الله ولا تقس الدين برأيك[2].

ومن الطبيعي أن يقف أهل البيت، وبخاصة الإمام الصادق عليه السلام، الذي انتشر هذا النوع من القياس على عهده موقفهم المعروف، ومن المحتمل في تبني أبو حنيفة للرأي والقياس هو تأثره بعلم الكلام الذي كان سائدا في الكوفة والبصرة في تلك الفترة وما فيهما من اقيسة عقلية تستعمل عادة في مناظرات الكلاميين والجدليين[3]، وما يدلنا على ذلك أن أبا حنيفة دخل البصرة قبل أن يكون فقيها،

---

(١) الخطيب البغدادي: تاريخ بغداد ٣٢٣/١٣.

(٢) أبو نعيم: حلية الأولياء ١٩٧/٣، ابن خلكان: وفيات الأعيان ٤٢/٥.

(٣) مصطفى جمال الدين: القياس حقيقته وحجيته ص١٠٩- ص١١٠.

ولغرض الاتصال بأصحاب الجدل أكثر من عشرين مرة، وإنه كانت لأبي حنيفة قبل اتصاله بحماد بن أبي سليمان حلقة يذاكر فيها علم الكلام[1].

وكانت الكوفة قد عرفت المناظرات الكلامية والمساجلات الفلسفية وكان من أبرزها مناظرة محمد بن علي بن النعمان البجلي الكوفي المعروف بمؤمن الطاق مع الخوارج، وقد كان هذا يمتاز بقدرة فائقة على الجدل، وقوة في التفكير ومهارة في الاستنباط. ومناظرة أبي بكر الهذلي البصري مع ابن عياش الكوفي حول بعض المسائل العقائدية[2]، ويعد هشام بن الحكم الكندي (ت١٩٧هـ) من أبرز شخصيات عصره بعلم الكلام، فقد كان يمتاز بقوة الشخصية، وسرعة الإجابة، قال عنه ابن النديم: ((كان حاذقا بصناعة الكلام، حاضر الجواب))[3]، ولم تكن المناظرات في مدينة الكوفة مقصورة على الفقه وعلم الكلام، بل كانت على نطاق واسع في اللغة والنحو والأدب حتى عرفت الدراسات اللغوية والنحوية منها باسم (مدرسة الكوفة) في نظير مدرسة البصرة، فقد افتخرت البصرة بالخليل بن أحمد الفراهيدي، فهو أستاذها الأكبر في علمي العروض والنحو، وافتخرت الكوفة بأبي جعفر الرؤاسي فهو أستاذ مدرستها النحوية[4]، وقد وصفه ابن النديم بأنه رأس نحاة الكوفة[5]، ويعد ثعلب إمام الكوفيين في النحو واللغة في زمانه، فهو أصدق أهل العربية لسانا، وأعظمهم شأنا، وأبعدهم ذكرا وأوضحهم علما، وأرفعهم قدرا[6].

وكانت مدرسة الكوفة النحوية قد ارتكزت على دعامتين بعد أستاذها الأول أبي جعفر الرؤاسي وهما: الكسائي (ت١٨٩هـ)، والفراء (ت٢٠٧هـ)، وبه

---

(1) الخطيب: تاريخ بغداد ١٣/ ١٣٣.

(2) البراقي: تاريخ الكوفة ص٢٠٢.

(3) ابن النديم: الفهرست ص٢٢٣.

(4) السيوطي: بغية الوعاة ص٣٤.

(5) ابن النديم: الفهرست ص٦٤.

(6) ابن الأنباري: نزهة الألبا ص٢٦٤.

ختم الجيل الأول من نحاة الكوفة الذين برزوا في القرن الثاني الهجري، كما ختم هذا الجيل في البصرة بسيبويه.[1]، وقد استطاع الفراء تثبيت دعائم المدرسة الكوفية، بعد أخذه بالمادة التي خلفها أستاذه وإعادة النظر في بعضها[2]، وقد وصفه ابن الأنباري بأمير المؤمنين في النحو[3]، ويقول: لو لم يكن لأهل بغداد والكوفة من علماء العربية إلا الكسائي والفراء لكان لهم بهما الافتخار على جميع الناس إذ انتهت العلوم إليهما[4]، وقال عنه ثعلب: ((لولا الفراء لما كانت اللغة لأنه حصلها وضبطها، ولولا الفراء لسقطت العربية، لأنها كانت تتنازع ويدعيها كل من أراد، ويتكلم الناس فيها على مقادير عقولهم وقرائحهم))[5].

ويقودنا هذا الاستعراض العلمي السريع لمدينة الكوفة إلى القول: إنها المدينة التي حفظت لنا التراث العربي الإسلامي من علوم القرآن والحديث والفقه والعلوم اللغوية والنحوية، إلى جانب الشعر الذي كانت الكوفة فيه عكاظا ومربدا، وحسبنا من شعرائها: أبو العتاهية. وأبو دلامه وحماد عجرد، ومطيع بن إياس، وحماد الراوية، والكميت بن زيد، وعلي بن محمد الحماني، وأمير الشعراء أبو الطيب المتنبي.

وكان تأثير الكوفة في الأمصار العربية الإسلامية كبيرا وواضحا وكان لمدينة بغداد النصيب الأوفر، فقد استطاعت بغداد بعد تأسيسها اجتذاب عدد من أعلام الكوفة، وقد قاموا بالتدريس في مؤسساتها العلمية، وإذا قرأنا (تاريخ بغداد) للخطيب البغدادي، وكتاب (المنتظم) لابن الجوزي، وكتاب (تلخيص مجمع الآداب) لابن الفوطي، وذيول بغداد لابن النجار وابن الدبيثي والدمياطي وغيرهم، ولرأيناكم عدد الكوفيين الذين احتضنتهم بغداد، وأثروا في حركتها

---

(١) يوسف خليف: حياة الشعر في الكوفة ص٢٦٤.

(٢) ن. م ص٢٦٥.

(٣) ابن الأنباري: نزهة الألبا ص٨٣.

(٤) ن. م.

(٥) الخطيب البغدادي: تاريخ بغداد ١٤/ ١٤٩، ياقوت: معجم الأدباء ٧/ ٢٧٦.

العلمية، والكوفة مع كل هذه الهجرة من علمائها بقيت تحتفظ بمؤسساتها العلمية التي تخطت مسجدها الكبير فترة من الزمن، وبقيت دار علم تشد إليها الرحال، وبرزت مدينة النجف الأشرف التي هي (ظهر الكوفة) دار علم ومعرفة منذ القرن الثالث الهجري وحتى وقتنا هذا، ومنذ ذلك الوقت بدأت العمارة والتشييد لمدرسة النجف الاشرف، فانتقلت الكوفة إليها، وبقيت تصب في بحر النجف إلى القرن الثامن الهجري، وعند ذلك استوعبت النجف كل ما كان في الكوفة[1].

ويحدثنا التاريخ عن وجود أعلام بمدينة النجف وأسر علمية عريقة منذ القرن الثالث الهجري كآل طحال، وآل شهريار، وبني سدرة[2]، وقد أشار الشاعر الحسين بن الحجاج البغدادي (ت٣٩١هـ) إلى الحركة العلمية في مدينة النجف بقصيدته الفائية التي مطلعها[3]:

يا صاحب القبة البيضا على النجف   من زار قبرك واستشفى لديك شفي

ثم قال:

وقل سلام من الله السلام على   أهل السلام وأهل العلم والشرف

وقد استدل بعض الباحثين على اتساع الحركة العلمية في النجف منذ نهاية القرن الرابع الهجري، واعتمادا على صدور إجازة علمية برواية الحديث ذكرها الشيخ النجاشي الأسدي (ت٤٥٠هـ) في كتابه (الرجال) عند ترجمته للحسين بن أحمد بن المغيرة البوشنجي بقوله: ((له كتاب عمل السلطان أجازنا بروايته أبو عبد الله بن الخمري، الشيخ الصالح في مشهد مولانا أمير المؤمنين عليه السلام سنة أربع مائة عنه))[4]، وإن صدور مثل هذه الإجازات يعد حدثا علميا جديدا في تاريخ مدينة النجف الفكري، وقد اتسعت الحركة العلمية بعد مجيء الشيخ الطوسي إلى

---

(١) الشرقي: الأحلام ص٤٢.

(٢) محبوبة: ماضي النجف وحاضرها ٤٢٢/٢، الحكيم: الشيخ الطوسي ص١٠١.

(٣) الأفندي: رياض العلماء ٢/ورقة ١٧٧، القمي: الكنى والألقاب ٢٥١/١، الكوفي: نزهة الغري ص٣٣.

(٤) النجاشي: الرجال ص٥٤.

مدينة النجف الأشرف عام ٤٤٨هـ، الذي عد مجيؤه نقطة تحول في تاريخ النجف العلمي حيث اقترنت هجرته بنشاط علمي وتعليمي كبيرين[١]، وإذا ألقينا نظرة فاحصة على كتاب (الأمالي) للشيخ الطوسي نجد فيه انتظام الوضع الدراسي في مدينة النجف، فقد كان الشيخ الطوسي يجتمع بتلاميذه ويملي عليهم معارفه في التفسير والحديث والرجال والفقه والأصول وغيرها. ويعد كتاب (الخلاف) موسوعة فقهية عظيمة في الفقه المقارن، وكان الجانب اللغوي والنحوي يمثل شطرا كبيرا في كتاب (التبيان في تفسير القرآن) فقد استقى الشيخ فيه من علماء اللغة والنحو البصريين والكوفيين من أمثال: الخليل بن أحمد الفراهيدي، وسيبويه، والكسائي، وقطرب، والفراء، وأبي عبيدة، والأخفش، وثعلب، والزجاج، وأبي علي الفارسي، وغيرهم. وهو إذ يروي عن هؤلاء آراءهم في الاشتقاق والنحو واللغة، فهو لا يلتزم بها إلا بعد غربلة وتمحيص، ويرد على بعضها رجحان رأي على رأي آخر، فقد رد على الكسائي، وأبدى رأيه في الفراء، وأوضح رأي الزجاج والرماني حول خطأ أبي عبيدة، واعتبر رأيه أولى من رأي الرماني، وفضل قول ابن عباس على قول مجاهد وابن جريج والفراء، وموقف الشيخ الطوسي من لغة القرآن الكريم وترجيحاته الخاصة بهذا الشأن، ورده على أقطاب علماء اللغة والنحو دليل على تضلعه بهذه العلوم واتساع آفاقه الفنية والأدبية[٢].

وإذا تتبعنا الأدوار العلمية والفكرية لمدينة النجف الأشرف منذ القرن الخامس الهجري نجدها لم تنفصل عن مدينة الكوفة، فقد كانت النقابة العلوية للإشراف في الكوفة تجمع فيها نقابة الأشراف في النجف وكربلاء والحلة، أو تكتفي بالمشهدين العلوي والحسيني، وكان للنقيب قطب الدين بن الحسين بن الأقساسي خزانة كتب كبيرة في الكوفة قصدها عدد من أعلام بغداد في القرن السادس الهجري من أمثال المؤرخ الحافظ محمد بن سعيد المعروف بابن الدبيثي (ت٦٣٧هـ) والمؤرخ الكبير عبد الرزاق بن أحمد المعروف بابن الفوطي

---

(١) عبد الله فياض: تاريخ التربية عند الإمامية ص٧٣.

(٢) الطوسي: التبيان ١/١٠٤- ١٢٩- ١٤٠- ٢٢٩، ٢/٩٠، أنظر الحكيم: الشيخ الطوسي ص٢٢٣.

(ت٧٢٣هـ)[١]، وكان كثير من النقباء العلويين فقهاء وأدباء، ولهم مشاركة في جميع الفنون والآداب وينتمي بعضهم إلى بيوت القضاء والحكم والحديث والرواية أو من البيوت المعروفة بالفضل والعلم[٢].

وتشير بعض النصوص إلى أنه كان في مدينتي الكوفة والنجف، نساء عالمات محدثات في القرنين الخامس والسادس الهجريين فقد عرفت بنتا الشيخ الطوسي أبي جعفر محمد بن الحسن (ت٤٦٠هـ) بأنهما من حملة العلم، وربات الإجازة، ومن أهل الدراية والرواية[٣]، وإن ست العشيرة بنت أحمد بن سعيد البصري المهابي كانت فاضلة عالمة محدثة مجازة في الرواية سماعا عن جدها لأمها أبي الغنائم محمد بن علي بن ميمون (ت٥١٠هـ)، ويروي عنها السيد جلال الدين النسابة عبد الحميد بن التقي عبد الله في منزلها بالكوفة في ١٣شوال عام ٥٦٦هـ[٤].

وإذا نظرنا إلى خصائص مدرسة النجف نجدها تلتقي بخصائص مدرسة الكوفة، فنظام الحلقات يعد سمة بارزة في المدرستين، فإن الأستاذ أو الشيخ يعرض فكرة على تلاميذه بأسلوب الاستفهام والتساؤل ثم يذكر كل ما يمكن أن يقال حولها من الآراء المتناقضة المتضاربة، ويبذل الجهد كله لإيراد الاعتراضات على ما يراه ويختاره ثم يفنده واحدا واحداً بالمنطق والحجة القاطعة بحيث لا يدع مجالا للاحتمال أو التشكك بالحق والصواب ويمضي طابع النقاش والجدل في المدارس والجوامع والبيوت، وما زالت الإجازة بالاجتهاد هي الشهادة التي تمنحها جامعة النجف لخريجيها بحيث يصبح الطالب قادرا على استنباط الأحكام من أدلتها، وقد حافظت النجف على استمرارية فتح باب الاجتهاد، فإن الطالب في مرحلة الدراسة الأخيرة المعروفة باسم (الخارج) قد يصل إلى درجة الاجتهاد، بعد أن يجتاز جميع المراحل الدراسية ويتلمس أهل العلم صاحب الأعلمية

---

(١) آل ياسين: الحياة الفكرية في العراق ص٢١٤.

(٢) ن. م ص٢١٥- ص٢١٦.

(٣) الطهراني: مقدمة كتاب (التبيان) للشيخ الطوسي ص(ا ذ).

(٤) الأمين: أعيان الشيعة ٤٢١/٣٣.

بسهولة، وبخاصة الذين يصلون إلى درجة الاجتهاد، وهو الذي له القدرة على الاستنباط كلما أراد من المسائل الفقهية، في جميع أبواب الفقه، وأصبح تقليد الأعلم من موجبات التقليد، ولذا قيل: إذا قلد الأعلم فصار غيره أعلم منه وجب العدول إليه[1].

ومنذ عام ١٣٦٥هـ/١٩٤٦م انبثقت فكرة تأسيس جامعة حديثة في مدينة النجف الأشرف تجمع بين الدراسات الفقهية القديمة والدراسات الجامعية الحديثة، وقد تصدى لهذه الفكرة عدد من المثقفين واستمرت الاجتماعات تعقد هنا وهناك، وكان الإنسان يشعر إذ ذاك إن الأمل أخذ يحل محل اليأس[2]، وقامت بعد ذلك جمعية منتدى النشر بإحياء فكرة الجامعة، فجاءت كلية الفقه عام ١٩٥٨م نواة للجامعة على أن تجمع في مناهجها الدراسات الحوزوية النجفية، والدراسات الجامعية الحديثة، وكانت تستهدف إدخال عنصر التنظيم على المراحل الدراسية الأولى السائدة في حلقات النجف تقصيرا للمدة التي يقضيها الطالب في تدارسه تأكيدا لروح المسؤولية فيه بالإضافة إلى سد حاجته إلى أنواع من المعرفة تقتضيها طبيعة رسالته الدينية والعلمية، وقد حفلت مناهج كلية الفقه جملة من علوم الشريعة الإسلامية، واللغة العربية، والعلوم المساعدة، وفي ١٩٦٣/٥/٢٦م وافق مجلس الوزراء على اعتبار شهادة كلية الفقه شهادة أولية جامعية، وقد تخرجت الدورة الأولى عام ١٩٦١- ١٩٦٢م، وفي عام ١٣٨٨هـ/١٩٦٨م انبثقت فكرة جامعة أهلية باسم (جامعة الكوفة) وقد تأسس مجلس التخطيط العلمي للجامعة، واختيرت بقعة أرض واسعة ضمن حدود بلدية النجف لتبنى عليها كليات الجامعة، ولكن هذه الفكرة لم يكتب لها النجاح، وفي عام ١٩٧٤م عادت من جديد فكرة الجامعة، وقد تبنت وزارة التعليم العالي والبحث العلمي هذه الفكرة، فصدر قرار بإنشاء كليه الزراعة كنواة لهذه الجامعة، ولكن القرار لم يصل إلى حيز التنفيذ، فألغيت الكلية المذكورة بعد ذلك، وكان وجود كلية الفقه

---

(١) الفقيه: جامعة النجف ص١٣٩.

(٢) المخزومي: (النجف والرأي العام) مجلة البيان، العدد الأول، السنة الأولى ١٩٦٤م.

في النجف وكلية الطب في الكوفة، وقد ألحقتا بالجامعة المستنصرية في عام ١٩٧٧-١٩٧٨م يشكلان نواة الجامعة المقترحة، وقد تحقق هذا بقرار مجلس قيادة الثورة المرقم ٩٥١والذي نص عليه تأسيس أربع جامعات جديدة في العراق، وكانت جامعة الكوفة واحدة منها، وقد ضمت الجامعة كلية الفقه في النجف وكلية الطب في الكوفة، وكلية الفنون الجميلة في الحلة، ولكن بعد أحداث النجف عام ١٩٩١م تقرر إلغاء جامعة الكوفة واستحداث جامعة بابل ولم يمض على هذا الإلغاء سوى أربعة شهور حتى عادت جامعة الكوفة من جديد ولكن بانفصال كلية الفنون الجميلة عنها و إلحاقها بجامعة بابل وإلغاء كلية الفقه وإلحاقها بكلية العلوم الإسلامية بجامعة بغداد وتضم جامعة الكوفة في عام ٢٠٠٠م الكليات الآتية:

١- كلية الآداب.

٢- كلية القائد للتربية للبنات (وعند سقوط النظام عام ٢٠٠٣م سميت الكلية باسم (التربية للبنات).

٣- كلية الطب.

٤- كلية الإدارة والاقتصاد.

٥- كلية الهندسة.

٦- كلية العلوم.

٧- كلية الزراعة.

٨- كلية الصيدلة.

ولما انيطت لي مهام رئاسة جامعة الكوفة منذ عام ٢٠٠٣م، أضفت إلى جامعة الكوفة الكليات الآتية:

١- كلية الفقه.

٢- كلية القانون.

٣- كلية طب الأسنان.

٤- كلية التمريض.

وقدمت مقترحاً إلى وزارة التعليم العالي والبحث العلمي بفتح كلية التربية الرياضية وكان مشروع (جامعة النجف الاشرف للفكر الإسلامي) قد اخذ مجراه في الوزارة، واعددنا خطة علمية للكليات التي تقع ضمن جامعة النجف المقترحة وفي جامعة الكوفة مركزان علميان هما:

١- مركز دراسات الكوفة.

٢- مركز أبحاث السرطان.

الطب في الكوفة
بين موروث الحيرة وأصالة الفكر الإسلامي

برز لفظ الحكيم في التراث العربي والإسلامي للدلالة على طبيب الأبدان ولفظ الكحال للدلالة على طبيب العيون، وورد لفظ العطار على الصيدلي، إضافة إلى وجود متخصصين لأمراض الفم والأسنان، والعظام والفقرات وغيرها، فكان الطبيب والمجبر والحجام والمفصد يؤدون دورهم الطبي في المدن والقصبات، وكانت مدينة الحيرة في عهدها الجاهلي حاضرة فكرية، وعلمية، فضلاً عن كونها عاصمة سياسية لدولة المناذرة اللخميين، وقد اعد ملك الحيرة النعمان بن المنذر قصر الخورنق ليكون مصحاً، وقد جاء في القول المشهور: لبيتة ليلة بالحيرة انفع من تناول الاشربة[1]، وقد نزل في منطقة ظهر الحيرة، وهي الأرض المرتفعة من أرض الحيرة، ويقصد بها مدينة النجف الاشرف في الوقت الحاضر، ملوك الحيرة وملوك الدولة الساسانية، وخلفاء بني العباس لطيب هوائها، وصفاء جوهرها، وصحة تربتها[2].

وقد أشار الشاعر إسحاق بن إبراهيم الموصلي إلى هذا الجانب الطبيعي من مدينة الحيرة، في قصيدته الفائية منها[3]:

ما أن رأى الناس في سهل وفي جبل ... أصفى هواء ولا اعذى من النجف
كأن تربته مسك يفوح به ... أو عنبر دافه العطار في صدف

وكانت منطقة خد العذراء من ظهر الحيرة تكسى في الربيع بالخزامى والاقحوان والشيح والقيصوم والشقائق[4] وما زالت هذه النباتات تستخدم حتى اليوم لعلاج بعض الأمراض ولما انتشر مرض الطاعون في مدينة الكوفة خلال

---

(1) الأصفهاني: تاريخ سني ملوك الأرض ص٩٧.
(2) المسعودي: مروج الذهب ١/٢٩٧.
(3) أبو الفرج الأصفهاني: الأغاني ٩/٢٨٥.
(4) ابن شاكر الكتبي: فوات الوفيات ١/١٦٩.

العصر الأموي، هرب كثير من الناس إلى الصحراء ونزلوا أرض النجف، فراراً من المرض فكتب شريح القاضي إلى الفارين قائلاً: أما بعد فان الفرار لن يبعد أجلاً ولا يكثر رزقا، وان المقام لن يقرب أجلاً، ولا يقلل رزقاً، وان من بالنجف من ذي قدرة لقريب[1]، وفي نص يشير إلى أن شريح القاضي نفسه قد التحق بالفارين بعد تفاقم خطر الوباء في مدينة الكوفة، ولم تشر المصادر إلى دور أطباء المدينة في مقاومة هذا الوباء.

وكانت مدينة الحيرة في عصرها الجاهلي، وعصرها القريب من ظهور الإسلام قد افتخرت بطبيبها إسحاق الحيري، وابنه حنين الذي أولع بصناعة الطب[2] وكانت بين مدينتي الحيرة، وجند يسابور صلات علمية وفكرية في مختلف العلوم، وان لأسرة العباديين مساهمة في تعزيز هذه الصلات فقد تتلمذ حنين بن إسحاق على يوحنا بن ماسويه، احد مشاهير الأطباء في جند يسابور، وقد حافظت أسرة العباديين على صناعة الطب ومنهم إسحاق وداود، حفيدي حنين بن إسحاق وحبيش بن الحسن الاعسم، ابن أخت حنين وتلاميذهم، وكان حنين وبعض أفراد أسرته يجيدون لغات عديدة كالعربية والسريانية واليونانية والفارسية، كما أضاف بعضهم علوما في طب العيون الذي يسمى طب الكحالة فألف حنين بن إسحاق كتاب العشر مقالات في العين وقد نشرها طبيب العيون المستشرق الألماني ماكس مايروهوف في القاهرة عام ١٩٢٨م، وله كتاب العين على طريقة المسالة والجواب، وقد أضاف حنين إلى علومه الطبية، علوماً في الصيدلة، وكتب في تركيب الأدوية وأجناسها، والأشربة والأدوية المسهلة وألف في الأغذية وطب الأسنان والأمراض الجنسية وقام بترجمة كتب جالينوس وكتب ابقراط وكتب أفلاطون وقد استقى ولده هذه العلوم منه.

---

(١) الجاحظ: البيان والتبيين ٢/٢٠٣.

(٢) السامرائي: مختصر تاريخ الطب العربي ١/٢٦١.

وقال عنه المؤرخ ابن خلكان: انه أوحد عصره في علم الطب، وكان يلحق بابيه في معرفته باللغات وفصاحته فيها[1] وقد أشار ابن النديم إلى داود بن حنين الحيري ومكانته في الطب[2] ويقول ابن جلجل: إن داود العبادي لم ينتشر صيته كأبيه وأخيه[3] وأشار الرازي إلى حكيم بن حنين وموقعه في طب العيون[4] وكان الطبيب حبيش بن الحسن الاعسم الدمشقي، قد عاش بين أسرة العباديين في الحيرة وفي بيت خاله حنين بن إسحاق العبادي وشارك خاله في الترجمة وأصبح من مساعديه[5] وعند تمصير مدينة الكوفة عام ١٧هـ/٦٣٣م، كانت الحركة العلمية تسايرها فقد كان كثير من الصحابة الذين شاركوا في الفتوحات علماء وفقهاء ومفسرين، وقد التحق بهم علماء الحيرة، فقد أشارت المصادر إلى الطبيب أثير السكوني، الذي كان في مقدمة الأطباء في مدينة الكوفة[6] فقد كان له كرسي في خندق الكوفة يجلس عليه لاستقبال المرضى، ولما أقدم عبد الرحمن بن ملجم المرادي على اغتيال الإمام علي عليه السلام، وقد أصاب سيفه رأس الإمام، استدعي أثير بن عمرو السكوني لمعالجته مع جماعة من أطباء الكوفة، ولكن كان السكوني أبصر الأطباء وأحذقهم وبعد أن وقف على جرح الإمام قال: (أأتوني برئة شاة حارة فتتبع منها عرقاً فاستخرجه وادخله في جرح الإمام ثم نفخ العرق فإذا عليه بياض من الدماغ وكانت ضربة ابن ملجم قد وصلت إلى أم رأس الإمام فقال: يا أمير المؤمنين اعهد عهدك فان عدو الله قد وصلت ضربته إلى أم راسك)[7] وتعطي هذه الحالة الطبية السريرية مهارة أثير السكوني في معالجة الحالات الخطرة،

---

(١) ابن خلكان: وفيات الأعيان ١/١٨٥.

(٢) ابن النديم: الفهرست ص٤٢٩.

(٣) ابن جلجل: طبقات الأطباء والحكماء ص٧١.

(٤) الرازي: الحاوي في الطب ٢٠/٢٠٧.

(٥) السامرائي: مختصر تاريخ الطب العربي ١/٤٦٢.

(٦) ياقوت: معجم البلدان ١/٩٣.

(٧) البكري: معجم ما استعجم ١/١٠٩ أبو الفرج: مقاتل الطالبيين ص٣٨.

وصاحبه مهارة أثير السكوني في معالجة الحالات الخطرة، ويقول النويري: إن أثير السكوني كان قبل الإسلام طبيب كسرى وصاحبه[1] ومن خلال تراجم أطباء الكوفة في العصر الأموي (٤١-١٣٢هـ) يتبين لنا اتساع الدائرة الطبية فيها فقد ذكر المؤرخ غرس النعمة الصابي في أحداث عام ٥٣هـ، إن والي الكوفة زياد بن أبيه، قد أصيب بأصبعه، فتجمع حوله مائة وخمسون طبيباً لعلاجه[2] ويعطينا القفطي في كتابه تاريخ الحكماء عدداً وافراً من أطباء الكوفة، وأشار إلى لقب شيخ الطب الذي أطلقه على بعض الأطباء الحاذقين الماهرين وقد وضع الطبيب موسى بن إسرائيل في درجة دنيا بقوله: كان قليل العلم بالطب إذا قيس إلى ما كان في دهره من مشايخ المتطببين[3] وأشار ابن قتيبة إلى الأسر الطبية في الكوفة التي توارث أبناؤها هذه المهنة كأسرة آل ابجر التي تنتمي إلى بني فراس من كنانة[4] وقد برز فيها الطبيب عبد الملك بن سعيد الهمداني الكناني الكوفي، حيث كان طبيباً وفيلسوفاً وكيمياوياً وقد تتلمذ عليه الراهب الروماني مورينوس وتعلم منه صناعة الكيمياء[5] وقد أشار ابن جلجل إلى شخصية الطبيب ابن ابجر بأنه كان من نصارى الكوفة وقد اسلم على يد عمر بن عبد العزيز يوم كان أميرا ولما تولى الخلافة (٩٩-١٠١هـ) عينه طبيباً في مدينة أنطاكيا ببلاد الشام[6] وقد اشرف الطبيب ابن مطر (الحجاج بن يوسف)، على الوالي الأموي الحجاج الذي كان يستعين بعدد من أطباء الكوفة للطبيب ابن ابجر.

وكان بعض الأطباء يجمع بين الطب والفلسفة والكيمياء وقد اشتهر في ذلك يعقوب بن إسحاق الكندي وأصبح لفظ الحكيم شائعاً في الأوساط العلمية وان

---

(١) النويري: نهاية الارب في فنون العرب ٢١٤/٢٠.

(٢) الصابي: الهفوات النادرة ص٨٢-٨٣.

(٣) القفطي: تاريخ الحكماء ص٣١٦.

(٤) ابن قتيبة: المعارف ص٢٣.

(٥) ابن جلجل: طبقات الأطباء والحكماء ص٦٠.

(٦) ن. م.

كان معروفاً عند الفرس واليونان والرومان والمصريين والصينيين والهنود وغيرهم وقد استفاد العلماء من الترجمة في نقل العلوم إلى الأوساط الإسلامية ولاسيما من اللغة السريانية.

وقد شجع خلفاء الدولة العباسية على هذه الحركة بدءاً من أبي جعفر المنصور، واتسعت في عهد المأمون فقد ترجم جورجيوس بن جبرئيل البختشيوعي للمنصور العباسي كتب الطب والفلسفة، وأصبحت مدينة بغداد ملتقى العلماء، وقد احتضن بيت الحكمة عدداً من أطباء الكوفة وغيرها من الأمصار الإسلامية، وقد احتل أبو موسى جابر بن حيان الازدي الكوفي (١٢٠- ١٩٨هـ) موقعاً متميزاً في علمي الطب والكيمياء وقد كان والده عطاراً أي صيدلانيا بمدينة الكوفة، وكان ابن حيان قد تتلمذ على يد الإمام جعفر بن محمد الصادق عليه السلام (ت١٤٨هـ) عند مكوث الإمام في الكوفة برهة من الزمن وبخاصة في عهد أبي جعفر المنصور ويقول الدكتور محمد الهاشمي (إن صلة جابر بجعفر كانت السبب في تقديمه في بلاط هارون الرشيد بحفاوة زائدة وكانت صلته مع البرامكة قوية أيضاً وخاصة مع يحيى بن خالد الذي نجد ذكره في رسائله أيضاً ويحدثنا الجلدكي ذلك الكيميائي الذي عاش في القرن السابع الهجري/ الثالث عشر الميلادي بان جابراً اتصل بهارون الرشيد نفسه بواسطة جعفر البرمكي وقد ألف له كتاباً يدعى البلسم[1] ولما حصلت النكبة للبرامكة في عهد الرشيد غادر جابر بن حيان مدينة بغداد وعاد إلى الكوفة وان الباحث إذا وقف على مؤلفات جابر بن حيان التي أوردها ابن النديم في كتاب (الفهرست) يتضح له حجم موقعه العلمي فكان قد اكتشف الحوامض القوية، وترشيح السوائل وتصفيتها والتقطير بالطرق الثلاث (التصعيد والتكثيف والترشيح) وطريقة تحميض الذهب والفضة[2] ومن المحتمل إن مكوث جابر بن حيان في بغداد واتصاله بالخلفاء والحكام جعله طبيباً خاصاً أو مقربا لهم وإذا وقفنا بدقة على أقوال الإمام الصادق عليه السلام في الطب ووصاياه في المأكل والمشرب نجد أثرها في جابر بن حيان فيقول: (إن هذه

(١) الهاشمي: الإمام الصادق ملهم الكيمياء ص٣٣-٣٤.

(٢) الشكري: لمحات بمآثر العراق العلمية في الكيمياء ص١٨.

القلوب تعمل كما تعمل الأبدان) وان سلامة الروح وصحتها تدل ولا شك على سلامة الجسم كما ورد في القول المأثور (العقل السليم في الجسم السليم) وقد أوجز الإمام الصادق معارفه الطبية وصلاتها بالأمراض والأطعمة بقوله: (لو اقتصد الناس في المطعم لاستقامت أبدانهم) وأشار إلى عدوى مرض الجذام بقوله: (لا يكلم الرجل مجذوما إلا إن يكون بينهما قدر ذراع وفي نص آخر (قدر رمح)[1] وكان عليه السلام يصف المرض ومخاطره ويعطي الدواء الناجح وإذا تحدث عن الأطعمة والاشربة فانه يعطي خواصها ومنافعها وأضرارها فانه أشار إلى نبات الثوم بقوله: (تداووا بالثوم ولكن لا تخرجوا إلى المسجد)[2] وقد ربط الدكتور محمد الهاشمي بين علوم الإمام الصادق، وعلوم جابر بن حيان بقوله: (لدى مطالعتنا للتراث الضخم الذي خلفه لنا جابر بن حيان عن الكيمياء نرى اعترافا صريحا بان المعلم لهذه الصنعة هو الإمام جعفر الصادق عليه السلام، وقد اطلع على هذه الحقيقة كثير من المستَشرقين الغربيين)[3] وهذا ما جعل ابن النديم يقول: إن الرئاسة انتهت إلى جابر بن حيان في عصره، وكان أكثر مقامه بالكوفة، وبها كان يدير الاكسير لصحة هوائها، وله فهرس كبير يحتوي على جميع ما ألف في الصنعة وغيرها[4]، وأشار إلى هذا المعنى (برتيلو) بقوله: إن جميع الباحثين العرب في هذا العلم نقلوا عن جابر واعتمدوا على تاليفه وبحوثه[5] وقد عده (ليكرك) بأنه اكبر العلماء في القرون الوسطى وأعظم علماء عصره، ويقول (اسارطون): كان جابر بن حيان شخصية فذة ومن أعظم الذين برزوا في ميدان العلم في القرون الوسطى وقد اهتم علماء الغرب بمؤلفات جابر من أمثال: (هوليارد، بارتخبين، استابلتن) وغيرهم، ووقفوا على نظريته (علم الموازين) إذ انه جعل لكل من الطبائع ميزانا، ولكل جسد من الأجساد موازين خاصة بطبائعه وكان أول من استخرج حامض الكبريتيك بتقطيره من الشب وسماه (زيت الزاج)

---

(١) الخليلي: طب الإمام الصادق ص٣١.

(٢) المصدر نفسه ص٥٦.

(٣) الهاشمي: الإمام الصادق ملهم الكيمياء ص٩٣.

(٤) ابن النديم: الفهرست ص٤٢٠.

(٥) قدري حافظ طوقان: العلوم عند العرب ص٩٧.

واستحضر حامض النتريك، وكشف الصودا الكاوية واستحضر ماء الذهب، وادخل طريقة فصل الذهب عن الفضة بالحمل بواسطة الحامض[1] وبحث جابر بن حيان في السموم، وألف كتابا سماه (السموم ودفع مضارها) فأتى فيه على أسرار وأقوال الفلاسفة اليونان في السموم وأفعالها وضمه آراء جديدة وتقسيمات لأنواع السموم وأدويتها وتأثيرها في أجسام الحيوانات مما لم يصل غيره إليه[2] ويتبين من فصول الكتاب الستة إن جابرا قسم السموم إلى حيوانية ونباتية وحجرية، وذكر من السموم الحيوانية مرارة الأفعى، ومرارة النمر، ولسان السلحفاة وذنب الإبل والأرنب البحري والضفدع والعقرب ومن السموم النباتية، قرون السنبل والأفيون والشيلم والحنظل والشوكران ومن السموم الحجرية الزئبق والزرنيج والزاج والطلق وبرادة الحديد وبرادة الذهب وأشارت المصادر إلى أن جابر بن حيان ألف كتابا في الكيمياء يقع في ألف ورقة تضمنت رسائل الإمام الصادق عليه السلام، والتي بلغت خمسمائة رسالة في هذا العلم، وكانت هذه الرسائل مصدرا خصباً لعلم الكيمياء استفاد منها العلماء فائدة كبيرة وألف جمع من تلاميذه أربعمائة مصنف - بفتح النون - لأربعمائة مصنف بكسر النون[3] ولما توفى جابر بن حيان عام ١٩٨هـ/٨١١ م وجد تحت رأسه كتاب (الرحمة) وهو من الكتب التي أجمعت المصادر على أنها له[4] وقد تصدى لدراسة مؤلفات جابر بن حيان وآرائه كل من (هولميارد، وروسكا، وكراوس) وتحتاج دراسات هؤلاء الأعلام وغيرهم من المستشرقين لتبيان ايجابياتها وسلبياتها.

ونقف عند نابغة الكوفة في عصره فيلسوف العرب والإسلام أبي يوسف يعقوب بن إسحاق الكندي (١٨٥-٢٥٢)هـ الذي قال عنه ابن النديم (لم يكن في

---

(١) قدري حافظ طوقان: العلوم عند العرب ص١٠٠.

(٢) المصدر نفسه ص١٠١، ينظر حسن الحكيم: لمحات من تاريخ الطب وعلوم الحياة في الكوفة ص٨.

(٣) المفيد: الإرشاد ص٢٧١، المحقق الحلي: المعتبر ص٤.

(٤) الطائي: أعلام العرب في الكيمياء ص٤٥.

الإسلام فيلسوف غيره)[1] فقد احتلت مؤلفاته جناحا في بيت الحكمة في بغداد (الخزانة الكندية) ويقول الدكتور الطائي: إن الكندي أول عالم وفيلسوف مسلم طرق أبواب المعرفة كلها طبيعية وإنسانية[2] وكان قد رفض بعض الآراء السائدة في عصره، وألف رسالة سماها (بطلان دعوى المدعين صنعة الذهب والفضة وخدعهم) وكان لا يؤمن بأثر الكواكب في أحوال الناس، ولا يقول بما ذهب إليه المنجمون من التنبؤات القائمة على حركات الإجرام[3] وبذلك يعد الكندي في علومه وآرائه نقطة تحول في تاريخ العرب والمسلمين العلمي والفلسفي[4] وان قائمة مؤلفاته المتنوعة تؤكد عبقريته وهي:

٢٢	كتابا في الفلسفة
١٩	كتابا في النجوم
١٦	كتابا في الفلك
١٧	كتابا في الجدل
١١	كتابا في الحساب
٢٣	كتابا في الهندسة
٢٢	كتابا في الطب
١٢	كتابا في الطبيعيات
٨	كتب في الكريات
٧	كتب في الموسيقى
٥	كتب في مقدمة المعرفة
٩	كتب في المنطق
١٠	كتب في الاحكاميات

---

(١) ابن النديم: الفهرست ص٢٨٦.

(٢) الطائي: أعلام العرب في الكيمياء ص٦٤.

(٣) قدري حافظ طوقان: العلوم عند العرب ص١١٣.

(٤) الحكيم: لمحات من تاريخ الطب وعلوم الحياة في الكوفة ص١٠.

١٤ كتابا في الإحداثيات

٨ كتب في الابعاديات

وقد طبق الفيلسوف الكندي الحروف والأعداد على الطب لاسيما في نظرياته المتعلقة بالأدوية، كما بنى فعل الموسيقى على التناسب الهندسي والأمر في هذه الأدوية أمر تناسب في الكيفيات المحسوسة وهي الحار والبارد والرطب واليابس(١) قد تناول الكندي في مؤلفات (الطب الروحاني والطب البقراطي) كما تناول الأغذية والأدوية والعلل والأمراض والسموم ومن كتبه المشهورة كيفية إسهال الأدوية وكتاب في علة نفث الدم وكتاب اشفية السموم وكتاب علة الجذام وكتاب عضة الكلب الكليب(٢) وله كتب في وجع المعدة ومرض النقرس والأعراض الحادثة من البلغم وموت الفجاءة ومرض الطحال وتناول الكندي الضوء وأمراض العين فيقول: إن العين تبعث بحزمها الضوئية على هيأة مخاريط تتسع كلمات بعدت عن العين وتحيط بالأجسام التي تتعرض لهذه الحزم الضوئية(٣) وكان للحسن بن الهيثم آراء جديدة في البصريات قد صحح فيها بعض آراء الكندي، وانه قد ترك آثارا خالدات في علمي الطبيعة والرياضيات، ولولاه لما كان علم البصريات على ما هو عليه الآن(٤) وان ما ذكرناه عن الطب في الكوفة يعطينا صورة عن الإبداع في الفكر الإسلامي حتى العصر العباسي.

---

(١) قدري حافظ طوقان: العلوم عند العرب ص١١٣.

(٢) ابن أبي اصيبعة: عيون الأنباء في طبقات الأطباء ص٢٩١.

(٣) الطائي: أعلام العرب في الكيمياء ص٧٧.

(٤) قدري حافظ طوقان: العلوم عند العرب ص١٦٧.

علماء الكوفة
في المدرسة المستنصرية في بغداد

أولاً: علماء الكوفة في بغداد:

نشطت الحركة العلمية في مدينة الكوفة منذ تأسيسها عام ١٧هـ فقد نزلها الصحابة المجاهدون، فكانوا سبعين بدرياً و ثلاثمائة من أصحاب الشجرة، وفي مقدمتهم عمار بن ياسر وعبد الله بن مسعود وورد في رسالة عمر بن خطاب لأهل الكوفة:

هم النجباء من أهل بدر خذوا عنهما واقتدوا بهما، وقد آثرتكم بعبد الله بن مسعود على نفسي[١]، وقد التف الكوفيون حول عبد الله بن مسعود وقد وصفوا بأنهم ((سرج الكوفة))[٢] وقال الشعبي عامر بن شراحيل: ما رأيت أحدا كان أعظم حلما ولا أكثر علما ولا أكف عن الدماء من أصحاب عبد الله بن مسعود، إلا ما كان من أصحاب رسول الله صلى الله عليه واله وسلم[٣]، وكان التفسير و الفقه الدعامتان الأساسيتان لمدرسة الكوفة منذ تأسيسها، وقد أخذت هذه المدرسة العلمية بالتوسع منذ أن وطأ أرضها الإمام علي عليه السلام عام ٣٦هـ، وجعلها عاصمة للمسلمين، وقد اتجه إليها المسلمون من كل حدب وصوب، وأصبح مسجد الكوفة يعج بالقراء والمفسرين و الفقهاء وكان لهم دوي كدوي النحل، وقد ألقى الإمام علي عليه السلام خطبه في مسجد الكوفة، وأصدر فتاواه في معضلات المشاكل، وحكم بالقضاء العادل في اخطر الأحداث، وكل هذا في مسجد الكوفة، وأخذت المدرسة الكوفية النحوية تبرز منذ أوائل القرن الثاني

---

(١) ابن سعد: الطبقات الكبرى ٩٣/٦، ابن الفقيه: مختصر كتاب البلدان ص١٥٧.

(٢) ابن سعد: الطبقات ٨٨/٦، ابن الفقيه: مختصر كتاب البلدان ص١٥٥، النووي: تهذيب الأسماء و اللغات ٢٠٩/١.

(٣) ابن سعد: الطبقات ٩١/٦.

للهجرة، وهي تزاحم مدرسة البصرة في علوم اللغة والأدب. وتناظرها في العلوم الأخرى، وعند تأسيس مدينة بغداد ١٤٥هـ على يد أبي جعفر المنصور استقطبت أعلام المصرين (البصرة و الكوفة) فيقول أبو بكر بن عياش الكوفي: ((الإسلام في بغداد وأنها لصياد تصيد الرجال))[١]، وأصبحت حاضرة الإسلام وملتقى الأعلام، حتى أنها فرضت نفسها على مدينتي البصرة والكوفة[٢]، وقام بعض أعلام الكوفة بدور المؤدبين لأبناء الخلفاء العباسيين، فقد كان أبو العباس المفضل بن محمد الضبي الكوفي، المتوفى عام ١٧٨هـ مؤدبا للمهدي[٣]، وكان شرقي بن القطامي مؤدبا لأبناء المنصور[٤]، وكان الكسائي علي بن حمزة الكوفي المتوفى عام ١٨٩هـ مؤدبا للرشيد. ومن ثم أقامه الرشيد مؤدبا لولده محمد الأمين[٥]، وقصد مدينة بغداد جمع من فقهاء الكوفة كالإمام أبي حنيفة النعمان بن ثابت وأبي يوسف القاضي، والحسن بن زياد اللؤلؤي، ومحمد بن الحسن الشيباني، وأبي بكر بن أبي شيبة و غيرهم، وقد تولى بعض فقهاء الكوفة التدريس بمدينة بغداد. وقد حظيت بغداد بالنحوي الكوفي الكبير يحيى بن زياد الفراء المتوفى عام ٢٠٧هـ، والشاعر الكوفي حماد عجرد المتوفى عام ١٦١هـ، والإخباري الهيثم بن عدي الكوفي المتوفى عام ٢٠٧هـ والشاعر المعروف أبو العتاهية المتوفى عام ٢١١هـ وقائمة أعلام الكوفة في بغداد طويلة، لأنهم استغرقوا العصر العباسي بأكمله. وأشار الخطيب البغدادي في كتابه ((تأريخ بغداد)) إلى عدد من الكوفيين الذين ساهموا في الحركة العلمية في بغداد وكانت رسالة السيد عوض عبد الكريم المقدمة إلى كلية الآداب بجامعة بغداد و الموسومة ((إسهامات علماء الكوفة في

(١) الخطيب البغدادي: تأريخ بغداد ٤٧/١.

(٢) السيوطي: المزهر ٤١٤/٢.

(٣) ابن النديم: الفهرست ص٧٥.

(٤) ابن قتيبة: المعارف ص٢٣٤.

(٥) الخطيب: تأريخ بغداد ١٠/ ٤٠٣- ٤٠٦، ابن الأنصاري: نزهة الالباء ص٦١، ابن خلكان: وفيات الأعيان ١٨٤/٦.

الحركة الفكرية في بغداد من ١٤٩- ٣٣٤هـ/ ٧٦٦- ٩٤٥)) صورة واضحة عن علماء الكوفة في بغداد، وقد استمرت هذه المساهمة بعد التأريخ الذي حددته الرسالة المذكورة إلى سقوط بغداد عام ٦٥٦هـ[١]، وسوف أتناول جانبا من ذلك وهو علماء الكوفة في المدرسة المستنصرية ومدى إسهاماتهم في الحركة الفكرية و العلمية في بغداد في القرنين السابع و الثامن هجري.

ثانياً: علماء الكوفة في المدرسة المستنصرية:

أسس الخليفة العباسي المستنصر بالله (٦٢٣ - ٦٤٠هـ) المدرسة المستنصرية بمدينة بغداد عام ٦٢٥هـ، وتكاملت في عام ٦٣١هـ، وقد روعي في بنائها بأن تكون مشتملاتها كإطار يحيط بها، فالحجر والغرف والقاعات والاواوين والأروقة وغير ذلك من المباني تحف بها من جهاتها الأربع، ويتوسطها صحن طويل فسيح، وكانت الرقعة المغطاة بالبناء تستوعب كل مستلزمات المدرسة كحجر الدرس والنوم والطعام وخزانة الكتب والبيمارستان (المستشفى) والصيدلية والساعة والمخازن والحمام والمطبخ وغيرها، وكانت قاعات الدرس والاواوين والمسجد على ارتفاع بارتفاع الطابقين الذين تتألف منهما المدرسة، وأصبحت المستنصرية مقصد العلماء والفقهاء والفلاسفة والأدباء وغيرهم، وقد استقطبت رجال العلم و الفكر، وكان لمدينة الكوفة مساحة من علماء هذه المدرسة، وقد أشارت المصادر إلى مواقعهم العلمية فيها، وقد وقفنا على بعضهم، وهم وفق تواريخ وفياتهم:

أولاً: ابن المحيا العباسي الكوفي، المتوفى عام ٧٠٣هـ، كان الشيخ محيي الدين أبو الفضل محمد بن شرف الدين يحيى بن هبة الله بن المحيا العباسي الكوفي البغدادي، مدرساً في المدرسة المستنصرية، وخطيباً ببغداد، وشيخاً لرباط الشونيزية[٢]، وكان ينتمي لبيت علم و جلالة وفقه. وقد وقع أسيراً بيد المغول عند احتلالهم مدينة بغداد عام ٦٥٦هـ، وكان عمره يومئذ تسع سنين، وقد أنقذه من

---

(١) كنت عضواً في مناقشة هذه الرسالة في كلية الآداب بجامعة بغداد عام ١٤٢١هـ/٢٠٠٠م

(٢) ناجي معروف: تاريخ علماء المستنصرية ١/٩٣.

الأسر شمس الدين أبو المناقب الهاشمي الكوفي، وأصبح فيما بعد من تلاميذه في الفقه والوعظ[1].

ثانياً: ابن الصباغ الاسدي الكوفي، المتوفى عام ٧٢٧هـ، ولد أبو التقى محيي الدين صالح بن عبد الله بن جعفر بن علي بن صالح الاسدي في مدينة الكوفة في الرابع من ربيع الأول عام ٦٣٩هـ، وأصبح ((عالم الكوفة)) و((نادرة العراق))[2] ويقول السيوطي: انه فاضل الكوفة في عصره[3]، وجمال بلدته و أمامها في أنواع العلوم[4]، وقد أجازه الصاغاني والموفق الكوشي وروى عنهما، واخذ عنه الفصيح فخر الدين، وأجاز تقي الدين بن رافع[5]، وقد عرض عليه التدريس في المدرسة المستنصرية فامتنع لأنه أراد الانصراف إلى التأليف[6]، وقد يكون بسبب الورع والتعفف باعتقاده إن المرتبات التي كانت تدفع للمدرسين تنقص من قيمة العلم و تحط من قدره[7]، كما انه امتنع عن تولي منصب القضاء في المدرسة المستنصرية، وقد أشارت المصادر إلى علمه وزهده وورعه فيقول ابن حجر: كان فريدا في علوم التفسير والفقه والفرائض والأدب[8]، ويقول ابن الفوطي: انه من فضلاء الدهر واعيان علماء العصر[9]، وكان انشغال ابن الصباغ الكوفي بالتدريس ملأ عليه وقته واثر على انصرافه للتأليف، وله كتاب ((الكافية في

---

(1) ابن الفوطي: تلخيص مجمع الآداب ٤٢٢/٥- ابن أبي الوفاء ٤٢٣: الجواهر المضية ١٤٤/٢.

(2) ابن حجر: الدرر الكامنة ٣٠٠/٢.

(3) السيوطي: بغية الوعاة ١٠/٢.

(4) العزاوي: تاريخ الأدب العربي ١٦٧/١، العراق بين احتلالين ٥٠٢/١، مفيد آل ياسين: الحياة الفكرية في العراق ص٢٧٩.

(5) ابن حجر: الدرر الكامنة ٣٥٨/٢.

(6) م. ن.

(7) ناجي معروف: تاريخ علماء المستنصرية ٤٠٩/٢.

(8) ابن حجر: الدرر الكامنة ٢٩٩/٢.

(9) ابن القوطي: تلخيص مجمع الآداب ٥/ ٣٧١.

علم الفرائض))[١]، وكان قد ألقى كتاب ((الكشاف)) دروسا من صدره ثماني مرات مع بحث و تدقيق وإيراد وتسليك[٢].

ثالثاً: ابن الفصيح الكوفي، المتوفى عام ٧٤٥هـ. ولد جلال الدين أبو محمد عبد الله بن احمد بن علي الكوفي الهمداني عام ٧٠٢هـ، وأصبح أديباً ثبتا، وقد درس اللغة العربية في المدرسة المستنصرية، كما انه كان فقيها معروفا، وقد توفى عام ٧٤٥هـ قبيل والده. ويقول ابن العماد: انه طلب الحديث وسمع من الخزرجي وشارك في الفضائل[٣].

رابعاً: جلال الدين الهاشمي الكوفي، المتوفى عام ٧٤٦هـ. ولد جلال الدين أبو هاشم محمد بن محمد بن (حمد بن عبد الله) الكوفي البغدادي الاتراري عام ٦٦٣هـ، وقد سمع من الرشيد بن أبي القاسم و النظام الهروي ((جامع الترمذي))، وقد أجاز له عبد الصمد بن أبي الجيش و الموفق الكوشي وآخرون وقد رتب مسمعا للحديث في المدرسة المستنصرية بعد تقي الدنيا الداقوقي، وقد قيل عنه ((كان اكبر أمناء بغداد[٤]، وقد نعت بالمدرس، ومما يدل على استشاده بالتدريس خارج نطاق التعليم المدرسي[٥].

خامساً: فخر الدين الهمداني الكوفي، المتوفى عام ٧٥٥هـ. ولد فخر الدين أبو طالب احمد بن علي بن احمد الهمداني الكوفي البغدادي. بمدينة الكوفة عام ٦٨٠هـ، ونشأ بها ودرس فيها، وأصبح عالما نحويا، واشتهر بابن الفصيح، ويقول المراغي: انه الجامع بين المعقول والمنقول[٦]، وقد برع في الفقه وله مشاركة في العلوم من حكمة وفلسفة وأدب وله نظم ومؤلفات، فقد قرأ القراءات السبع

---

(١) مفيد آل ياسين: الحياة الفكرية في العراق ٢٧٩.

(٢) ابن حجر: الدرر الكامنة ٢/٢٩٩.

(٣) ابن العماد: شذرات الذهب ٦/١٤٣.

(٤) ابن حجر: الدرر الكامنة ٤/٢٨١.

(٥) مفيد آل ياسين: الحياة الفكرية في العراق ص٢٤٠.

(٦) المراغي: الفتح المبين ٢/١٦٤.

ونظم فيها قصيدة، وأجاز روايتها وهي على وزن الشاطبية بغير رموز و سماها ((حل رموز الشاطبية)) ونظم ((السراجية)) في الفرائض و((مستحسن الطرائف في نظم كنز الدقائق)) و((منار الأنوار)) في أصول الفقه، و((النافع)) في الفروع[1]، وأصبح فخر الدين الكوفي ((شيخ النحاة ببغداد))[2]، وكان قد سمع بمدينة بغداد من حسام الدين الغنافي صاحب ((النهاية)) و المدرس في مدرسة أبي حنيفة، ومن ابن عبد الحق البغدادي، المتوفى عام ٧٣٩، وتفقه عليه عبد الوهاب بن احمد بن وهبان الدمشقي[3]، ومن المفيد القول إن ولده جلال الدين المعروف بابن الفصيح، النابغة المعروف قد توفى عام ٧٤٥هـ، وأما فخر الدين المعروف أيضاً بابن الفصيح قد توفى بعده بعشر سنين في مدينة دمشق، حيث انه قصدها عام ٧٤١هـ.

سادساً: محمد بن احمد الكوفي: كان محمد بن احمد الكوفي البغدادي الهاشمي أديباً وشاعراً وله مراث في الخليفة المستعصم وال بيته وقد انشدها في مجالسه بالمستنصرية، وقد ورثها ولده جلال الدين أبو هاشم[4]، ولم تشر المصادر إلى تاريخ وفاته. ومن المحتمل إن علماء الكوفة قد واكبوا الحركة العلمية في المدرسة المستنصرية إلى حين اختفاء معالمها وإخماد جذوتها العلمية في القرن العاشر الهجري/ السادس عشر الميلادي.

---

(1) المراغي: الفتح المبين ١٦٤/٢، ناجي معروف: تاريخ علماء المستنصرية ٢٩٧/٢.

(2) ناجي معروف: تاريخ علماء المستنصرية ٢٩٨/٢.

(3) المراغي: الفتح المبين ١٦٤/٢.

(4) ابن حجر: الدرر الكامنة ٢٨١/٤.

مدينة الكوفة بين التواريخ المحلية والحركة الإخبارية

خصصت التواريخ المحلية للمدن والأمصار الإسلامية، فهي عادة تتناول مقدمة طبوغرافية للمدينة، وابرز رجالها في العلوم والفنون والآداب، وقد وصلتنا بعض هذه التواريخ المحلية، وأصبح بعضها في عداد الكتب المفقودة، وهي على النحو الآتي:

١- خطط الكوفة وخطط البصرة للهيثم بن عدي (ت ٢٠٧هـ).

٢- تاريخ مكة للازرقي (ت٢٢٣هـ).

٣- تاريخ مصر وفتوح المغرب لعبد الرحمن بن عبد الله بن عبد الحكم (ت٢٥٧هـ).

٤- فضائل بغداد وأخبارها لأحمد بن محمد السرخسي (ت ٢٨٦هـ).

٥- تاريخ واسط لأبي الحسن اسلم بن سهل (بحشل الواسطي) ت٢٨٨هـ.

٦- تاريخ الموصل لأبي زكريا يزيد بن محمد بن اياس (ت٣٣٤هـ).

وتوالت المؤلفات في خطط المدن وتاريخها بعد القرن الثالث الهجري، الموافق للقرن التاسع الميلادي، وبرز من أعلام الكوفة في علم الرجال: الحسن بن علي بن فضال التيمي الكوفي (ت ٢٢٤هـ) وولده علي بن الحسن[1]. وأشار حاجي خليفة إلى ((تاريخ الكوفة)) لأبي الحسين محمد بن جعفر بن محمد المعروف بابن النجار الكوفي (ت ٤٠٢هـ)[2]. وقد حاول البلدانيون والمؤرخون أبراز دور الكوفة في الحياة العلمية والفكرية والسياسية، وان كانت الاعتبارات الدينية في مقدمة العوامل المساعدة على كتابة التاريخ المحلي، ويقول الدكتور السيد عبد العزيز سالم: ((كان عدد كبير من كتب التاريخ الإسلامي، المحلي صنفت من اجل

(١) الطوسي: الفهرست ص١١٨، شاكر مصطفى: التاريخ العربي والمؤرخون ٢٠٦/١.

(٢) حاجي خليفة: كشف الظنون ٣٠٢/١.

اعتبارات دينية[1]. وقد تكون الاعتبارات القطرية والولاء للمدينة والاعتزاز بتاريخها ورجالها دافعا أساسياً لكتابة التاريخ المحلي، يقول الأستاذ روزنثال ((كان الاهتمام بالتواريخ المحلية في كل الأزمنة تعبيراً أدبيا محببا عن شعور الجماعة... وقد عبرت المجتمعات التي تكون العالم الإسلامي كافة عن الرباط الوثيق الذي يربط الناس بمكان مولدهم، مع إن كثيراً من التواريخ المحلية في الإسلام نشأت من الاعتبارات الدينية والفقهية))[2]. ويمكن اعتبار الكتابة في التاريخ المحلي جاء من ارتباط الاتجاه الديني باتجاه الدنيوي، وهذا ما تؤيده الكتب المحلية التي وصلتنا، إذ أنها تتناول الإدارة والمجتمع والمؤسسات العلمية ورجال العلم والفكر والأدب وغير ذلك. ومن المحتمل إن تخطيط مدينتي البصرة والكوفة في عامي ١٤، ١٧ للهجرة، واحتلالهما موقعا متقدماً في الحياة السياسية والإدارية والعلمية، جعل الاهتمام بهما أكثر من المدن الأخرى. ويقول الأستاذ بروكلمان: إن أبا زيد عمر بن شبة النميري (١٧٣- ٢٦٤هـ) أول من صنف أخبار أهل البصرة[3]. ولكن نجد الهيثم بن عدي (ت ٢٠٧هـ) قد كتب ((خطط البصرة)) و((خطط الكوفة)) وان كلاً منهما تاريخ للمدينة ويحتوي على معلومات طبوغرافية واجتماعية، وقد عرف كتاب خطط البصرة باسم ((فضائل البصرة))[4]. أما المؤرخ بحشل الواسطي، أبو الحسن اسلم بن سهل بن حبيب الرزاز (ت ٢٨٨هـ) فقد جمع تاريخ واسط، وضبط أسماء أهلها ورتب طبقاتها[5]. وقد وصف ياقوت الحموي، بحشل الواسطي بأنه ثقة، لا مزيد عليه في الحفظ والإتقان[6]. ولكن يؤخذ على المؤرخ بحشل اقتضابه للحوادث والرجال،

---

(1) السيد عبد العزيز سالم: التاريخ والمؤرخون العرب ص١٠٤.

(2) روزنثال: علم التاريخ عند المسلمين ص٢٠٦.

(3) بروكلمان: تاريخ الأدب العربي ٢٥/٣.

(4) حاجي خليفة: كشف الظنون ١٢٧٤/٢.

(5) ياقوت: معجم الأدباء ١٢٧/٦.

(6) المصدر نفسه.

ومع هذا فان له منهجية متميزة في الكتابة أشار إليها المستشرق ((روزنثال)) بقوله: ((استعمل كلمة قرن بدل كلمة طبقة التي انتشر استعمالها فيما بعد في هذا المضمار، فأول جيل هم من جاء واسط من صحابة الرسول الذين خدموه ورووا أحاديثه وسمعوا كلامه وقد كتب عن كل مترجم أخباراً قليلة جداً تقتصر عموماً على ذكر الراويه وأحاديثه ومن روى عنه وحديثهم ورواية الحديث المنسوب إلى ذلك الراوي للتعريف بمركز كل شخصية في العلم ودرجة توثيقه))[1]. ولعل المؤرخ الواسطي قد تأثر بأسلوب المحدثين في دراسته لتاريخ واسط. أما المؤرخ الازدي (ت٢٢٣هـ) في كتابه ((تاريخ الموصل)) فانه قد أشار إلى بعض الجوانب الاقتصادية والاجتماعية، فقد وصف حالة المجاعة التي وقعت في الموصل عام ٢٠٧هـ بقوله: ((كان سوق الطعام في ناحية دور أبي وهب بالقرب من سوق الحشيش وكان لا يجترئ احد أن يظهر بنموذج طعام، وإنما يخرج الرجل شيئا من كمه فيبيعه سراً وربما كتمه خوفا من الناس)) وان مثل هذه الأخبار، وان كانت قليلة إلا أنها مادة أساسية لتاريخ مدينة الموصل[2]. ولعل الذي يميز مدينة الكوفة عن غيرها من المدن والأمصار الإسلامية، هو بروز الحركة الإخبارية فيها، وذلك في قبال مدرسة المدينة التي اتجهت إلى دراسة السيرة النبوية والمغازي بحيث طغت عليها دراسة الحديث الشريف على غيره، وكانت الحركة الإخبارية في العراق قد بدأت في القرن الثاني للهجرة، فتصدى الإخباريون إلى جمع الأخبار وضم بعضها إلى بعض، وتدوين ذلك في رسالة وكتاب[3]. ولم تسلم هذه الأخبار من تعصب للمدينة أو ارتباط لقبيلة، ويقول الدكتور عبد العزيز الدوري: يتميز الأسلوب الإخباري بالبساطة والصورة الحية للحوادث، وحين يكتب الإخباريون عن المعارك نجدهم يوردون الشعر والخطب والحوار من خلال أخبارهم، ونجد القصة عادة متسلسلة في كتاباتهم، كما نحس أحيانا بنبرة أسلوب قصص الأيام

---

(١) روزنثال: علم التاريخ عند المسلمين ص٢٢٩.

(٢) روزنثال: علم التاريخ عند المسلمين ص٢١١.

(٣) أحمد أمين: ضحى الإسلام ٣٤١/٢.

فيها[١]. ولما كانت القصص والنوادر والروايات والانتماء القبلي والعقائدي تمثل جانبا كبيراً من مرويات الإخباريين، فأنها تحتاج إلى وقفة تأمل في محاولة للوصول إلى الحقيقة التاريخية، وان الواقف على بعض روايات أبي مخنف على سبيل المثال، يجد في جملتها روايات كوفية، وان أضاف إليها روايات شأمية ومدنية[٢]. فأن في رواياته أشياخ من قبائل الازد ونمير ومحارب وتميم، كما إن سيف بن عمر يورد روايات عن قبيلة كلب، ولكن إلى جنب هذه الروايات فان بعض الإخباريين من يتوسع في دراساته ويبتعد عن حدود القبيلة والمدينة، فأنهم يجولون بأفكارهم عبر العراق والشام ومصر وغيرها. معتمدين على الرواية الشفهية من جانب وعلى المدونات الأولى من جانب آخر، فكانت كتب حماد الراوية والاصمعي في مقدمة مصادر الإخباريين و بما إن رواياتهما لم تكن على جانب من الثقة والاطمئنان، فأصبح من اللازم الوقوف عليها بدقة في حالة قبولها أو رفضها ويقول الأستاذ جميل نخلة: إن الخلل في رواية حماد الراوية انه يقول الشعر على لسان المتقدمين فيها يروم إسناده من نكتة أو من خبر فهو إلى المؤاخذة بما يدخل على التاريخ من الأخبار الموضوعة اقرب إلى الثناء على ما يضعه في الشعر الذي لا يفترق عن كلام الجاهليين، يقال انه روي لهم ألفين وتسعمائة قصيدة، لكل حرف من الحروف الأبجدية مائة قصيدة كبيرة سوى المقطعات[٣]. واليه أشار محمد بن سلام الجمحي بقوله: انه أول من جمع أشعار العرب[٤]. وان تلقيبه بالراوية جاء من علميته بأيام العرب وأشعارها وأخبارها وأنسابها ولغاتها[٥]. حيث انه كان لم يترك أثراً مكتوبا كما تدل النوادر المروية عنه، حتى

(١) الدوري: نشأة علم التاريخ عند العرب ص١٢٥.

(٢) المصدر نفسه ص١٢٤.

(٣) جميل نخلة: حضارة الإسلام ص٢٠٨.

(٤) السيوطي: المزهر ١/١٧٥.

(٥) الزركلي: الأعلام ٢/٣٠١.

انه كان يلجأ دوماً في الرواية إلى ذاكرته[1]. وقد أصبح له مقام رفيع في البلاط الأموي لما استدعاه الوليد بن يزيد إلى الشام للاستماع إلى أحاديثه ومروياته ومن المحتمل إن السلوكية الشاذة التي عاشها حماد الراوية في مدينة الكوفة واشتهاره بالعبث والمجون والخلاعة، جعلت الوليد بن يزيد، الذي كان على شاكلته أن يحيا في بلاطه تلك الحياة التي اعتادها، وقد سأله الوليد يوماً، بمَ استحققت لقب الراوية؟ قال: أني اروي شعراً قديماً أو محدثا إلا ميزت القديم عن المحدث، قال: فكم مقدار ما تحفظ من الشعر؟ قال: كثير، ولكن أنشدك عن كل حرف من حروف المعجم مائة قصيدة كبيرة سوى المقطعات من شعر الجاهلية دون الإسلام. وقد تصدى له الإخباريون وقالوا: كان يلحن ويكذب ويكسر[2]. وكان خلف الأحمر في البصرة يقابل حماد الراوية في الكوفة، إذ انه كان معلم الاصمعي، ومعلم أهل البصرة واليه أشار الاخفش بقوله: لم أدرك أحداً اعلم بالشعر من خلف الأحمر والاصمعي، وقال ابن سلام: اجمع أصحابنا أن خلف الأحمر كان أفرس الناس ببيت شعر، واصدق لسانا، وكنا لا نبالي إذا أخذنا عنه خبراً أو أنشدنا شعراً إلا نسمعه من صاحبه[3]. وقد وجهت لخلف الأحمر مثالب شبيهة للمثالب التي وجهت لحماد الراوية، ومنها وضع الشعر ونسبه إلى العرب[4].

---

(1) بلاشير: تاريخ الأدب العربي ص١٠٨.

(2) السيوطي: المزهر ١٧٦/١.

(3) ياقوت: معجم الأدباء ٦٨/١١.

(4) المصدر نفسه ٦٨/١١.

الكوفة في الندوات الأدبية النجفية

كانت الندوات الأدبية والعلمية في النجف الاشرف لها اسهامة كبيرة في الحركة الثقافية في العراق، إذ إن كثيراً من أدباء وشعراء المدن العراقية يشاركون في ندوات النجف الاشرف، وقد أطلق على بعضها لفظ (المعركة الأدبية)، لان المساجلات كانت تأخذ موقعا فيها، ويغلب على بعض هذه الندوات طابع النكتة والطرف، ويفضل أدباء النجف وشعراؤها مناظر الكوفة الخلابة، وفراتها الجميل مكانا للراحة وقضاء وقت من المتعة بين الماء والخضراء. وكانت (ندوة الغرق) إحدى الندوات الفكاهية النجفية، وقد شارك فيها: الشيخ عبد الكريم الجزائري، والشيخ محمد جواد الشبيبي، والسيد جعفر الحلي، والشيخ رضا الأصفهاني، والسيد باقر الهندي، والشيخ هادي كاشف الغطاء، وقد اختار هؤلاء الأعلام منطقة عشيرة (آل مواش) مكانا للجلوس على نهر الفرات، ومن ثم النزول إلى النهر للسباحة وكان السيد جعفر الحلي، لا يحسن السباحة حتى كاد يغرق في نهر الفرات لولا إنقاذه من قبل الشيخ سليمان آل كريم آل مواش، فأنشد السيد جعفر الحلي قائلاً[1]:

فسخر الريح (سليمان) له   من (آل مواش كريم) معرقه

وتحولت الجلسة بعد ذلك إلى ندوة أدبية تبارى فيها الشعراء، وحدد تاريخ الحادثة بكلمة (مغرقه) وهو عام ١٣١٥هـ.

وقد عقدت إحدى ندوات (التاجين) التي شارك فيها الشيخ علي ثامر، والأستاذ جعفر الخليلي، فالشيخ قاسم محيي الدين، والشيخ محمد الخليلي في دار الشيخ محمد صالح الخليلي في مدينة الكوفة، وقد اعد وليمة (ماش مطبق بالخضيري) وقد أنشد الشيخ محمد الخليلي أرجوزة في هذه الوليمة، ذكر فيها حضارها وهم: الشيخ قاسم محي الدين، والشيخ محمد جواد الشيخ راضي

---

(١) الخليلي: هكذا عرفتهم ٣٨٢/١.

والشيخ محمد كاظم الشيخ راضي، والشيخ علي ثامر، والشيخ محمد الخليلي، والشيخ محمد الشريعة، والشيخ محمد رضا المظفر، والشيخ محمد صالح الخليلي، والأستاذ جعفر الخليلي، ومن أبيات هذه الأرجوزة:

ياما أحيلا حلبة الأحباب ومنتدى الأخلاق والآداب
ومجلساً بالنخبة الزكيه قد عمنا لطفا واريحيه
وفيهم العلامة الحبر الغني عن وصفه (القاسم نجل الحسن)

وقد أراد بالبيت الثالث، العلامة الشيخ قاسم محيي الدين، وقد استمر الشيخ محمد الخليلي بذكر حضار الندوة في أرجوزته الواحد بعد الآخر. وبعد أن تناول الحضور الشاي والقهوة تقدم الشيخ محمد صالح الخليلي فأنشد أرجوزة منها:

الحمد لله على حسن الصدف ذا شرف الإخوان من ارض النجف
نخبة أهل الفضل إخوان الصفا ومن بهم مجلس انسنا صفا
أكرم بهم من عقد جوهر نظم ومن مصابيح الظلام المدلهم
أقول هل أسمعكم نظمي وهل ترضون من أخيكم هذا الزجل
ذا لست من خرسان ذا الميدان ولم يكن يعرفني شيطاني

وأخذ الشيخ الخليلي بعد ذلك يصف المائدة وما فيها من (طبيخ الماش) والكشمش والزعفران ووصف الأواني ومحتوياتها. ولما أكمل الشيخ الخليلي أرجوزته، أعقبه الشيخ محمد رضا المظفر بقصيدة طريفة منها:

أين المفر من العزيمة يا بعدها خططا حكيمة
نصبوا (أبا الهادي) الشباك وقد وقعت بها غنيمة
صادوك أم صادوا طيورك أم جيوبك للوليمة

وكان الشيخ المظفر في قصيدته يكرر اسم (أبو الهادي) والمقصود به الشيخ محمد صالح الخليلي[1]. وهو والد الأستاذ الدكتور عبد الهادي الخليلي وتعد ندوة

---

(1) الخليلي: هكذا عرفتهم ٢/٣٢.

(ماء الكوفة) من روائع الندوات الأدبية النجفية، وقد عقدت في الكوفة بحضور قائم مقام النجف الأستاذ السيد حسن الجواد عندما شرع بتنفيذ مشروع الماء والكهرباء، فتقدم الشيخ علي البازي فشكر السيد الجواد نيابة عن أهالي مدينة الكوفة، وقد طالبه بمد أنابيب الإسالة لتصفية الماء بقوله(١):

أخي مثل عصر النور نحيى بظلمة ... ومثلك فينا يملك الأمر والنهيا
على النهر شاطى الفرات بيوتنا ... وأكبادنا مما نكابده حرى
أنابيبه جاءت ولكنّ مدها ... نحاذر من تأجيله مرة أخرى
فأنجز لنا مشروعنا واربح الثنا ... فقد ما بكم تمت لنا النعمة الكبرى

وقد أراد شعراء النجف تحويل هذه المناسبة إلى جلسة أدبية ظريفة، فأنشد الشيخ محمد علي اليعقوبي بيتين طالب فيهما عدم الاستماع لمطلب الشيخ علي البازي وهما:

لا تعر أهل كوفة الجند سمعا ... ودع الناس يهلكون ضماءا
كيف تسقي يا بن الجواد أناساً ... منعوا جدك الحسين الماءا

وقد شطر هذين البيتين كل من: السيد محمود الحبوبي، والشيخ علي البازي، والشيخ عبد الغني الخضري، والشيخ محمد علي اليعقوبي، والأستاذ عبد الأمير الشرقي، والشيخ محمد الخليلي. وقد كشفت هذه الندوة الأدبية عن حضور النكتة والطريفة وسرعة البديهة التي كان عليها شعراء النجف الاشرف(٢).

وكانت ندوة الشاي التي عقدت في دار الأستاذ جعفر الاعسم، وقد حضرها مدير ناحية الكوفة الأستاذ لطفي علي عام ١٣٦٠هـ/١٩٤١م، قد شارك فيها الشيخ محمد علي اليعقوبي والأستاذ إبراهيم الوائلي، والشيخ عبد الغني

---

(١) الخاقاني: شعراء الغري ٦/ ٣٧٠- ٣٧١.

(٢) حسن الحكيم: كيف صيرت النجف قائمقامها شاعراً، مجلة الذكوات (دراسات ونصوص) ص٢٠- ص٢٥.

الخضري، والشيخ علي البازي، والشيخ محمد حسن حيدر، وبدأ الندوة الأستاذ إبراهيم الوائلي، بقوله[1]:

كوفـة الجنـد علـى ضـفاف الفـرات ... جـــددي للعـــراق عهـــد الأبـــاة

وتعاقب بعده الشعراء بإنشاد البيت والبيتين حتى بلغت عدد أبيات القصيدة أربعة وعشرين بيتاً.

وتقدم هذه النماذج الأدبية صورة عن الحياة التي كان يعيشها الأديب النجفي في النصف الأول من القرن العشرين، وما فيها بساطة في السلوك، وعفوية الخاطر، وسلامة النية، وقد أسهمت هذه الندوات في الحركة العلمية والأدبية في النجف الاشرف، وتحتاج إلى دراسة فنية متخصصة لإبراز خصائصها الأدبية، وتحديد الأصالة والإبداع منها.

(1) جريدة الغري، العدد (٦٩- ٧٠) السنة الثانية ١٣٦٩هـ / ١٩٤١م.

إسهامات الفيلسوف الكندي
في تطوير الفكر العربي والإسلامي

أطلق لفظ (فيلسوف العرب) على المفكر الكبير أبي يوسف يعقوب بن إسحاق الكندي (١٨٥- ٢٥٢هـ)، لأنه كان قد مثل فلسفة أرسطو طاليس تمثيلاً كبيراً، ويقول الأستاذ الدكتور فيليب حتى، في كتابه (تاريخ العرب) إن الفيلسوف الكندي قد استقى آراءه من شتى المصادر ثم سعى مثل أصحاب الفلسفة الأفلاطونية الجديدة إلى مزج آراء أفلاطون وأرسطو، متخذاً الرياضيات التي خلفتها مدرسة فيثاغورس المتأخرة أساساً للعلم على الإطلاق، وفي الحقيقة إن أبا يوسف الكندي لم يكن فيلسوفاً وحسب، بل كان عالماً بالتنجيم، والكيمياء، والرياضيات، وقد أشارت المصادر إلى تأليفه البالغة أكثر من مائتين وخمسة وستين كتاباً، ولكن مما يؤسف عليه أن أكثر هذه الكتب أصبحت مفقودة، وقد تحتاج إلى من يفتش عنها في خزائن الكتب العربية والأجنبية، وقد يعثر على هذا الكتاب أو ذاك، أو قد يكون بعضها قد تداخل مع مجاميع من الكتب، إذ إن كثيراً من الرسائل تدمج مع كتب معينة، وتحمل اسماً وأحداً، مما يؤدي إلى ضياع هذه الرسائل، ومن الملاحظ أن القرن الثالث الهجري، الموافق للقرن التاسع الميلادي والذي عاش فيه الفيلسوف الكندي، وقد عاصر فيه جماعة من الفلاسفة والمتكلمين والعلماء من اختصاصات مختلفة، كان بداية الازدهار الحضاري والفكري في بغداد حاضرة الفكر والعلم والحضارة، وحواضر الإسلام الأخرى في المشرق والمغرب، وقد استقطبت مدينة بغداد جهابذة العلم والثقافة، وفي هذه الأجواء برز الفيلسوفان العظيمان: يعقوب بن إسحاق الكندي، وجابر بن حيان الكوفي وغيرهما من علماء العرب والمسلمين المتخصصين بالتفسير والحديث والفقه والأصول واللغة والأدب والتاريخ والفلسفة والرياضيات والفلك والطب والهندسة وعلوم الحياة وغيرها من العلوم والمعارف والفنون وقد شهد القرن الثالث الهجري تلاقحاً فكرياً بين الثقافات، وامتزج فيه العلماء وكان الفيلسوف

الكندي قد فرض وجوده العلمي على مجتمع عصره، وقد جعله الخليفة العباسي، المعتصم بالله مؤدباً وأستاذا لولده أحمد، لأنه جمع بين الطب والفلسفة والتربية وغيرها من العلوم، وقد احتلت مؤلفاته مساحة كبيرة في المكتبات، وخزائن الكتب، وانتشرت في الأوساط الإسلامية والعالمية، وقد أشارت المصادر إلى مصنفه الفريد في علم البصريات، مطبقاً على الآراء الهندسية والفسيولوجية، بناء على مؤلف (اقليدس) في البصريات، والمحفوظ في خزانة (بثون Theon) وبقي لهذا الكتاب موقع مميز، إلى أن حل محله كتاب أوسع لابن الهيثم، ويقول الدكتور فيلب حتي (وقد تأثر روجر باكن بترجمة لاتينية لكتاب الكندي عنوانها Deaspectibus وللفيلسوف الكندي ثلاث رسائل أو أربع وهي في الموسيقى من الناحية النظرية، وهي أقدم مخطوط لأثر عربي قد تأثر بعلوم اليونان، أما في علم النفس فان للكندي إسهامات كبيرة فيه، وان قوله: (إن النفس بسيطة ذات شرف وكمال، عظيمة الشأن جوهرها من جوهر الباري عز وجل كقياس ضياء الشمس من الشمس)، شاهد على عمليته في النفس، وذكر الأستاذ عبد علي الجسماني في بحثه (الكندي) والمنشور في جريدة الثورة البغدادية في عددها (٦٨٠٩) بتاريخ ١٩٨٩/١/١٧، على إن الفيلسوف الكندي في حديثه عن النفس الإنسانية يقول: أنها لا تنام البتة، وإنما في يقظة دائبة، وان الكندي لا يكتفي بالقول مطلقاً من غير أن يرفده ببرهان عقلي يتضمن قوة الامتناع فهو مثلاً يتحدث عن استمرار النفس في يقظتها، ويورد قوله: إن الإنسان كونه مركباً من بدن ونفس،فمن طبيعته النوم، ولكنه يرى في النوم عجائب الأحلام على الرغم من توقف الحواس عن النشاط والعمل، ويعرف النوم بأنه: (ترك استعمال النفس للحواس جميعاً، فانا إذا لم نبصر، ولم نسمع، ولم نذق، ولم نشم، ولم نلمس من غير مرض عارض، ونحن على طباعنا فنحن نيام)، وللفيلسوف الكندي رأي في العقل، إذ وصفه بخمسة أوصاف هي: العقل الأول، والعقل بالفعل، وانه الفعل بنوعية الأشياء التي هي بالفعل أبدا، وانه العقل المخرج النفس إلى أن تصير عالقة بالفعل، بعد أن كانت عالقة بالقوة، وانه ليس هو وعالقهُ شيئا وأحداً وقد تناول الفيلسوف الكندي في

شرح هذه الأوصاف، ولاشك إن رأي الكندي بالنفس والإنسان والعقل، ناتج من اهتماماته، رأى شابا مريضا فطلب إحضار أربعة من تلاميذه لهم ألمام بالموسيقى، وضرب العود، فأخذوا يعزفون عند رأسه، وكان الكندي يراقب نبضه، إذا أخذ بالتحسن شيئا فشيئا، إلى أن بدأ بالتحرك، ولم يفتر العازفون عن الضرب على أعوادهم، عند ذلك طلب الفيلسوف الكندي من والد المريض أن يسأله، ولما غفل الضاربون عن العزف عاد المريض إلى حالته السابقة، ثم فارق الحياة، فقال الكندي: (أنها أمانة استردها خالقها، وإنما كانت طريقته، فان الشاب كان في رمقه الأخير، فاستطاع أن يستبقي بعض الحشاشة لمدة وجيزة، ولكن الإنسان لا يستطيع أن يتجاوز الحدود على مشيئة الله، ويعطي هذا النص دلالات على تعدد معارف الكندي، واستخدم فكره في مجالات الحياة.

الريادة العلمية في فكر جابر بن حيان

أعطى كثير من المؤلفين والباحثين صفة الريادة للمفكر الإسلامي الكبير جابر بن حيان الكوفي، المتوفى عام ١٩٧هـ /٨١٣م، فقد ذكرت المصادر انه كان متقدماً في العلوم الطبيعية، وبارعاً في صناعة الكيمياء، وأشار الأستاذ الدكتور فيليب حتى في كتابه (تاريخ العرب) إلى انه (أبو الكيمياء) في الفكر العربي والإسلامي، وكان قد أنجبته مدينة الكوفة، وعاش في أجوائها العلمية، وبزر اسمه في علوم الطلب والصيدلة، بعد إن طغى اسم الفيلسوف الرازي في الميادين المعرفية وكان لجابر بن حيان الفضل الأكبر في تطور علم الكيمياء عند المسلمين وفي عهدي المأمون والمعتصم، واوجد طريقة الاختبار العلمي للطلبة، فلم يمنح احدهم إجازة إلا بعد اجتياز الامتحان وقد عرفت مدينة بغداد في العصر العباسي (الأجازة العلمية للأطباء) وقد أدرك جابر بن حيان قيمة التجربة في الكيمياء، فانه قد وصف التكليس والتصعيد والإذابة والبلورة وعرف تركيب الحامض ومزجه حتى يستخرج منه (الماء الملكي أو ماء الملوك) الذي يمكن أن يذاب فيه الذهب والفضة، واليه يعود الفضل إلى معرفة هيدروكسيد الصوديوم، وأصبح لعلوم جابر بن حيان الكيمياوية موضع اهتمام في الجامعات الأوربية في القرن الثامن عشر الميلادي، وأضاف أبو الحسن القفطي في كتابه (إخبار العلماء بأخبار الحكماء) جوانب من اهتمامات جابر بن حيان في علوم الفلسفة وعلم الباطن، وهو مذهب المتصوفة المسلمين، وذكر محمد بن سعيد السرقسطي المعروف بابن المشاط الأصفر لأبي الأندلسي انه شاهد لجابر بن حيان في مصر تأليفاً من عمل الاضطراب يتضمن ألف مسألة لا نظير لها، وقام الأستاذ (باول كراوس) المختص بالعلوم الإسلامية بدراسة دقيقة لعلوم جابر بن حيان في علوم الكيمياء والفلك والموسيقى والتربية وغيرها، ويمكننا القول: ان دراسات المتشرقين والغربيين لمؤلفات جابر بن حيان كانت محدودة ن لأن بحوثه العلمية المتنوعة بحاجة إلى تحقيق الكتب الإسلامية التي تناولت العلوم والآداب والمصادر المعرفية الاخرى

التي وضع جابر بن حيان بصماته عليها، ومع هذا فاننا نثمن جهود كراوس وروسكا وهو لمبارد وغيرهم من المتشرقين الذين درسوا الفكر الإسلامي، ووقفوا على أراء جابر بن حيان في العلوم الكيمياوية.

وتوصل الباحثون إلى أراء جابر بن حيان للوصول إلى حالة التوازن بين الطبائع والنوعيات باستخدام الإكسير، وهو مادة من الخامات المعدنية أو النباتية أو الحيوانية وان مثل هذه العلوم بحاجة إلى دراسة مستفيضة من المختصين للوقوف على حيثيات هذه العلوم، ويمكننا أن نجد في نظرية الكبريت والزئبق وتركيب المعادن مثالاً رائعاً عن موقف جابر بن حيان من علوم عصره، وريادته في تطويرها، وفصل في أبوابها، وإننا أذا وقفنا على قائمة مؤلفات جابر بن حيان التي أوردها ابن النديم في كتابه (الفهرست) فنجد من بينها مائة واثنا عشر كتاباً ورسالة ومقالة في مختلف العلوم، وكتب الأستاذ الدكتور فاضل الطائي (أعلام العرب في الكيمياء) أشار فيه إلى التراث الضخم الذي تركه جابر بن حيان، وهذا مما يجعلنا نميل إلى القول إن جابر بن حيان جمع بين علمي الكيمياء والفلسفة وذكر الأستاذ الدكتور زكي نجيب محمود: أن الصعوبات التي واجهته عند تأليف كتبه كانت تتعلق بوجود عدد قليل من تأليف جابر بن حيان لديه، لأن كثيراً من مؤلفاته بقيت مخطوطة، ومبعثرة بين مكتبات أوربا والعالم الإسلامي، ومن الطريف إن الأستاذ (بول كراوس) قد جمع مخطوطات جابر بن حيان المحفوظة في خزائن أوربا، وهي غير موجودة في المكتبات العربية والإسلامية وان جهده العلمي هذا قد قلص كثيراً من العناء الذي يتعرض أليه المهتمون بدراسة مؤلفات جابر بن حيان، وان الجهد الذي بذله الأستاذ الفرنسي (برتلو) قد أعطى لجابر بن حيان موقعاً علمياً كبيراً، ويقول: أن لجابر بن حيان في علم الكيمياء ولارسطو قبله في علم المنطق، وكان على الجامعات وأقسام الكيمياء في كليات العلوم والتربية والطب تكثيف الدراسات حول هذه الشخصية العلمية الرائدة، وتحقيق ما تيسر من مخطوطات محفوظة في خزائن الكتب، وعند ذلك يتوصل الباحثون إلى حجم العلوم التي استقاها جابر بن حيان من الإمام جعفر الصادق (عليه السلام) وقد

استطاع الدكتور يحيى الهاشمي في كتابه (الإمام الصادق ملهم الكيمياء) أثبات تلمذة جابر بن حيان على الإمام الصادق (عليه السلام)، ورد على لمشككين من مسلمين ومستشرقين بأسلوب علمي دقيق فيقول: من الأمور التي تلفت النظر في تاريخ العلوم مشكلة الإمام جعفر الصادق (عليه السلام) وعلاقته الكبرى مع جابر بن حيان أبو الكيمياء في العصور الوسطى ولقد تصدى إلى هذا الموضوع عدد من المستشرقين والكيميائيين فلم يوفوه حقه، لأنهم عالجوا المشكلة دون ان يكلفوا أنفسهم عناء البحث في رسائل جابر نفسها مستقرئين الأقوال المنسوبة أليه مما لها علاقة مع الإمام الصادق (عليه السلام) مبرزين ميزاتها وإمكانية صدورها عن الإمام))[1] وناقش الأستاذ الهاشمي أراء عدد من المستشرقين ومنهم:

كراوس، في مختاراته عن جابر بن حيان.

هولمبارد في كتابه (مصنفات في علم الكيمياء للحكيم جابر بن حيان الصوفي).

برتلو، في كتابه (الكيمياء في القرون الوسطى).

روسكا، في نقده لأراء برتلو.

وحاول الدكتور الهاشمي نقض الشبهات التي أثيرت حول تلمذة جابر بن حيان على الإمام الصادق (عليه السلام)، وكان في الوقت نفسه وقف على أراء عدد من المؤلفين العرب المعاصرين ومنهم:

الأستاذ إسماعيل مظهر في كتابه (تاريخ الفكر العربي).

الدكتور عبد الرحمن بدوي في كتابه (الإلحاد في الإسلام).

وناقش تشكيكاتهم في العلاقة العلمية بين الإمام الصادق (عليه السلام) وتلميذه جابر بن حيان، فيقول: ((ليست التأملات الفلسفية هي الوحيدة في

---

(١) الهاشمي: الامام الصادق (عليه السلام) ملهم الكيمياء ص ١٠.

الأهمية، فللتركة الدينية أهمية أعظم، يكاد يقسم جابر بسيده جعفر في كل فصل من فصول كتبه: وحق سيدي جعفر وحق سيدي وخالقي، وفي بعض الأحيان يقول صراحة (وسيدي جعفر بن محمد) ان ما يقصده جابر ولا شك الإمام الصادق (عليه السلام) الإمام السادس للشيعة، وجد جابر نفسه انه مدين له بالشكر في جميع علومه، ومنه يأخذ وعلى توجيهاته يسير، وبنصائحه يسترشد، وكثيراً ما يحاوره))[1] وكانت أراء الدكتور الهاشمي للمستشرقين وغيرهم مبنية على الحجة والإقناع، وبحكم تخصصه الدقيق بعلم الكيمياء توصل إلى الحقائق العلمية البصيرة عن التحيز، وكان يطلق عبارات تؤكد على قناعته التامة في تلمذة جابر بن حيان على الإمام الصادق (عليه السلام) من خلال نقده للباحثين ومنها: (لاصمة لما يدعيه كراوس) و (يدعي كراوس) وبخاصة حينما يذهب إلى أطلاق كلمة (الانتحال) في العلاقة بين الإمام الصادق (عليه السلام) وبعض تلاميذه، وذهب إلى القول ((وإذا كان الأخصائيون يجهلون مصادر معلوماته عن العمليات الكيميائية الايجابية (بعد تقرير المنتحل والأصلي) فانه لمن الواضح الجلي ان من أهم مصادر معرفته الإلهامات الباطنية التي اقتبسها عن أمامه جعفر الصادق، وهي سوف تمثل مكاناً سامياً في تاريخ الفكر البشري يوم تدرس بإمعان من قبل أخصائيين كرسوا حياتهم في سبيل كشف الغطاء عن غوامضها))[2] وأشار الأستاذ فؤاد سجعان جرداق إلى تلمذة جابر بن حيان على الإمام الصادق (عليه السلام) وغيره من الإعلام وقال: ((وكان الإمام الصادق (عليه السلام) خزانة العلوم الإلهية والمادية في الأدلة القاطعة والبراهين الساطعة والحجج الدامغة والآراء الصائبة، فنشر من فيضه الشيء الكثير من المعارف والعلوم الكونية

---

(١) الهاشمي: الإمام الصادق (عليه السلام) ملهم الكيمياء ص ٦٢.

(٢) الهاشمي: الإمام الصادق (عليه السلام) ملهم الكيمياء ص ١٥٨.

والطبيعية وهي مازالت إلى هذا اليوم مشرعاً فراتاً يستقي منه العلماء وجهابذة أهل البحث والاستقراء))[1].

(١) فؤاد سجعان: أفق الإمام الصادق ونصيبه من الفيض، بحث في كتاب (أشعة من حياة الصادق) ص ١٠٦.

إخباريون ومؤرخون

إسماعيل بن عبد الرحمن السدي (ت ١٢٨هـ/٧٤٥م)

كان أبو محمد إسماعيل بن عبد الرحمن بن أبي ذؤيب (ابن أبي كريمة) السدي الأعور حجازي الأصل، لكنه سكن مدينة الكوفة ونسب إليها، وعرف بصاحب التفسير والمغازي والسير[١] وقد روى عن انس بن مالك، وعبد خير، وأبي صالح، ورأى عبد الله بن عمر[٢] وقد وثقه جماعة من المحدثين وذكروه بخير واستقامة، وقال عنه يحيى بن سعيد القطان: لا بأس به، ما سمعت أحداً يذكره إلا بخير، وما تركه احد، وقال ابن عدي الجرجاني: هو مستقيم الحديث: صدوق لا بأس[٣] أما الذهبي فانه قال ((حسن الحديث))[٤] و يقول الشيخ القمي: انه المفسر المعروفة أقواله في كتاب ((التبيان)) للشيخ الطوسي وغيره، كان نظير مجاهد وقتادة والكلبي والشعبي وممن يفسرون القران الكريم بآرائهم[٥] وقد أخذ الشيخ الطوسي برأيه عند تفسير الآية الكريمة ﴿**وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَاقَكُمْ وَرَفَعْنَا فَوْقَكُمُ الطُّورَ خُذُوا مَا آتَيْنَاكُمْ بِقُوَّةٍ وَاسْمَعُوا قَالُوا سَمِعْنَا وَعَصَيْنَا وَأُشْرِبُوا فِي قُلُوبِهِمُ الْعِجْلَ بِكُفْرِهِمْ قُلْ بِئْسَمَا يَأْمُرُكُمْ بِهِ إِيمَانُكُمْ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ**﴾[٦] وقد استعرض آراء قتادة وأبي العالية والسدي قال ((وإلا دل عليه أكثر محصلي المفسرين وهو الصحيح))[٧]. ومن المحتمل إن الشيخ الطوسي برجحانه رأى السدي جعل ابن حجر يقول: انه رمي بالتشيع[٨] وقد ترجمه الخوانساري في ((روضات الجنات))

---

(١) الذهبي: العبر ١/١٦٥، ابن تغري بردي: النجوم الزهرة ١/٣٠٨.

(٢) ياقوت: معجم الأدباء ٢/ ٣٤٦.

(٣) المزي: تهذيب الكمال ٣/ الترجمة ٤٦٢، ابن حجر: تقريب التهذيب ١/ ٧١- ٧٢.

(٤) الذهبي: الكاشف ١/ ١٢٥.

(٥) القمي: الكنى والألقاب ٢/ ٢٨٤- ٢٨٥.

(٦) البقرة: ٩٣.

(٧) الطوسي: التبيان ١/ ٣٥٤.

(٨) ابن حجر: تقريب التهذيب ١/ ٧١- ٧٢.

والسيد الأمين في ((أعيان الشيعة)) وقد وثقه ياقوت الحموي بقوله ((كان ثقة مأمونا)) و ذكر من رواته[1]:

١- سفيان الثوري. ٤- سماك بن حرب.
٢- شعبة. ٥- إسماعيل بن أبي جذيمة.
٣- زائدة. ٦- سليمان التيمي.

ويبدو إن تفسير القران الكريم قد غلب على علومه الأخرى حتى قيل (صاحب التفسير)، بينما كانت رواياته التاريخية كثيرة، وبخاصة عن عصر ما قبل الإسلام، وقد استقى منه الطبري و ابن الجوزي وغيرهما نصوصا كثيرة بعضها تنتهي بعبد الله بن العباس وبعضها بعبد الله بن مسعود[2] وكان ابن الجوزي يستقي هذه النصوص من السدي ويقف عند بعضها موقف الناقد بلفظ ((زعم)) أو((ليس هذا صحيح)) أو ((مثل هذا قبيح)) واعترض على رواية السدي المقتبسة من العهد العتيق حول الخصومة بين (عيص و يعقوب) في بطن أمهما[3] وان ما يتعلق بالأنبياء وقصصهم حيث استقاها ابن الجوزي من السدي فانه رواها في كتاب ((المنتظم في تاريخ الملوك والأمم)) في حين إن تفسير السدي لم يصل إلينا[4] وان الذي يقف على روايات السدي في الجزء الأول من كتاب ((المنتظم)) تتوضح لديه آراءه في التفسير وأخبار الأنبياء.

---

(١) ياقوت: معجم الأدباء ٢/ ٣٤٧.

(٢) الطبري: التاريخ ١/ ٥٢- ٨٥ - ٩٤ - ١٠٣ - ١٠٦ - ٢٣٤ - ٢٧٢ - ٤٣٢ - ٤٥٨ - ٥٨٦ - ابن الجوزي: المنتظم ١/ ورقة ٢- ٧ - ١٠ - ١٥ - ١٧ - ٢٨- ٢٩.

(٣) العهد العتيق: سفر التكوين ١/ ٤١، ابن الجوزي: المنتظم ١/ ورقة ٢١.

(٤) فؤاد سزكين: تاريخ التراث العربي ١/ ١٩٢.

أبو النضر محمد بن السائب الكلبي
رائد النسابين في الكوفة

المقدمة:

يرتبط التاريخ بعلم النسب ارتباطاً وثيقاً، إذ إن مؤرخي الأنساب غالباً ما يكونون مؤرخين، ويعتمدون على الروايات القبلية، ويدققون في صحتها، فيوثقون هذا ويضعفون ذاك، في الوقت الذي نهى الإسلام عن التعصب القبلي بقوله تعالى: ﴿**يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَى وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ**﴾[1]. فالرابطة الإنسانية تعد أداة الوحدة، والحفاظ على الأنساب صلة للرحم. فقد ورد في الحديث الشريف: ((تعلموا من أنسابكم ما تصلون به أرحامكم، فان صله الرحم محبة في الأهل، مثراة في المال، منساة في الأجل، مرضاة للرب))[2]. وهذا مما شجع علماء الأنساب في الكوفة إلى دراسة الأسر والقبائل، والأشخاص من حيث انتماءاتهم النسبية، وكان محمد بن السائب الكلبي وولده هشام في مقدمة النسابين في الكوفة.

شخصية ابن السائب الكلبي:

أبو النضر محمد بن السائب بن بشر (مبشر) بن عمرو بن الحارث بن عبد الحارث بن عبد العزى بن امرئ القيس بن عامر بن النعمان بن عامر بن عبد ودبن كنانة بن عوف بن عذرة بن زيد بن عبد اللات بن رفيدة بن ثور بن كلب[3]. وينتسب ابن السائب إلى قبيلة كلب بن وبرة بن قضاعة[4]. وكان قد عاش في مدينة

---

(١) الحجرات:١٣.

(٢) الإمام أحمد: المسند ٣٧٤/٢، الحاكم: معرفة علوم الحديث ص١٦٩، ابن حزم: جمهرة النسب ص٢- ص٣.

(٣) ابن خلكان: وفيات الأعيان ٤٣٦/٣، البغدادي: هدية العارفين، السمعاني: الأنساب ص٤٨٥، ابن سعد: الطبقات الكبرى ٣٥٩/٦.

(٤) الخطيب: تاريخ بغداد ٤٥/١٤، ابن خلكان: وفيات الأعيان ٤٣٨/٣.

الكوفة، وأصبح من علمائها المشهورين بالتفسير والأخبار وأيام الناس، حتى قيل انه ((مقدم الناس بعلم الأنساب))[1]. ويقول بعض العلماء: هو صاحب التفسير والأخبار والأنساب[2]. ويقول ابن خلكان: هو صاحب التفسير وعلم النسب[3]. وقد اجمع مترجموه انه كان عالماً بالأنساب فضلاً لعلمي التفسير والأخبار، وقد ورث ولده هشام الكلبي علم الأنساب واليهما تعود التطورات الثقافية، والصلات الوثيقة بين الأنساب والأخبار والدراسات الأدبية[4]. فقد كان محمد بن السائب الكلبي يجلس في الكوفة للحديث والرواية والتفسير[5]. وهو بذلك يجتمع بالناس لجمع الروايات القبلية[6]. ويقول بروكلمان: انه كانت له عناية بأنساب القبائل العربية[7]. ويقول: لما قويت عناية علماء العراق بجمع أشعار الجاهلية وشرحها، نشأت الحاجة إلى البحث والتنقيب عن أيام العرب وملوكهم وأحوالهم في الزمن القديم، وكان أعظم الفضل في حفظ هذه الأخبار والأشعار يعود إلى الكلبيين محمد بن السائب وابنه أبي المنذر هشام بن محمد وعنهما أخذ المتأخرون[8]. وكان قد رجع إلى شعر النقائض ومنها نقائض جرير والفرزدق للوقوف على الحقائق، كما انه كان ميدانيا في استخلاص التواريخ المضبوطة، فانه قد وقف على قبور اللخميين لتحقيق تواريخهم[9]. ويقول بلاشير: إن ابن السائب الكلبي لم يدرك أثراً مكتوبا، ولم يحتفظ بثمرات ذاكرته إلا بفضل ابنه هشام[10]. وكان هشام قد نقل مقالات أبي مخنف عن

---

(1) ابن النديم: الفهرست ص١٤٥.

(2) ابن قتيبة: المعارف: ص٥٣٥، اليافعي: مرآة الجنان ٣٠١/١.

(3) ابن خلكان: وفيات الأعيان ٤٣٦/٣.

(4) الدوري: بحث في نشأة علم التاريخ ص٤٠.

(5) الشكعة: مناهج التأليف ص١١٥.

(6) ابن النديم: الفهرست ص١٤٠، ابن حجر: تهذيب التهذيب ١٨٠/٩.

(7) بروكلمان: تاريخ الأدب العربي ٢٩/٢.

(8) بروكلمان: تاريخ الأدب العربي ٣٠/٣.

(9) بركلمان: تاريخ الأدب العربي ٨/٣ The Noldeke, Veberet Zung des Tabri, xxvll.

(10) بلاشير: تاريخ الأدب العربي ص١٠٨.

أبيه، وعنه قد نقل المؤرخ الطبري هذه المقالات في تاريخه الكبير[1]. وقد أشارت المصادر إلى مؤلفاته في الأنساب وفي مقدمتها ((النسب الكبير)) وهو يحتوي على أنساب قبائل العرب من عدنانيين وقحطانيين فضلا عن الأنساب المفردة لأشهر القبائل[2]. وذهبت المصادر إلى تشيع محمد بن السائب الكلبي، وانه من أصحاب الإمأمين الباقر والصادق عليهما السلام[3]. ومما يؤكد تشيعه أن جده بشر وبنوه (السائب وعبيد وعبد الرحمن) قد شهدوا واقعتي الجمل وصفين مع الإمام علي عليه السلام[4]. ويبدو إن أسرته لم تكن متعاطفة مع الأمويين حيث إن والده قد قتل مع مصعب بن الزبير في عهد عبد الملك بن مروان[5]. وشهد محمد نفسه موقعة دير الجماجم مع عبد الرحمن بن محمد الأشعث الكندي عام ٨٢هـ، ضد الحجاج بن يوسف الثقفي، عامل عبد الملك بن مروان في العراق[6]. ومن المؤكد أن تشيع محمد بن السائب الكلبي وأسرته جعلت بعض مترجميه يضعون علامات التضعيف والتكذيب حوله حتى اتهموه بالغلو، ونسبوه من أصحاب عبد الله بن سبأ. كما اتهموه بالكذب والرفض[7]. وقال عنه ابن معين ((ليس بشيء))[8]. ويقول الدكتور شاكر مصطفى: ((هو متهم بالتشيع مع إن هذا قد يكون السبب في نقد المحدثين له، إلا إن ثمة اتفاقا على انه أول النسابين الكبار))[9]. وذكر ابن سعد انه ليس بذاك[10]. وقد روى عنه

---

(1) بروكلمان: تاريخ الأدب العربي ٢٩/٢.

(2) جرجي زيدان: تاريخ آداب اللغة العربية ١٥٢/٢.

(3) القمي: الكنى والألقاب ١٠١/٣.

(4) ابن قتيبة: المعارف ص٥٣٥، ابن خلكان: وفيات الأعيان ٤٣٧/٣.

(5) ن. م، ابن سعد: الطبقات ٣٥٩/٣.

(6) ن.م، ابن سعد: الطبقات ٣٥٩/٦، أحمد أمين: ضحى الإسلام ٣٤٨/٢ بروكلمان: تاريخ الأدب العربي٣٠/٣.

(7) ابن خلكان: وفيات الأعيان ٤٣٧/٣، الصفدي الوافي بالوفيات ٨٣/٣، الذهبي: العبر ٢٠٦/١، ابن العماد: شذرات الذهب ٢١٨/١.

(8) ابن معين: التاريخ ٥١٧/٢.

(9) شاكر مصطفى: التاريخ العربي والمؤرخون ١٩٠/١.

(10) ابن سعد: الطبقات الكبرى ٣٥٩/٦.

سفيان الثوري، ومحمد بن إسحاق، وكانا يقولان: حدثنا أبو النصر[1]. وكان قد استقى علومه في النسب عن أبي صالح، باذام عن عقيل بن أبي طالب، وأخذ نسب كنده عن أبي الكناس الكندي، الذي كان اعلم الناس بالأنساب، وأخذ نسب معد بن عدنان عن النجارين اوس العدواني[2]. وأشارت المصادر إلى علمية ابن الكلبي في تفسير القران الكريم فقيل انه صاحب: ((تفسير القران))[3]. أو ((تقسيم القران))[4]. وقد أشار مترجموه بأنه ((صاحب التفسير))[5]. ويقول ابن عدي ليس لأحد تفسير أطول من تفسير ابن الكلبي. وقد قيل انه كان آية في التفسير واسعاً في العلم[6]. ويقول ابن قتيبة: كان نساباً، عالماً بالتفسير[7]. ويقول ابن النديم: إن سليمان بن علي أقدم ابن السائب من الكوفة إلى البصرة، وأجلسه في داره، فجعل يملي على الناس تفسير القران حتى بلغ إلى آية من سورة براءة ففسرها على خلاف ما كان يعرف[8]. وكان يقول: حفظت ما لم يحفظه احد، القران في ستة أيام أو سبعة، ونسيت ما لم ينسَ احد، قبضت على لحيتي لأخذ ما دون القبضة، فأخذت ما فوق القبضة[9]. توفى محمد بن السائب الكلبي في مدينة الكوفة عام ١٤٦هـ بإجماع المصادر، وذلك في عهد أبي جعفر المنصور.

---

(١) ابن خلكان: وفيات الأعيان ٤٣٧/٣، السمعاني: الأنساب ص٤٨٥.

(٢) ابن النديم: الفهرست ص١٠٨ تحقيق رضا تجدد: ص٤٨٥، الذهبي: تاريخ الإسلام ١١٨/٦- ١١٩.

(٣) البغدادي: هدية العارفين ٧/٢ الطهراني: الذريعة ٣١١/٤، كحالة: معجم المؤلفين ١٥/١٠.

(٤) ابن النديم: الفهرست ص١٤٦، الطهراني الذريعة ٣٨٨/٤.

(٥) اليافعي: مرآة الجنان ٣٠١/١، الصفدي: الوافي بالوفيات ٨٣/٣، ابن قتيبة: المعارف ص٥٣٥.

(٦) الصفدي: الوافي بالوفيات ٨٣/٣.

(٧) ابن قتيبة: المعارف ص٥٣٦.

(٨) ابن النديم: الفهرست ص١٠٧.

(٩) الذهبي: ميزان الاعتدال ٥٥٦/٣.

أبو مخنف لوط بن يحيى الازدي
(١٥٧هـ/٧٧٤م)

يعد ابو مخنف لوط بن يحيى بن سعيد بن مخنف بن سليم (سليمان) بن الحارث بن عوف بن ثعلبة بن عامر بن ذهل بن مازن بن ذبيان بن ثعلبة بن سعد مناة بن غامد الازدي (شيخ أصحاب الأخبار بالكوفة ووجههم) فقد كان شيعيا في عقيدته، إذ إن جده وأباه كانا من أصحاب الإمام علي عليه السلام [١] وقد عد الشيخ الكشي أبا مخنف من أصحاب الإمام عليه السلام ولكن الشيخ الطوسي رفض ذلك بقوله: إن هذا غلط لان لوط بن يحيى لم يلق أمير المؤمنين عليه السلام، وإنما هو من أصحاب الإمأمين الحسن والحسين والإمام الصادق عليهم السلام [٢] وان هذه الصحبة تقطع بتشيعه، ويقول الشيخ القمي: انه من أعاظم مؤرخي الشيعة.[٣] ولم يبرز تشيعه في كثير من النصوص، ولذا كان موضع اعتماد المؤرخين عليه من غير الشيعة، يقول بروكلمان: على الرغم من إن أبا مخنف، كوفي فانه كان يميل إلى علي وان أخباره لم تظهر هذا التشيع شان المؤلفات التي نسبت إليه بعد زمن طويل فيما يفصل باستشهاد الإمام الحسين والمختار الثقفي[٤] و يقول الأستاذ أحمد أمين: انه لا يضمر الميل إلى الأمويين في كتابته[٥] وهذا أمر طبيعي إذ انه شيعي في مذهبه، محايد في كتاباته فإذا كان لديه ميل لأحد الأطراف فمن الأولى أن يكون مع العلويين، إذ إن بعض مؤلفاته قد خصصت للائمة عليهم السلام والشخصيات الشيعية فهو قد كتب في الردة، وسبق نصر بن مزاحم في كتابته عن صفين، وتناول فتوح الشام والعراق ومعركة الجمل، وكتب عن استشهاد الأئمة:

---

(١) ابن النديم: الفهرست ص١٤٢، ياقوت: معجم الأدباء ٤١/١٧.

(٢) الطوسي: الرجال ص٥٧، ص ٧٠، ص٧٩.

(٣) القمي: الكنى والألقاب ١٥٢/١.

(٤) بروكلمان: تاريخ الشعوب الإسلامية ٣٠/٢.

(٥) أحمد أمين: ضحى الإسلام ٢ / ٣٤٢.

علي والحسن والحسين عليهم السلام، وتحدث عن فرقة الازارقة من الخوارج ووفاة معاوية، وهذا التنوع في مؤلفاته لا يتفق مع بعض الآراء الذاهبة إلى انه جند نفسه للكتابة عن العلويين، وان المؤرخ الطبري قد حفظ لنا كثيراً من مرويات أبي مخنف، ولأهمية كتاباته وتنوعها فقيل عنه ((صاحب التصانيف في الفتوح وحروب الإسلام))[1] وانه صاحب أخبار وأنساب وسير ورواية[2] ويقول الدكتور شوقي ضيف: انه كتب تاريخ أحداث الدول العربية[3] وهو بذلك يعد من أقدم الإخباريين العرب ومحدثيهم، وقد انصبت معجم كتاباته عن العراق وأخباره وفتوحه يزيد على غيره من الإخباريين والمؤرخين، ويقول الدكتور الدوري إن تركيز أبي مخنف على إقليم العراق أكثر من غيره انطلاقا من الروح الإقليمية التي كان يتمتع بها الإخباريون في أيامه، فهو يورد عادة الصور العراقية (الكوفية) للحوادث فهو أميل للعراق تجاه الشام نتيجة اعتزاز القبائل بمصرها[4] ويقول الأستاذ مرجليوث: إن أبا مخنف أكثر من غيره معرفة بأمور العراق[5] وهذا مما جعل المؤرخين يعتمدون على روايات أبي مخنف عن العراق، والرجوع إلى كتبه التي تدور حول الحوادث التي وقعت في العراق[6] ولكن هناك من تحفظ على صدق رواياته بالقول: (ليس حديثه بشيء) أوانه (متروك الحديث) أوانه يروي عن جماعة من المجهولين[7] ومن المحتمل إن بعض رواياته المنقولة عن قبيلته والقبائل الأخرى كتميم وهمدان وطي وكندة قد يشم منها رائحة الانحياز القبلي، حيث انه اعتمد على روايات الأزد في الكوفة، ويقول بروكلمان: إن أبا مخنف قد

---

(1) ياقوت: معجم البلدان ١٧ / ٤١.

(2) ابن قتيبة: المعارف ص٥٣٧، الطوسي: الرجال ص٧٠.

(3) شوقي ضيف: العصر العباسي الأول ص١٢٥.

(4) الدوري: بحث في نشأة علم التاريخ ص٣٥.

(5) مرجليوث: دراسات عن المؤرخين العرب ص٩٦.

(6) علي ادهم: بعض مؤرخي الإسلام ص٢٢.

(7) ياقوت: معجم الأدباء ١٧ / ٤١، أحمد أمين: ضحى الإسلام ٢/ ٣٤٣.

أورد أخبار قبيلته في ترسل ينتظم أكثر من ثلاثين مقالة مستقلة، تتألف كل منها في الأغلب من مشاهد مفردة ومحاورات[1] و يقول الأستاذ السيد عبد العزيز سالم: إن أبا مخنف يعتمد على العموم في كتاباته على الروايات العائلية والروايات المدنية[2] وكانت مصادره عن معركة صفين، ومجيء مسلم بن عقيل عليه السلام إلى الكوفة، واستشهاد الإمام الحسين وأصحابه في يوم كربلاء الغالب كوفية، وأضاف إليها شامية، وحجازية، كالروايات التي رواها هشام بن عروة، وموسى بن عقبة ونقل هشام الكلبي عنه رواية كوفية عن الإمام علي عليه السلام ضد أهل الشام[3] ولكن يبقى أبو مخنف متميزاً عن غيره من الإخباريين بتنوع ثقافته فهو النسابة وصاحب السير والإخباري حتى انه أصبح ((من أميز الإخباريين في العراق))[4] ويقول الدكتور أحمد أمين: إن أسلوبه في الكتابة على العموم سهل جميل[5] ذو تسلسل متصل، تتخلله استشهادات شعرية، وان هذا اللون من الكتابة يعد أسلوباً لمجالس السمر وشيء من وجهة قصص الأيام[6].

(١) بروكلمان: تاريخ الشعوب الإسلامية ٢/ ٢٩.

(٢) السيد عبد العزيز سالم: التاريخ والمؤرخون العرب ص٦٨.

(٣) جب: دراسات في حضارة الإسلام ص١٥١.

(٤) ابن النديم: الفهرست ص١٠٦، ابن قتيبة: المعارف ص١٩٤، ياقوت: معجم الأدباء ٦/ ٢٢٠، ابن شاكر الكتبي: فوات الوفيات ٢/ ١٣٥.

(٥) أحمد أمين: ضحى الإسلام ٢/٣٤٣.

(٦) الدوري: بحث في نشأة علم التاريخ ص٣٦.

نموذج من تاريخ أبي مخنف

((حدثني عباس بن هشام الكلبي عن أبيه عن أبي مخنف في إسناده قال: لما دفن عمر امسك أصحاب الشورى وأبو طلحة يومهم فلم يحدثوا شيئا فلما أصبحوا جعل أبو طلحة يحوشهم للمناظرة في دار المال وكان دفن عمر يوم الأحد وهو الرابع من يوم طعن وصلى عليه صهيب بن سنان، قال: فلما رأى عبد الرحمن طول تناجي القوم وتناظرهم وان كل واحد منهم يدفع صاحبه عنها قال لهم يا هؤلاء أنا اخرج نفسي وسعداً من الأمر على أن اختار يا معشر الأربعة أحدكم فقد طال التناجي وتطلع الناس إلى معرفة خليفتهم وإمامهم واحتاج من أقام لانتظار ذلك من أهل البلدان إلى الرجوع إلى أوطانهم فأجابوا إلى ما عرض عليهم إلا عليا فانه قال انظر واتاهم أبو طلحة فاخبره عبد الرحمن بما عرض وبإجابة القوم إياه إلا عليا فاقبل أبو طلحة على علي فقال يا أبا الحسن إن أبا محمد ثقة لك وللمسلمين فما بالك تخالفه وقد عدل الأمر عن نفسه فلن يتحمل المآثم لغيره فاحلف علي عبد الرحمن بن عوف أن لا يميل إلى هوى وان يؤثر الحق وان يجتهد للأمة وان لا يحابي ذا قرابة فحلف له فقال اختر مسدداً وكان ذلك في دار المال و يقال في دار المسور بن مخرمة ثم إن عبد الرحمن احلف رجلا رجلاً منهم بالإيمان المغلظة وأخذ عليهم المواثيق والعهود أنهم لا يخالفونه إن بايع منهم رجلان وان يكونوا معه على من يناويه فحلفوا على ذلك ثم أخذ بيد علي فقال له عليك عهد الله وميثاقه أن بايعتك أن لا تحمل بني عبد المطلب على رقاب الناس وعلى أن تسير بسيرة رسول الله ﷺ لا تحول عنها ولا تقصر في شيء منها فقال علي لا احمل عهد الله وميثاقه على مالا أدركه ولا يدركه احد من ذا يطيق سيرة رسول الله ﷺ ولكن أسير من سيرته بما يبلغه الاجتهاد مني وبما يمكنني ويقدر علمي، فأرسل عبد الرحمن يده ثم احلف عثمان وأخذ عليه العهود والمواثيق إن لا يحمل بني أمية على رقاب الناس وعلى أن يسير بسيرة رسول الله ﷺ وأبي بكر وعمر ولا يخالف شيئا من ذلك فحلف له فقال علي قد أعطاك أبو

عبد الله الرضا فشأنك فبايعه، ثم إن عبد الرحمن عاد إلى علي فأخذ بيده فعرض عليه أن يحلف بمثل تلك اليمين أن لا يخالف سيرة رسول الله وأبي بكر وعمر فقال علي عليٌّ الاجتهاد وعثمان يقول ونعم عليّ عهد الله وميثاقه واشد ما أخذ على أنبيائه أن لا أخالف سيره رسول الله وأبي بكر وعمر في شيء ولا أقصر عنها فبايعه عبد الرحمن وصافقه وبايعه أصحاب الشورى وكان علي قائماً فقعد فقال له عبد الرحمن بايع وإلا ضربت عنقك ولم يكن مع احد يومئذ سيف غيره. فيقال إن عليا خرج مغضباً فلحقه أصحاب الشورى وقالوا بايع وإلا جاهدناك فاقبل معهم يمشي حتى بايع عثمان))

البلاذري: أنساب الأشراف ٥/٢١-٢٢

نموذج آخر من تاريخ أبي مخنف

المسير إلى صفين:

قال أبو مخنف: وحدثني تميم بن الحارث الازدي، عن جندب بن عبد الله، قال: أنا لما انتهينا إلى معاوية وجدناه قد عسكر في موضع سهل افيح قد اختاره قبل قدومنا إلى جانب شريعة في الفرات، ليس في ذلك الصقع شريعة غيرها، وجعلها في حيزه، وبعث عليها أبا الأعور يمنعها ويحميها، فارتفعنا على الفرات رجاء أن نجد شريعة غيرها نستغني بها عن شريعتهم فلم نجدها، فأتينا علياً فأخبرناه بعطش الناس، وأنا لا نجد غير شريعة القوم، قال: فقاتلوهم عليها فجاءه الأشعث بن قيس الكندي فقال: أنا أسير إليهم، فقال له علي: فسر إليهم. فسار وسرنا معه، حتى إذا دنونا من الماء ثاروا في وجوهنا ينظحوننا بالنبل ورشقناهم والله بأنبل ساعة، ثم طعنا والله بالرماح طويلاً ثم سرنا أخر ذلك نحن والقوم إلى السيوف، فاجتدلنا بها ساعة. ثم إن القوم أتاهم يزيد بن أسد البجلي ممداً في الخيل والرجال، فاقبلوا نحونا فقلت في نفسي: فأمير المؤمنين لا يبعث إلينا بمن يغني عن هؤلاء، فذهبت فالتفت فإذا عدة القوم أو أكثر، قد سرحهم إلينا ليغنوا عنا يزيد بن أسد وأصحابه، عليهم شبث بن ربعي الرياحي، فو الله ما ازداد القتال إلا شدة، وخرج إلينا عمرو بن العاص من عسكر معاوية في جند كثير، فأخذ يمد أبا الأعور ويزيد بن أسد وخرج الاشتر من قبل علي في جمع عظيم. فلما رأى الاشتر عمرو بن العاص يمد أبا الأعور ويزيد بن أسد، أمد الأشعث بن قيس وشبث بن ربعي، فاشتد قتالنا وقتالهم، فما أنسى قول عبد الله بن عوف بن الأحمر الازدي:

خلوا لنا ماء الفرات الجاري ... أو اثبتوا لجحفلٍ جرار
لكل قوم مستميت شاري ... مطاعن برمحه كرار
ضراب هامات العدا مغوار

قال أبو مخنف: وحدثني رجل من آل خارجة بن التميمي إن ضبيان بن عمارة جعل يومئذ يقاتل وهو يقول:

هل لك يا ضبيان من بقاء ... في ساكن الأرض بغير ماء

لا واله الأرض والسماء ... فاضرب وجود الغدر الأعداء

بالسيف عند حمس الوغاء ... حتى يجيبوك إلى السواء

الطبري: تاريخ الرسل والملوك ٥٦٩/٤-٥٧٠

مسير الإمام الحسين عليه السلام إلى العراق:

قال أبو مخنف: وحدثني الحارث بن كعب الوالبي عن عقبة (عتبة) بن سمعان، إن حسيناً لما اجمع المسير إلى الكوفة أتاه عبد الله بن عباس فقال: يا بن عم انك قد ارجف الناس انك سائر إلى العراق، فبين لي ما أنت صانع؟ قال: إني قد أجمعت المسير في احد يومي هذين إن شاء الله تعالى، فقال له ابن عباس: فاني اعيذك بالله من ذلك اخبرني رحمك الله، أتسير إلى قوم قد قتلوا أميرهم، وضبطوا بلادهم، ونفوا عدوهم؟ فان كانوا قد فعلوا ذلك فسر إليهم، وان كانوا أفما دعوك إليهم وأميرهم عليهم قاهر لهم، وعمالهم تجبي بلادهم، فأنهم إنما دعوك إلى الحرب و القتال، لا امن عليك أن يغروك و يكذبوك ويخالفوك ويخذلوك، وان يستنفروا إليك فيكونوا اشد الناس عليك، فقال له الحسين: واني استخير الله وانظر ما يكون. قال: فخرج ابن عباس من عنده، فاتاه ابن الزبير فحدثه ساعة، ثم قال: ما ادري ما تركنا هؤلاء القوم وكفنا عنهم، ونحن أبناء المهاجرين وولاة هذا الأمر دونهم خبرني ما تريد أن تصنع؟ فقال الحسين: والله لقد حدثت نفسي بإتيان الكوفة، ولقد كتب إليّ شيعتي بها وأشراف أهلها، واستخير الله، فقال له ابن الزبير: أما لو كان لي بها مثل شيعتك ما عدلت بها، قال: ثم انه خشى أن يتهمه فقال: أما انك لو أقمت بالحجاز ثم أردت هذا الأمر

هاهنا ما خولف عليك إن شاء الله، ثم قام فخرج من عنده، فقال الحسين: هاها أن هذا ليس شيء يؤتاه من الدنيا أحب إليه من أن اخرج من الحجاز إلى العراق، وقد علم انه ليس له من الأمر معي بشيء، وان الناس لم يعدلوه، فود إني خرج منها لتخلو له.

الطبري: تاريخ الرسل و الملوك ٣٨٣/٥

عوانة بن الحكم (ت ١٥٨هـ/٧٧٥م)

يعد أبو الحكم عوانة من الإخباريين المعروفين في التاريخ الإسلامي، فقد نسب إلى الكوفة تارة، ونسب إلى البصرة تارة أخرى[١] و يبدوان نسبته إلى الكوفة اقرب منها إلى البصرة كما أكدت المصادر على ذلك. وقد أغفلت المصادر تاريخ مولده، وقد كان عوانة مولى لبني أسد، إذ إن أباه كان خياطا، وان أمه أمة لآل أيمن بن خزيم بن فاتك الأسدي[٢] وهناك رواية تشير إلى إن عوانة كان يشير إلى انتسابه إلى قبيلة كلب[٣] وقد هجاه الشاعر ذو الرمة في مجلس وابعد عنه الانتساب إلى قبيلة كلب بقوله[٤]:

الكـــني فـــاني مرســـل برســـالة ... إلى حكم من غير حسب و لا قرب

فلو كنت من كلب صميما هجوتها ... و لكن لعمري لا أخالك من كلب

ولكنّمـــا أخـــبرت انـــك ملـــصق ... كما ألصقت من غيره ثلمة القصب

ومن الغرابة في انتساب عوانة بن الحكم إلى أسد أو كلب دون الوقوف على احدها، وان أباه كان عالماً بأخبار العرب وأنسابها، وأصبح عاملاً لأسد بن عبد الله القسري على خراسان[٥] وكان الأجدر به وبحكم موقعه الاجتماعي والإداري وعلميته بالأنساب أن يقطع الأمر بانتسابه إلى أسد أو كلب ويذهب الدكتور جواد علي إلى انتسابه لقبيلة كلب والتي ينتهي نسب ابن الكلبي إليها[٦] ومن المحتمل إن روايات عوانة بن الحكم عن قبيلة كلب في الشام أدى إلى ترجيح

---

(١) ابن النديم: الفهرست ص٩١، ابن حجر: لسان: الميزان ٣٨٦/٤، الذهبي: العبر ٢٢٩/١، ابن العماد: شذرات الذهب ٢٤٣/١، البغدادي: هدية العارفين ٨٤٠/١.

(٢) ياقوت: معجم البلدان ٩٣/٦.

(٣) ن. م ٩٣/٦.

(٤) ن. م ٩٣/٦.

(٥) الزبيدي: طبقات النحويين و اللغويين ص٢٤٦، القفطي: أنباه الرواة ٣٦١/٢.

(٦) جواد علي: موارد الطبري، مجلة المجمع العلمي العراقي، المجلد الثامن ص٤٢٦.

الدكتور جواد علي هذا، ويقول مرجليوث ((لا يقوم هذا الحكم العام على أمثلة كثيرة، ومهما يكن الأمر فأنهم لم يميزوا أعمال الرواة من غيرهم قبل أن تتخذ الروايات صورة ثابتة صالحة للتدوين))[1] وان الدارس لسيرة عوانة بن الحكم وعلميته الإخبارية يقف على كوفيته، فالمصادر تقول: انه من علماء الكوفة عالماً بالأخبار ورواياتها، ملماً بالآثار والفتوح[2] ويقول المحدث الذهبي: انه أخباري مشهور عالم بالشعر وأيام الناس[3] و قد وصفه الزبيدي بالعالم الأديب[4] وكان فصيح اللسان، وكان ضريراً، واليه أشار عبد الله بن جعفر بقوله: وعوانة بن الحكم من علماء الكوفة بالأخبار خاصة والفتوح مع علم الشعر والفصاحة[5] ووقف بعض المؤرخين المحدثين من عرب ومستشرقين على سيرة عوانة و مقدرته الإخبارية، فيقول ((مرجليوث)) انه من العلماء بالفتوح خاصة مع علم الشعر[6] ووازن الدكتور شاكر مصطفى بينه وبين معاصره أبي مخنف فقال: انه عاصر أبا مخنف وتضلع أكثر منه بالشعر والأنساب، وان تساويا في معرفة أخبار الفتوح[7] ويمكننا القول: إن أبا مخنف كان علوي الهوى في رواياته، وان عوانة عثماني الهوى، فقد روى عبد الله بن المعتز عن الحسن بن عليل العنزي: إن عوانة بن الحكم كان عثمانيا، ويضع أخباراً لبني أمية[8] وقد حاول الدكتور حسين نصار تخفيف التعصب العثماني والأموي عن عوانة بقوله: ((كل هذه التهم تدلنا على انه كان كثير الخصوم، وانه لم نستطع معرفتهم، وسبب خصومهم له، وان خامرنا

---

(1) مرجليوث: دراسات عن المؤرخين العرب ص٩٨، ص٩٨.

(2) ابن النديم: الفهرست ص٩١ ياقوت: معجم الأدباء ٩٤/٦، ابن حجر: لسان الميزان ٣٨٦/٤.

(3) الذهبي: تاريخ الإسلام ٣٦٢/٦.

(4) الزبيدي: طبقات النحويين و اللغويين ص٢٤٦.

(5) ياقوت: معجم الأدباء ١٣٧/١٦.

(6) مرجليوث: دراسات عن المؤرخين العرب ص٩٧.

(7) شاكر مصطفى: التاريخ العربي والمؤرخون ٢٧٩/١.

(8) ياقوت: معجم الأدباء ١٣٧/١٦، ١٦٢.

الظن إن عثمانية عوانة، المزعومة ربما كانت هذه العداوة)) وقال: ((ترجح دائرة المعارف الإسلامية ذلك الرأي عثمانية عوانة – ولكن الهيثم بن عدي يروي خبراً عنه حين قتل محمد بن عبد الله بن الحسن بن علي بن أبي طالب بالمدينة وكيف انه ترحم عليه وذكر فضله، ومما يدل على انه يظهر العثمانية تقية منه، وخاصة انه في نهاية الخبر السابق يستفسر من المجالس إذا ما كان احد عيون الأمويين حاضراً فإذا تحقق من عدم حضور احد يمدح محمداً مدحاً رائعا))[1] ويعقب الدكتور شاكر مصطفى على مديح عوانة لمحمد بن عبد الله (النفس الزكية) بقوله: ((ربما كان هواه ضد العباسيين، لان ثمة أخباراً أخرى تذكر أسفه لفشل ثورة محمد ذي النفس الزكية ضد أبي جعفر المنصور))[2] وقد ابعد الأستاذ شاكر مصطفى تعاطف عوانة مع الأمويين بقوله: ((انه لا يتعصب للأمويين وان حسب عليهم، لأنه في الواقع لا يهمل الآراء المعارضة لهم ولا الروايات العراقية والمدنية وتجد في كتاب (أنساب الأشراف) للبلاذري وروايات رواها بجانب العلويين وأخرى ضد الكوفة))[3] ولدى عودتنا للمصدرين التاريخيين اللذين اعتمدهما الدكتور شاكر مصطفى، وجدنا البلاذري يشير إلى رمي الكعبة بالمنجنيق نقلا عن عوانة بن الحكم وقال: ((حتى ارتجت ووهت فارتفعت سحابة ذات برق ورعد فسقطت صاعقة على المنجنيق فأحرقتها وقتلت من أصحابها اثني عشر رجلا فذعر أهل الشام من ذلك وكفوا عن القتال))[4] وأورد المؤرخ الطبري عن زياد بن عبد البكائي عن عوانة بن الحكم بان بيعة معاوية (بيعة ضلالة) بقوله: ((أخذ معاوية البيعة من أهل المدينة حتى وصل الأمر إلى جابر فذهب إلى أم سلمة قال لها: إني قد خشيت إن اقتل وهذه بيعة ضلالة))[5] ويمكننا القول: إن عوانة بن الحكم كان

---

(1) حسين نصار: نشأة الكتابة الفنية ص٢٢١.

(2) شاكر مصطفى: التاريخ العربي والمؤرخون ١٢٨/١.

(3) شاكر مصطفى: التاريخ العربي والمؤرخون ١٨٠/١.

(4) البلاذري: أنساب الأشراف ٣٦٢/٥.

(5) الطبري: التاريخ ١٣٩/٥.

توفيقيا في آرائه تجاه السلطة سواء كانت أموية أم عباسية، وأحيانا كان يخرج عن هذه المنهجية فيشير إلى مثالب بعض حكام الدولتين الأموية والعباسية، ولذا كان يترحم على ذي النفس الزكية محمد بن عبد الله بن الحسن و يثني عليه[1] ويكتب ((سيرة معاوية وبني أمية)) ويقول الدكتور عبد العزيز الدوري: ((يعتبر عوانة عثمانيا في ميوله، فهو يعطي بوضوح روايات أموية، وأحيانا روايات داخلية عن الأسرة الأموية، ومع ذلك فبعض رواياته تعكس وجهة معاكسة للأمويين))[2] وتعكس روايتا البلاذري والطبري التي ذكرناها عن حيادية عوانة بن الحكم في نقل الروايات، وربما نجد في بعض النصوص روايات يشم منها ميولاً أموية، أو الميل نحو فكرة الجبر التي روجت في العصر الأموي في تفسير بعض الحوادث[3] وكانت روايات عوانة بن الحكم موضع اعتماد المؤرخين والإخباريين والنسابين وغيرهم كالمدائني في كتاب ((التعازي)) و البلاذري في كتابيه ((أنساب الأشراف)) و((فتوح البلدان)) والطبري في كتابه ((تاريخ الرسل والملوك)) وأبو الفرج الأصفهاني في كتابه ((الأغاني)) والذهبي في كتابه ((سير أعلام النبلاء)) و ابن كثير في كتابه ((البداية والنهاية)) وغيرهم، ويمكننا تجميع روايات عوانة في السيرة النبوية، والخلافة الراشدة والعصر الأموي إنتهاءاً بأخبار عمر بن عبد العزيز[4] وكانت خطته في التاريخ العام على أساس التسلسل التاريخي أو على سير الخلفاء، وتمثل منهجيته هذه ((خطوة لها دلالتها في تطور الكتابة التاريخية ضمن الاتجاه القبلي))[5] ويعتقد الأستاذ ((روزنثال)) إن عوانة في كتابه ((سيرة

---

(١) علي ادهم: بعض مؤرخي الإسلام ص١٢٣.

(٢) الدوري: بحث في نشأة علم التاريخ عند العرب ص١٢٣.

(٣) الدوري: بحث في نشأة علم التاريخ ص٣٦، شاكر مصطفى: التاريخ العربي ص٩١.

(٤) ابن كثير: البداية والنهاية ٩/٢٧٣-٢٧٥.

(٥) الدوري: بحث في نشأة علم التاريخ ص٣٧.

معاوية و بني أمية)) قد نهج نهج كتب التاريخ المرتبة على الدول[1] ومن المحتمل ان كتابه المفقود هذا قد تناول فيه، حركات الخوارج ضد معاوية بن أبي سفيان، ومقتل حجر بن عدي وأصحابه، وولاة معاوية في العراق و بلاد فارس، كما تشير إلى ذلك اقتباسات المؤرخ الطبري (ت٣١٠هـ)[2] كما تناولت حكم يزيد بن معاوية والأحداث في عصره، وهي مهمة لدارس التاريخ الإسلامي، ولم نجد في روايات عوانة بن الحكم إسناداً، مما أشار إليه بعض المؤرخين المهتمين بعلم الحديث كالذهبي وابن حجر إلى القول: ((قل أن نرى حديثاً مسنداً))[3] وهذا الجانب مما يضعف من لفظ الوثاقة التي أطلقها عليه ياقوت الحموي في ((معجم الأدباء))[4] ولا ندري إن كتاب عوانة ((التاريخ)) الذي لم يصل إلينا وقد أشار إليه ابن النديم في ((الفهرست))[5]، انه قد تناول أحداث التاريخ الإسلامي في الحقبة الزمنية الأولى، ويحتمل انه اعتمد الإسناد في رواياته. وذكر ابن النديم إن عوانة بن الحكم بناء على رغبة الوليد بن عبد الملك (٨٦- ٩٦هـ) قد كتب ((ديوان العرب وأشعارها وأخبارها وأنسابها ولغاتها))[6] وقد روى مؤلفات عوانة تلاميذه وجماعة من أهل العلم كالاصمعي وهيثم بن عدي، وابن الكلبي والمدائني، ويقول ياقوت الحموي: إن عامة أخبار المدائني عن عوانة[7] وذكر الأستاذ ((فلهوزن)) في كتابه ((تاريخ الدولة العربية وسقوطها)) إن البكائي كان ينقل عن عوانة[8] وان معظم أخبار المدائني نقلت عن عوانة[1] ومن الملاحظ إن

---

(١) روزنثال: علم التاريخ عند المسلمين ص١٢٨، السيد عبد العزيز سالم: التاريخ والمؤرخون العرب ص٦٩.

(٢) الطبري: التاريخ ١٣٤/٥، ١٩٥، ٢٥٥.

(٣) الذهبي: تاريخ الإسلام ٣٦٢/٦، ابن حجر: لسان الميزان ٣٨٦/٢.

(٤) ياقوت: معجم الأدباء ١٣٤/١٦، ١٣٧.

(٥) ابن النديم: الفهرست ص٩١.

(٦) ن. م.

(٧) ياقوت: معجم الأدباء ١٣٧/١٦.

(٨) فلهوزن: تاريخ الدولة العربية ص١٠١.

المصادر تشير إلى إن عوانة بن الحكم كان ضريراً، و بناء على حالته الصحية هذه فانه قد أملى كتبه على تلاميذه، وان روايته للشعر قد جاءت من حافظته القوية، وهي ((تعكس اثر أسلوب قصص الأيام))[٢] و يقول الدكتور حسين نصار: إن أسلوب عوانة بن الحكم، منساب منطلق، يعني في بعض الفقرات بالحوار وبالشعر، وما يدور بين أبطال الحوادث.[٣] و تبقى روايات عوانة ذات أهمية تاريخية، لأنها كتبت في مطلع القرن الثاني للهجرة فيما لو أخذنا برواية ابن النديم القائلة إن عوانة توفى عام ١٤٧هـ، بينما يجمع الآخرون على أن وفاته عام ١٥٨هـ[٤] أي في السنة التي توفى فيها الخليفة العباسي الثاني أبو جعفر المنصور. وان فترة حياته تشير إلى انه عاصر أواخر الدولة الأموية، وقضى شطراً من تاريخ الدولة العباسية: ومن باب الاستشهاد بنصوص عوانة بن الحكم في العصر الأموي، نضع نصين احدهما للمؤرخ البلاذري (ت ٢٧٩هـ) و ثانيهما للمؤرخ الطبري (ت٣١٠ هـ) فقد تناول النص التاريخي الأول وفاة يزيد بن معاوية عام ٦٣هـ، والإرهاصات السياسية التي حصلت في هذه السنة، فأورد الطبري ذلك على النحو الآتي:

((وأما عوانة بن الحكم فانه قال، فيما ذكر هشام، عنه وقال: لما بلغ ابن الزبير موت يزيد، وأهل الشام لا يعلمون بذلك، قد حصروه حصاراً شديداً وضيقوا عليه، أخذ يناديهم هو وأهل مكة: علام تقاتلون؟ قد هلك طاغيتكم، وأخذوا لا يصدقونه حتى قدم ثابت بن قيس بن المنقع النخعي من أهل الكوفة في رؤوس أهل العراق، فمر بالحصين بن نمير- وكان له صديقاً - وكان بينهما صهر، وكان يراه عند معاوية فكان يعرف فظله و سلامة شرفه - فسأل عن الخبر فاخبره

---

(١) شاكر مصطفى: التاريخ العربي و المؤرخون ١٢٨/١.

(٢) حسين نصار: نشأة التدوين التاريخي ص٥٨.

(٣) حسين نصار: نشأة التدوين التاريخي ص٥٨، نشأة الكتابة الفنية ص٢٢٣.

(٤) ابن النديم: الفهرست ص١٤٠، ياقوت: معجم الأدباء ١٣٦/١٦، الذهبي: العبر ٢٣٠/١، ابن العماد:شذرات الذهب ٢٤٣/١.

بهلاك يزيد، فبعث الحصين بن نمير إلى عبد الله بن الزبير، فقال: موعد ما بيننا وبينك الليلة الابطح، فالتقيا فقال له الحصين: إن يك هذا الرجل قد هلك فأنت أحق الناس بهذا الأمر، هلم فلنبايعك، ثم اخرج معي إلى الشام، فان هذا الجند الذين معي هم وجوه أهل الشام و فرسانهم، فوالله لا يختلف عليك اثنان، وتؤمن الناس و تهدر هذه الدماء التي كانت بيننا وبينك، والتي كانت بيننا وبين أهل الحرة، فكان سعيد بن عمرو يقول: ما منعه أن يبايعهم ويخرج إلى الشام إلا تطيّر، لأنه مكة التي منعه الله بها، وكان ذلك من جند مروان، وان عبد الله والله لو سار معهم حتى يدخل الشام ما اختلف عليه منهم اثنان، فزعم بعض قريش انه قال: أنا أهدر تلك الدماء أما والله لا أرضى أن اقتل بكل رجل منهم عشرة، وأخذ الحصين يكلمهم سراً، وهو يجهر جهراً، وأخذ يقول: لا والله لا افعل، فقال له الحصين بن نمير: قبح الله من يعدك بعد هذه داهيا قط أو أديبا قد كنت أظن إن لك رأياً، إلا أراني أكلمك سراً و تكلمني جهراً وادعوك إلى الخلافة وتعدني القتل والهلكة.

ثم قام فخرج و صاح في الناس، فاقبل فيهم نحو المدينة، وندم ابن الزبير على الذي صنع، فأرسل إليه: أما أن أسير إلى الشام فلست فاعلاً، واكره الخروج من مكة، ولكن بايعوا لي هنالك فاني مؤمنكم وعادل فيكم فقال له الحصين: أرأيت إن لم تقدم بنفسك، ووجدت هنالك أناساً كثيراً من أهل هذا البيت يطلبونها يجيبهم الناس، فما أنا صانع؟ فاقبل بأصحابه ومن معه نحو المدينة فاستقبله علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب ومعه قتّ وشعير، وهو على راحلته، فسلم على الحصين، فلم يكد يلتفت إليه، ومع الحصين بن نمير فرس له عتيق، وقد فنى قته و شعيره فهو غرض وهو يسب غلامه و يقول: من أين نجد هنا لدابتنا علفاً، فقال له علي بن الحسين: هذا علف عندنا، فاعلف منه دابتك، فاقبل على علي عند ذلك بوجهه فأمر له بما كان عنده من علف، واجترأ أهل المدينة و أهل الحجاز على أهل الشام فذلوا حتى كان لا ينفرد منهم رجل إلا أخذ بلجام دابته ثم نكس عنها، فكانوا يجتمعون في معسكرهم فلا يفترقون. وقالت لهم بنو

أمية: لا تبرحوا حتى تحملونا معكم إلى الشام ففعلوا، ومضى ذلك الجيش حتى دخل الشام، وقد أوصى يزيد بن معاوية بالبيعة لابنه معاوية بن يزيد، فلم يلبث إلا ثلاثة أشهر حتى مات.

وقال عوانة: استخلف يزيد بن معاوية ابنه معاوية بن يزيد فلم يمكث إلا أربعين يوماً حتى مات)).

الطبري: تاريخ الرسل والملوك ٥/٥٠١-٥٠٣

نصوص من تاريخ عوانة بن الحكم:

((قال عوانة: وكان إبراهيم بن الاشتر عاملاً للمختار حين قتل على الموصل ونواحيها فكتب إليه مصعب يدعوه إلى طاعته والبيعة لعبد الله بن الزبير فسارع إلى ذلك وقدم عليه فولى المهلب ما كان يليه من الموصل والجزيرة ثم عزله وأعاد إبراهيم بن الاشتر إلى عمله، فلما صح عنده وصول عبد الملك يريده بعث إلى ابن الاشتر فأقدمه عليه فجعله على مقدمته وسار حتى أتى دمماً وهي من عمل الانبار ثم قطع منها حتى نزل بقرب أوانا وهناك دجيل وزير الجاثليق وباجميرا فعسكره وموضع وقفته بين هذه المواضع، وكاتب عبد الملك وجوه أهل الكوفة والبصرة ورغبهم في الأموال والأعمال وكتب إليه جماعة منهم يستعجلونه على نصرتهم إياه وانحرافهم عن مصعب ولاية اصبهان فكان يسأل عنها ويقول ما اصبهان هذه أتنبت الذهب والفضة لقد كتب إلي فيها أربعون كتاباً، وكتب عبد الملك إلى إبراهيم بن الاشتر فجعل له ولاية العراقيين فأخذ كتابه فدفعه إلى مصعب وقال له أصلح الله الأمير إن عبد الملك لم يكتب إلي بهذا الكتاب إلا وقد كتب إلى هؤلاء الوجوه بمثله وقد أفسدهم عليك فانا أرى أن تأخذ وجوه أهل المصرين فنشدهم بالحديد فقال له يا أبا النعمان اناخذ الناس بالظنة قال فاجمعهم في أبيض المدائن لئلا يشهدوا الحرب معك قال إذا افسد قلوب عشائرهم قال فأبعث بهم إلى أخيك بمكة فقال ليس هذا رأي قال فان لقيت العدو فلا تمدني بأحد منهم و اتهمهم...))

البلاذري: أنساب الأشراف ٣٦٣/٥- ٣٣٧

سيف بن عمر الأسدي التميمي
(ت ١٨٠هـ/٧٩٦م)

يعد سيف بن عمر الكوفي الأسدي التميمي من مؤرخي مدرسة العراق الإخبارية، فانه نشأ في المدينة المنورة، وعاش في الكوفة، وأصبح من أصحاب السير والأحداث[١] إذ انه كتب ((الفتوح الكبير والردة)) وكتب ((الجمل ومسير عائشة وعلي))[٢] وقد تعرض في كتاباته عن الفتنة التي أججها معاوية بن أبي سفيان ضد أمير المؤمنين علي عليه السلام، ويقول الدكتور الدوري: إن كتاب (الفتوح الكبير و الردة) طريف في نظرته التاريخية التي تجمع بين حركتي الردة و الفتوحات[٣] ولم يبق من كتب سيف بن عمر سوى ما نقله المؤرخ الطبري وغيره من المؤرخين، وأشار ابن خلكان إلى كتاب ((الروايات)) وكتاب ((طسم و جديس)) وكتاب ((صفة النبي)) وكتاب ((فضائل الأنصار)) وكتاب ((الفضائل الكبير)) وكتاب ((ولد إسماعيل عليه السلام)). وكانت نقولات الطبري عن سيف بن عمر، تعبر عن الروح الإقليمية، إذ انه كان. الأساس للنظرة العراقية[٤] حيث انه استفاد من شيوخ مدينة الكوفة، ولعله هو الذي جعله يميل إلى الجانب القبلي و التعصب الظاهر له[٥] وإلى هذا الجانب أشار المستشرق بروكلمان بقوله: كان سيف بن عمر في كتبه مغاليا في الفخر لقبيلته، فكان يحرف الأحاديث والأحداث، ويعظم بعضا و يحقر بعضاً، ولكنه كان يحسن الوصف والبيان[٦] وهذا له دلالة أن الدوافع الإقليمية والقبلية يصبغان كتابات سيف بن عمر، فيقول المستشرق جب

---

(١) ابن النديم: الفهرست ص١٠٦.

(٢) المصدر نفسه.

(٣) الدوري: بحث في نشأة علم التاريخ ص٣٧.

(٤) الدوري: بحث في نشأة علم التاريخ ص٣٧.

(٥) عبد العزيز سالم: التاريخ و المؤرخون العرب ص٦٨.

(٦) بروكلمان: تاريخ الأدب العربي ٣/٣٦.

((إن سيف بن عمر روج رواية بني تميم في صورة قصص تاريخية عن الفتوحات واستندت في الغالب إلى أشعار كانت صلتها بالنثر تكون نفس الصلة بين هذين الفنين من القصص الأيام[1] وكان استخدام سيف بن عمر للإسناد في رواياته مما قربه لمنهج المحدثين، ولهذا تعرض لمصطلحات الجرح والتعديل، فقد وجهت إليه تهمة الوضع في الروايات، وهذا مما أدى إلى تجريحه وتضعيفه[2] فكان قد روى عن الإمام علي عليه السلام رواية في فضائل الكوفة وإيمان أهلها وأنها ((لقبة الإسلام)) وان الله لينصرن بأهلها كما انتصر بالحجارة من قوم لوط[3] و بعض الروايات كانت تتصل بالإمام علي وعبد الله بن عباس، ويأخذ معظم رواياته عن عدد من الرواة وبالأخص عن طلحة بن الأعلم و محمد بن عبد الله، كما في تاريخ الطبري، واعتمد كليا على قبيلته تميم و بخاصة عن فتح العراق.

---

(1) جب: دراسات في حضارة الإسلام ص١٥١، ينظر شاكر مصطفى: التاريخ والمؤرخون ١/١٨٠.

(2) ابن حجر: تهذيب التهذيب ٤/٢٩٦.

(3) الطبري: التاريخ ٤/٥٩، ابن الجوزي: المنتظم ٤/٨٥ أ.

تاريخ سيف بن عمر

خبر مسيلمة الكذاب:

((عن سيف، عن طلحة بن الأعلم، عن عبيد بن عمير، عن رجل منهم، قال: لما بلغ مسيلمة دنو خالد، ضرب عسكره بعقرباء، واستنفر الناس، فجعل الناس يخرجون إليه، وخرج مجاعة بن مرارة في سرية يطلب ثاراً له في بني عامر وبني تميم قد خاف فواته، وبادر به الشغل، فأما ثأره في بني عامر فكانت خولة ابنة جعفر فيهم، فمنعوه منها، فاختلجها، وأما ثأره في بني تميم فنعم أخذوا له، واستقبل خالد شرحبيل بن حسنة، فقدمه وأمر على المقدمة خالد بن فلان المخزومي، وجعل على المجنبتين زيداً وأبا حذيفة، وجعل مسيلمة على مجنبتيه المحّكم والرجّال، فسار خالد ومعه شرحبيل، حتى إذا كان من عسكر مسيلمة على ليلة، هجم على جبيلة هجوم المقلل يقول: أربعين، والمكثر يقول: ستين، فإذا هو مجّاعة وأصحابه، وقد غلبهم الكرى، وكانوا راجعين من بلاد بني عامر، وقد طووا إليهم، واستخرجوا خولة ابنة جعفر فهي معهم، فعرّسوا دون أصل الثنية، ثنية اليمامة، فوجدوهم نياماً وأرسان خيولهم بأيديهم تحت خدودهم و هم لا يشعرون بقرب الجيش منهم،فانبهوهم، وقالوا: من انتم؟ قالوا: هذا مجاعة وهذه حنيفة، قالوا: انتم فلا حياكم الله فأوثقوهم وأقاموا إلى أن جاءهم خالد بن الوليد، فاتوه بهم، فظن خالد أنهم جاءوه ليستقبلوه وليتقوه بحاجته، فقال: متى سمعتم بنا؟ قالوا: ما شعرنا بك، إنما خرجنا لثار لنا فيمن حولنا من بني عامر وتميم، ولو فطنوا لقالوا: تلقيناك حين سمعنا بك، فأمر بهم أن يقتلوا، فجادوا كلهم بأنفسهم دون مجاعة بن مرارة، قالوا: إن كنت تريد بأهل اليمامة غداً خيراً أو شراً فاستبق هذا ولا تقتله، فقتلهم خالد وحبس مجاعة عنده كالرهينة))

الطبري: تاريخ الرسال و الملوك ٣/٢٨٦-٢٨٧

القادسية (يوم ارماث):

((عن سيف، عن محمد، عن عبيد الله، عن نافع وعن الحكم، قالا: لما أراد رستم العبور امر بسكر العتيق بحيال قادس، وهو يومئذ أسفل منها اليوم مما يلي عين الشمس، فباتوا ليلتهم حتى الصباح يسكرون العتيق بالتراب والقصب والبراذع حتى جعلوه طريقا، واستتم بعد ما أرتفع النهار من الغد.

عن سيف، عن محمد وطلحة وزياد بإسنادهم، قالوا: ورأى رستم من الليل إن ملكا نزل من السماء، فأخذ قسي أصحابه، فختم عليها، ثم صعد بها إلى السماء، فاستيقظ مهموماً محزوناً، فدعا خاصته فقصها عليهم، وقال: إن الله ليعظنا، لوان فارس تركوني اتعظ أما ترون النصر قد رفع عنا، وترون الريح مع عدونا، وأنا لا نقوم لهم في فعل و لا منطق، ثم هم يريدون مغالبة بالجبرية فعبروا بأثقالهم حتى نزلوا على ضفة العتيق.

عن سيف، عن الاعمش، قال: لما كان يوم السكر، لبس رستم درعين ومغفراً وأخذ سلاحه، وأمر بفرسه فأسرج فأتى به فوثب، فإذا هو عليه لم يمسه ولم يضع رجله في الركاب، ثم قال: غداً ندقهم دقا، فقال له رجل: إن شاء الله، فقال: وان لم يشأ.

الطبري: تاريخ الرسل والملوك ٣/٥٢٩-٥٣

نصر بن مزاحم المنقري (ت ٢١٢هـ/٨٢٧م)

ولد أبو الفضل نصر بن مزاحم بن يسار (سيار) المنقري بمدينة الكوفة ولم تحدد المصادر تاريخ مولده، وقد عد في طبقة أبي مخنف (لوط بن يحيى) المتوفى قبل عام ١٧٠هـ، وترجح ولادته قريبة من عام ١٢٠هـ[١]. فهو كوفي النشأة، بغدادي السكن، يقول الخطيب البغدادي ((اخبرنا علي بن عمر الحافظ قال: نصر بن مزاحم المنقري، سكن بغداد، عداده في الكوفيين))[٢]. وقد نسب إلى بني منقر بن عبيد بن الحارث بن عمرو بن كعب بن سعد بن زيد مناة بن تميم، وكان والده عطاراً في مدينة الكوفة، وتولى منصب الحسبة فيها زمنا طويلا[٣]. وقد حدث نصر بن مزاحم بمدينة بغداد عن أعلام الحديث والتفسيرهم[٤].

١- سفيان الثوري.

٢- شعبة بن الحجاج.

٣- حبيب بن حسان.

٤- عبد العزيز بن سياه.

٥- يزيد بن إبراهيم التستري.

٦- زياد بن المنذر.

وتبدو من مؤلفات نصر بن مزاحم في ((مقتل حجر بن عدي)) و ((مقتل الحسين بن علي)) وكتاب ((الغارات)) و((صفين)) و((الجمل)) و((أخبار المختار)) و((من المغالين))[٥]. ولعل هذا القول بعيد عن الحقيقة، فانه ألف في التاريخ الشيعي كما يبدو من مؤلفاته ويذهب بروكلمان إلى انه أول من ألف في التاريخ

---

(١) عبد السلام محمد هارون: مقدمة كتاب (صفين) ص (ز).

(٢) الخطيب: تاريخ بغداد ٣/٢٨٣.

(٣) ابن النديم: الفهرست ص١٠٦، بروكلمان: تاريخ الأدب العربي ٣/٢٧.

(٤) الخطيب: تاريخ بغداد ٣/٢٨٢.

(٥) ياقوت: معجم الأدباء ١٩/٢٢٥.

من علماء الشيعة[1]. فهو من طبقة أبي مخنف كما يقول ابن النديم[2]. وكان عارفا (بالتاريخ والأخبار)[3]. ويمكننا القول انه كرس معظم تأليفه للموضوعات التي تهم الشيعة، ولكن لم يصل منها الينا سوى كتاب صفين، ويقول الدكتور الدوري ((ففي كتاب صفين نلاحظ ميول نصر بن مزاحم عراقية علوية، فهو يورد الحديث ضد معاوية وحزبه، ويورد الأحاديث والأخبار وحتى القصص ليسند قضية الإمام علي عليه السلام ومع ذلك فانه حيث يتناول مثالب معاوية لا يخفي بعض النقد الموجه للحزب العلوي من خصومه ونتيجة لميول نصر الحزبية تجد بعضهم ينتقده بينما يثني آخرون عليه[4]. ويستفاد من كلام الدكتور الدوري إن نصر بن مزاحم قد تجد حيادية في بعض نصوص كتابه، على نقيض ما رواه الأستاذ بروكلمان بقوله: ((والواقع أن النزعة الشيعية أصرح وأشفق تقنعا في تاريخ موقعة صفين الذي كتبه نصر بن مزاحم، ولقد انتهى إلينا في نصه الأصلي ولا يزال يتلى إلى اليوم في الدوائر الشيعية كسيرة قومية[5]. ولعل الذين أخذوا بشيعية نصر بن مزاحم الغالية قد حاولوا إضفاء صفة الضعف والتجريح عليه، فقد اتهم بالكذب والرواية عن الضعفاء والمناكير والغلو في المذهب والاضطراب في الحديث ونحو ذلك[6]. ونجد المصادر الشيعية أكثر حيادية في الرأي إذ أنها تصف نقاط القوة والضعف في روايات نصر بن مزاحم، يقول أبو علي: ((انه مستقيم الطريقة صالح، غير انه يروي عن الضعفاء وكتبه حسان وقال: ((انه ثبت صحيح النقل

(1) بروكلمان: تاريخ الأدب العربي: ٣٦/٣.

(2) الفهرست ص١٠٦.

(3) معجم الأدباء ٢٢٥/١٩.

(4) الدوري: بحث في نشأة علم التاريخ عند العرب ص٣٨.

(5) بروكلمان: تاريخ الشعوب الإسلامية ٣٠/٢.

(6) الخطيب: تاريخ بغداد ٢٨٣/١٣، ابن حجر: لسان الميزان ١٥٧/٦، ياقوت: معجم الأدباء ١٩ / ٢٢٥.

غير منسوب إلى هوى ولا إدخال وهو من رجال الحديث))[١]. ويقول الأستاذ عبد السلام محمد هارون ((ومهما يكن فان الناظر في كتابه هذا (صفين) يلمس هدوء المؤرخ الذي لا تستفزه العصبية إلى هواه، إلا في القليل لا يستطيع منه إفلاتاً، فهو حين يذكر مثالب معاوية لا يخفي مطاعن أعداء علي))[٢]. ونحن مع هذا الرأي كما توضحه نصوص الكتاب، وكان ابن أبي الحديد في ((شرح نهج البلاغة)) ينقل عنه كثيراً[٣]. فقد كان يروي الأخبار ويستشهد بالأشعار، وهو في كل ذلك ((لا يخطئه التوفيق في مراعاة الانسجام واستواء التصوير واتساق العرض))[٤].

(١) أبو علي: منتهى المقال ص٣١٧.

(٢) عبد السلام محمد هارون: مقدمة كتاب صفين ص(ز).

(٣) بروكلمان: تاريخ الأدب العربي ٣/٣٧.

(٤) عبد السلام محمد هارون مقدمة صفين ص(ز).

الهيثم بن عدي (ت ٢٠٧هـ/٨٢٣م)

كان أبو عبد الرحمن الهيثم بن عدي الطائي من الإخباريين الكوفيين البارزين، فانه ولد في مدينة الكوفة، ونشأ بها، ثم انتقل إلى بغداد وحدث بها، ويقول الخطيب البغدادي إن والده كان واسطياً، وان أمه من سبي منبج[١]. ويبدو إن انتسابه إلى الكوفة يعبر عن مولده فيها، وقضائه شطراً من حياته بين أعلامها ومجتمعها حتى أصبح من إخبارييها البارزين، فنقل كلام العرب وعلومها وأشعارها، إضافة إلى علميته في الشعر والأخبار والمثالب والمناقب والمآثر والأنساب وقد قيل عنه: كان إخباريا علامة راويا مؤرخا[٢]. وذكر له ابن النديم ثلاثة وخمسين كتابا، أكثرها في التاريخ والأنساب والطبقات[٣]. وان أبرزها كتابه (التاريخ على السنين)، وهذا مما يؤكد انه كان من رواد الإخباريين الذين اعتمدوا طريقة الحوليات (chronicles) في الكتابة التاريخية، وهي التي تدور على عرض الحوادث وفق السنين، وقد سار على هذه المنهجية علماء التاريخ العرب والمسلمين، وفي مقدمتهم الطبري وابن الأثير، وقد أضاف الهيثم بن عدي لثقافته التاريخية، كتاباته في (الطبقات) ومنها ((طبقات الصحابة)) و((طبقات الفقهاء والمحدثين)) و((طبقات من روى عن النبي من الصحابة)) و((تاريخ الأشراف الكبير)) و((تاريخ الأشراف الصغير)) وان تضلعه في الأنساب كتب ((بيوتات قريش)) و((بيوتات العرب)) و((نسب طي))[٤]. وهو في هذا الجانب سبق البلاذري في الأنساب واليه أشار ابن النديم بقوله: انه كان عالماً بالشعر والأخبار

---

(١) الخطيب البغدادي: تاريخ بغداد ١٤ / ٥١.

(٢) ابن خلكان: وفيات الأعيان ١٠٦/٦، ياقوت: معجم الأدباء ٧/ ٢٦٢، ابن النديم: الفهرست ص١١٢، الذهبي: العبر ٣٥٤/١، ابن العماد: شذرات الذهب ١٩/٢.

(٣) ابن النديم: الفهرست ص١١٢.

(٤) ابن خلكان: وفيات الأعيان ٥/ ١٥٨.

والمثالب والمناقب والمآثر والأنساب[1]. فكتب في ((أخبار الفرس)) و(الخوارج) و(تاريخ العجم وبني أمية) كما كتب في العرب عدة كتب منها: ((نزول العرب بخراسان والسواد)) و((افتراق العرب ونزولها بمنازلها)) وكتاب ((من تزوج من الموالي في العرب)) وكتب في ((أهل الشام)) و((الخوارج)) و((المعمرين)) وكتاب الوفود[2]. وكتب في الكوفة (ولاة الكوفة) و(خطط الكوفة) و(تاريخ الشرط لأمراء العراق) وكتاب (فخر أهل الكوفة على البصرة)[3]. ويعد التأليف في الخطط جديداً عند الإخباريين، ويبدو إن هذا اللون من التأليف نشأ في العراق على يد الهيثم بن عدي[4]. وهذا ما يعطيه صفة الريادة في الكتابة التاريخية، إذ انه لم يبادر غيره من الإخباريين إلى كتابة هذا النوع من التاريخ، فهو أول من صنف على هذا النمط، ومن ثم أصبح بعده لونا عاديا[5]. فقد كان له السبق في كتابة (الحوليات) و(الطبقات). وقد يكون قد سبق الواقدي في هذا الجانب، أما في الخطط والبلدان فانه كتب (خطط الكوفة) واليه أشار المؤرخ (جب) بقوله: ((ويبدو إن أدب الخطط هذا نشأ في العراق، وكان أهم المؤلفات فيه مؤلف مفقود للهيثم بن عدي))[6]. وبما إن الهيثم بن عدي كان خارجي المعتقد، فانه ألف في مذهبه وعقيدته كتابا سماه ((تاريخ الخوارج)) ومن المحتمل إن عقيدته هذه جعلته عرضة للتجريح، وقد أشار إلى ذلك مترجموه[7]. على الرغم من كونه قريبا من السلطة العباسية، إذ اختص بالمنصور والمهدي والرشيد[8]. ويلمح ابن خلكان إلى

---

(1) الفهرست ص١٥١.

(2) وفيات الأعيان ٥/ ١٥٨، الصفدي: الوافي بالوفيات ٥١/١.

(3) وفيات الأعيان ١٥٨/٥ و الوافي ٥٢/١.

(4) جب: دراسات في حضارة الإسلام ص١٦٥.

(5) عبد الحميد العبادي: (المامة بالتاريخ عند العرب) من كتاب (علم التاريخ) لهرنشو ص٦٨.

(6) جب: دراسات في حضارة الإسلام ص١٦٥.

(7) ابن خلكان: وفيات الأعيان ٦/ ١٠٧، ابن قتيبة: المعارف ص٥٣٨.

(8) ابن خلكان: وفيات الأعيان ٥/ ١٥٨، القفطي: أنباه الرواة ٣٦٩/٣.

إن سبب التجريح يعود إلى حسد بعضهم للهيثم بن عدي لتبوئه مكانة محترمة عند السلطة العباسية، أو إلى ميله إلى الخوارج[١]. أما ياقوت الحموي فانه يرجع السبب إلى تعرضه للناس وأخبارهم ونقل معاييبهم[٢]. وقد قيل في هجائه[٣]:

إذا نسبت عديا في بني ثعل ... فقدم الدال قبل العين في النسب

وهجاه الشاعر أبو نؤاس بقوله:

يا هيثم بن عدي لست للعرب ... ولست من طيء إلا على شغب

وفيه يقول دعبل الخزاعي:

سألت أبي وكان أبي عليماً ... بأخبار الحواضر والبوادي
فقلت له اهيثم من عدي ... فقال كأحمد بن أبي داؤود
فان يك هيثم منهم صحيحا ... فأحمد غير شك ابن أبي داود
حتى كلت أياد رؤوس قوم ... لقد غضب الإله على العباد

فان المصادر تؤكد انتسابه لقبيلة (طيء) فهو أبو عبد الرحمن الهيثم بن عدي بن عبد الرحمن بن زيد بن أسيد بن جابر بن عدي بن خالد بن خيثم بن أبي حارثة بن جدي بن ثدول بن بحتر بن عتود بن عنين بن سلامان بن ثقل بن عمرو بن الغوث بن جلهمة الطائي الثعالبي البحتري الكوفي[٤]. ولكن المؤرخين والمحدثين هاجموا الهيثم بن عدي هجوماً عنيفا[٥]. وجردوه عن الثقة وقالوا: ليس بشيء بل يكذب ومتروك الحديث، وقالت عنه جاريته: ((كان مولاي يقوم عامة الليل يصلي، فإذا أصبح جلس يكذب)) وأشار إلى كذبه كل من البخاري وأبي

(١) المصدر نفسه ٦ / ١٠٦.

(٢) ياقوت: معجم الأدباء ١٩ / ٣٠٨.

(٣) المصدر نفسه.

(٤) الخطيب: تاريخ بغداد ١٤/٥٠، ابن خلكان: وفيات الأعيان ٢/٣٥٧، ياقوت معجم الأدباء ١٩/٣٠٤.

(٥) أحمد أمين: ضحى الإسلام ٢/٣٥٨.

داود ويحيى بن معين[1]. ومن المحتمل إن بعض ألفاظ التجريح قد أضيفت إليه بدلالة انه ذكر العباس بن عبد المطلب بشيء فجلس لذلك عدة سنين[2]. ويقول القفطي ((قد كان القول فيه تلبيساً عليه، لبسه قوم صاهرهم فلم يرضوه))[3]. ومن المحتمل إن السلطة إذا لم يوافقها حديث احدهم تلفق حوله مصطلحات التجريح، ولعل هذا حصل بعد موقعه المتميز عند المنصور والمهدي والرشيد عند نزوله بمدينة بغداد[4]. ومن المحتمل إن حسد الحاسدين عليه لمكانته عند الخلفاء العباسيين أو ميله نحو الخوارج كان عاملاً على إلصاق صفات التجريح به، ومن المحتمل: أن تعرضه لأحوال الناس وأخبارهم، جعل بعضهم يضمر العداء له، أو يغري الولاة عليه، وحتى الشعراء فقدموا لهجوه[5]. ويبدو إن أجماعاً حصل على عدم توثيق الهيثم بن عدي حتى عند علماء الإمامية[6]. وكان الهيثم بن عدي قد استقى جانبا من ثقافته ومعارفه من أوائل المحدثين وكتاب السيرة وهم[7]:

١- هشام بن عروة.

٢- محمد بن إسحاق.

٣- مجالد بن سعيد.

٤- محمد بن عبد الرحمن بن أبي ليلى.

٥- سعيد بن أبي عروة.

٦- شعبة بن الحجاج.

---

(١) ياقوت: معجم الأدباء ١٩/ ٣٠٤، ابن العماد: شذرات الذهب ١٩/٢.

(٢) ابن خلكان: وفيات ١٥٧/٥، القفطي: أنباه الرواة ٣ / ٣٦٥.

(٣) القفطي: أنباء الرواة ٣ / ٣٦٥.

(٤) ن.م ٣ / ٣٦٩، البغدادي: هدية العارفين ٢ /٥١١.

(٥) ياقوت: معجم الأدباء ١٩ / ٣٠٨.

(٦) الطوسي: الرجال ص٩٥، الخوئي: معجم رجال الحديث ٧٣/١٩.

(٧) ابن قتيبة: المعارف ص٥٣٧، الخطيب تاريخ بغداد ١٤ / ٥١.

وأشارت المصادر إلى انه كان من طبقة ابن الكلبي ويشبهه في مجال دراساته الذي كان يذوب أمامه لتفوقه عليه تفوقا ظاهراً[1]. وقد روى عن الهيثم إخباريون وعلماء السيرة والطبقات وهم[2]:

١- عبد الله بن عياش.

٢- العلاء بن موسى.

٣- محمد بن سعد.

٤- القاسم بن سعيد بن المسيب.

٥- علي بن عمرو الأنصاري.

٦- أحمد بن عبيد بن ناصح.

وقد استقى من الهيثم بن عدي نصوصا كل من الجاحظ في كتأبيه البيان والتبيين والحيوان والطبري في تاريخه والبلاذري في أنساب الأشراف، وياقوت الحموي في معجم البلدان.

---

(1) مرجليوت:دراسات عن المؤرخين العرب ص١٠٩، الشكعة:مناهج التأليف ص١٣٩.

(2) ابن قتيبة: المعارف ص٥٣٩، الخطيب: تاريخ بغداد ٥١/١٤.

نموذج من تاريخ الهيثم بن عدي

اختيار أبي جعفر المنصور لموقع بغداد:

وذكر عن الهيثم بن عدي، عن ابن عياش، قال: لما أراد أبو جعفر الانتقال من الهاشمية بعث رواداً يرتادون له موضعاً ينزله واسطاً، رافقاً بالعامة والجند، فنعت له موضع قريب من بارما، وذكر له عنه غذاء طيب، فخرج إليه بنفسه حتى ينظر إليه، وبات فيه، وكرر نظره فيه، فراه موضعا طيبا، فقال لجماعة من أصحابة منهم سليمان بن مجالد وأبو أيوب الخوزي وعبد الملك بن حميد الكاتب وغيرهم: ما رأيكم في هذا الموضع؟ قالوا: ما رأينا مثله، هو طيب صالح موافق، قال: صدقتم، هو هكذا، ولكنه لا يحمل الجند والناس والجماعات، وإنما أريد موضعاً يرتفق الناس به ويوافقهم مع موافقته لي، ولا تغلو عليهم فيه الأسعار، ولا تشتد فيه المؤونة، فاني أن أقمت في موضع لا يجلب إليه من البر والبحر شيء غلت الأسعار، وقلت المادة واشتدت المؤونة، وشق ذلك على الناس، وقد مررت في طريقي على موضع فيه مجتمعة هذه الخصال، فانا نازل فيه، وبائت به، فإذا اجتمع لي فيه ما أريد من طيب الليل والموافقة مع احتماله للجند والناس ابتنيه. قال الهيثم بن عدي: فخبرت انه أتى ناحية الجسر، فعبر في موضع قصر السلام، ثم صلى العصر، وكان في صيف، وكان في موضع القصر بيعة قس، ثم بات ليلة حتى أصبح، فبات أطيب مبيت في الأرض وأرفقه، وأقام يومه فلم ير إلا ما يحب، فقال: هذا موضع ابني فيه، فانه تأتيه المادة من الفرات ودجلة وجماعة من الأنهار، ولا يحمل الجند والعامة إلا مثله، فخطها وقدّر بناءها، ووضع أول لبنة بيده، وقال: بسم الله والحمد الله، والأرض لله يورثها من يشاء من عباده والعاقبة للمتقين. ثم قال: ابنوا على بركة الله.

أبو إسحاق الثقفي
مؤرخ الأمامية في القرن الثالث الهجري

أنجبت مدينة الكوفة المؤرخ الكبير أبا إسحاق إبراهيم بن محمد الثقفي، المتوفى عام ٢٨٣هـ وكان من أسرة سكنت مدينة الكوفة منذ تمصيرها عام ١٧ هـ، وبزر فيها إعلام احتلوا مراكز في الإدارة والعلم وكان أبو إسحاق الثقفي احد رجالها، فانه نشأ في بيئة الكوفة العلمية، وعاصر خلفاء عشرة من الأسرة العباسية الحاكمة، فأولهم المأمون، وأخرهم المعتضد، ووقف على إحداث الكوفة السياسية وتطورها العلمي، ولكنه لم يسهم في الإحداث السياسية، فاتجه لطلب العلم والتأليف في مدة حياته التي قضاها في الكوفة وأكملها في أصفهان، وفيها نشر علوم أهل البيت (عليهم السلام)[1] ويبدو أن أعقاب إبراهيم الثقفي بقوا في مدينة الكوفة شأنهم في ذلك شأن الثقفيين، ويقول ابن قتيبة : أن لأبي إسحاق الثقفي عقب بمدينة الكوفة. وكانوا على ولاء لآل البيت (عليهم السلام)، وعند هجرة أبي إسحاق الثقفي إلى أصفهان بدأ في نشر الفكر العلوي فيها، كما أشار إلى ذلك لشيخ النجاشي في (رجاله) وقد التحق به لقب (الكوفي) أثناء سكناه مدينة أصفهان وأضيف أليه أيضاً لقب (الأصفهاني) ولكن لقب (الثقفي) بقي يرافقه مع بقية الألقاب.

وكان ابو إسحاق الثقفي يروي عن إعلام كوفين وبصريين وواسطيين وبغداديين وأصفهانيين ورازيين، وقد أشار في كتابه (الغارات) إلى إعلام من هذه المدن، إضافة إلى انتماءاتهم القبلية، أما تلاميذه فقد أشارت كتب الرجال عند الأمامية إلى عدد منهم وأبرزها : كتاب الرجال للشيخ النجاشي.

١- كتاب الأمالي للشيخ المفيد.

٢- كتاب الفهرست لابن النديم.

---

(١)النجاشي : الرجال ص١٢.

٣- كتب (الرجال والفهرست والامالي وتهذيب الإحكام). للشيخ الطوسي.

٤- كتاب علل الشرائع، وكتاب معاني الأخبار للشيخ الصدوق.

٥- كتاب المحاسن للبرقي.

٦- كتاب التفسير للقمي.

٧- كتاب معالم العلماء لابن شهرآشوب.

٨- كتاب دلائل الإمامة لابن رستم الطبري.

٩- كتاب دلائل اليقين لابن طاووس.

١٠- كتاب كامل الزيارات لابن قولويه.

١١- كتاب الرجال لابن داود.

١٢- كتاب وسائل الشيعة للحر العاملي.

١٣- كتاب الرجال للعلامة الحلي.

١٤- كتاب بحار الأنوار للشيخ ألمجلسي.

ولدى رجوعنا إلى رجال الأمامية من محدثين ومؤرخين ورجاليين عاشوا في القرن العشرين الميلادي، والموافق للقرن الرابع عشر الهجري نجدهم قد أرّخوا لأبي إسحاق الثقفي، واستقوا معلوماتهم من المصادر الأساسية وهم :

١- السيد حسن الصدر في كتابه (عيون الرجال).

٢- الاردبيلي في كتاب (جامع الرواة).

٣- المامقاني في كتابه (تنقيح المقال).

٤- اغا بزرك الطهراني في كتابيه (الذريعة والطبقات).

٥- السيد الخوئي في كتابه (معجم رجال الحديث).

٦- ألكاظمي في كتابه (عدة الرجال).

٧- القمي في كتابه (الكنى والألقاب).

٨- السيد الأمين في كتابه (أعيان الشيعة).

٩- الشيخ الاميني في كتابه (الغدير).

وقد كشف مترجمو أبي إسحاق الثقفي عن علميته ومكانته في فروع المعرفة، واستقى منه ابن أبي الحديد في كتابه (شرح نهج البلاغة) نصوصا من كتاب الغارات، ويقول السيد ابن طاووس : إنّ أبا إسحاق الثقفي قد كاشف أهل أصفهان بما جاء في كتابه (المعرفة) بقول الحق بما عرف عنه من صلابة وجرأة، ويبدو ان مناظراته الكلامية ومحاججاته مع أصحاب المذاهب والفرق في مدينة أصفهان، جعلت بعض المؤرخين والمحدثين يصفونه بالرفض والخلو بسبب نشره مذهب آل البيت (عليهم السلام) بين الناس، وأشار إلى هذا الجانب السيد الخوانساري بقوله : انه الشيخ المحدث المروج الصالح، ومن المحتمل ان ضياع مؤلفاته جاءت بسبب عقيدته وإيمانه بال بيت النبوة، ولم يصلنا من مؤلفاته سوى كتاب (الغارات) وقد أشارت قائمة مؤلفاته في التاريخ والسيرة إلى (٣٢ كتاباً) ومنها : المبتدأ، والسيرة، والمغازي، والسقيفة، والردة، والجمل، وصفين، والحكمين، والنهروان، وفدك، والدار وحروراء، والغارات، وخصص للخلفاء والحكام والثوار كتباً وهي :

١- أخبار عمر بن الخطاب.

٢- مقتل عثمان بن عفان.

٣- أخبار عثمان بن عفان.

٤- بيعة أمير المؤمنين (عليه السلام).

٥- مقتل أمير المؤمنين (عليه السلام) ورسائله وحروبه.

٦- قيام الإمام الحسن (عليه السلام).

٧- مقتل الإمام الحسين (عليه السلام).

٨- كتاب التوابين.

٩- أخبار المختار.

١٠- يزيد بن معاوية.

١١- أخبار ابن الزبير.

١٢ـ أخبار زيد أخبار محمد وإبراهيم.

١٣ـ أخبار محمد وإبراهيم.

١٤- أخبار من قتل من أل أبي طالب.

وكتب أبو إسحاق الثقفي في الفقه والحديث (٢٤ كتاباً) وان بعضها في آل البيت والإمامة ومنها :

١- المودة في ذوي القربي.

٢- ما نزل من القرآن في أمير المؤمنين (عليه السلام)

٣- كتاب الإمامة الكبير.

٤- كتاب الإمامة الصغير.

وقد كتب في تاريخ الكوفة كتاباً سماه (كتاب فضل الكوفة ومن نزلها من الصحابة)، وأشار علماء الحديث والرجال من أمثال : الشيخ النجاشي، والشيخ الطوسي، وابن شهرآشوب، وابن حجر إلى كتابه في التفسير وقد حفظ رجال العلم والفكر نصوصاً من مؤلفات أبي إسحاق الثقفي الضائعة، وهي أن جمعت سوف تحي جانباً من علومه، وذلك عند المؤلفين وهم :

١- أبو جعفر البرقي في كتابه (المحاسن).

٢- ابن أبي الحديد في كتابه (شرح نهج البلاغة).

٣- السيد ابن طاووس في (رحة الغري).

٤- الصفار في كتابه (بصائر الدرجات).

٥- الطبرسي في كتابه (أعلام الورى).

٦- شرف الدين الحسيني في كتابه (تأويل الآيات الظاهرة).

٧- الحر العاملي في كتابه (إثبات الهداة).

وكان الشيخ الصدوق قد حفظ لنا نصوصاً كثيرة للشيخ أبي إسحاق الثقفي في مؤلفاته وفي الحديث والرجال والعقائد، وكان كتاب (المعرفة) من ابرز مؤلفات الثقفي التي استقى منه المؤلفون نصوصاً كثيرة، وإما كتاب (الغارات) الذي وصلنا، فان العلامة ألمجلسي المتوفى عام ١١١١هـ قد احتفظ بنسخة منه ونسخة قد حفظت في المكتبة الظاهرية بدمشق، وقد حققها العلامة السيد عبد الزهراء الحسيني، وقد تضمنت هذه النسخة أخبار الإمام علي (عليه السلام) ومعاوية بن أبي سفيان، وحرب الخوارج، وخطب أمير المؤمنين (عليه السلام) واستشهاده أما الغارات التي أشار أليها الكتاب فكان أولها غارة الضحاك بن قيس الفهري، وأخرها غارة بسر بن أبي ارطاة، وكان أبو إسحاق الثقفي يورد الحادثة بأسانيدها وصولاً إلى شيوخه، ويستخدم لفظ : (حدثني واخبرني) واحياناً يستخدم صيغة الجمع (حدثنا واخبرنا)، وتنتهي بعض النصوص بالصحابي كميل بن زياد النخعي أو جندب بن عفيف، أو زر بن حبيش، ويورد أسماء الرجال المعاصرين للإحداث، ومنها أحداث الكوفة والبصرة، وعند تعارض الروايات يقف على الصحيح منها في رأيه ويقول : (والصحيح وكان يستشهد بالقرآن الكريم والحديث الشريف والشعر العربي والأمثال المشهورة، وتعرض إلى استشهاد محمد بن أبي بكر، ومالك الاشتر، ومحمد بن أبي حذيفة، وان التراث المهم الذي حفظه أبو إسحاق الثقفي في كتابه الغارات هو خطب الإمام علي (عليه السلام) والتي اعتمدها الشريف الرضي، والمتوفى عام ٤٠٦هـ، والتي شرحها ابن أبي الحديد، المتوفى عام ٦٥٦هـ، وقد تصدى للكتاب الغارات الشيخ حسن كريم ماجد الربيعي في رسالته بعنوان (إبراهيم بن محمد الثقفي الكوفي مؤرخاً)، وحصل

عليها درجة الماجستير في التاريخ، وكنت مشرفاً على الرسالة وقد نوقشت في معهد التاريخ العربي والتراث العلمي في بغداد يوم الخميس ٢٠٠٤/٩/٩ ونأمل من الباحثين العثور على مؤلفات أبي إسحاق الثقفي التي أصبحت في عداد الكتب المفقودة.

احمد بن عبد الله بن قتيبة (ت ٢٧٦هـ/٨٨٩ م)

ولد المؤرخ احمد بن عبد الله بن قتيبة في مدينة الكوفة عام ٢١٣هـ/٨٢٩م وقيل في بغداد[١] ولكن من الأرجح إن مولده في الكوفة وسكناه في بغداد، حتى قيل عنه ((نزيل بغداد))[٢]. ولحق به نسب الكوفي والدينوري والمروزي[٣] ويعود النسب الأخير لأسرته التي نسبت إلى مدينة ((مرو الروذ))[٤] و قد نسب احمد لأبيه أيضا فقيل عنه القتيبي أو القتبي، ومن المحتمل إن ابن قتيبة ينحدر من أسرة أعجمية، سكنت مدينة الكوفة، فولد فيها ابن قتيبة، ثم انتقل إلى بغداد، فسكنها وحدث بها[٥] ويبدو انه قضى معظم حياته بمدينة بغداد، وقضى بعض الوقت في مدينة الدينور قاضيا فيها، ومما يعزز سكناه ببغداد هو كتابة مؤلفاته فيها، وتعليم أهلها، في الوقت الذي كانت بغداد مدينة العلم، ومنتدى الفكر والأدب، ومهد الحضارة، فوجد فيها ابن قتيبة مرتعاً خصبا، فانكب على الدرس والتحصيل العلمي، حتى عرف بالكاتب وصاحب التصانيف، والنحوي اللغوي، والأديب المحدث، وقد قال عنه مسلمة بن قاسم: انه كان لغويا، كثير التأليف، عالماً بالتصنيف[٦] ولكن اختلف علماء الحديث والرجال في تقييم ابن قتيبة العلمي، وموقعه من مصطلحات الجرح والتعديل، فهناك من يقول انه ((ثقة، دين،

---

(١) ابن النديم: الفهرست ص١٢١، ابن خلكان: وفيات الأعيان ٢٤٦/٢، ابن العماد: شذرات الذهب ١٦٩/٢، الخطيب: تاريخ بغداد ١٧٠/١٠، ياقوت: معجم الأدباء ١٠٤/٣.

(٢) السيوطي: بغية الوعاة ص٢٩١، الداودي: طبقات المفسرين ٢٤٦/١.

(٣) ابن خلكان: وفيات الأعيان ٢٤٦/٢، ابن العماد: شذرات الذهب ١٦٩/٢، اليافعي: مرآة الجنان ١٩١/٢، ينظر بروكلمان: تاريخ الأدب العربي ٢٢١/٢، القمي: الكنى والألقاب ٣٧٧/١.

(٤) عمر فروخ: تاريخ الأدب العربي ٣٢٩/٢، احمد أمين: ضحى الإسلام ٤٠٢/١.

(٥) الخطيب: تاريخ بغداد ١٧٠/١٠، ابن خلكان: وفيات الأعيان ٢٤٦/٢.

(٦) السيوطي: بغية الوعاة ص٢٩١، الداودي: طبقات المفسرين ٢٤٦/١، الذهبي: ميزان الاعتدال ٥٠٣/٢، ابن حجر: لسان الميزان ٣٥٨/٣.

صدوق)). ومنهم من قال ((كذاب)) وقد أجمعت الأمة على كذبه، وقد دافع بعضهم عن تجريح ابن قتيبة بقوله: ((هذه مجازفة قبيحة و كلام من لم يخف الله))[1] ولكن الواقف على مؤلفات ابن قتيبة يجد فيها الرأي الحصيف والرؤية الناضجة في تحليله للأحداث، وفي تقويمه للرواة ولاسيما في كتابيه (الإمامة و السياسة) إن صحت النسبة إليه، وكتاب (المعارف)، ولكن وجد فيه بعض المحدثين مثالب وانحرافات، فيقول المحدث الدار قطني: إن ابن قتيبة يميل إلى التشبيه، منحرف عن العترة، وكلامه يدل عليه، ويقول البيهقي: انه كان يرى رأي الكلامية[2]. لقد استقى ابن قتيبة معلوماته التي دونها في كتبه عن مصدرين أساسيين هما:

١- الكتب و التصانيف المدونة في عصره.

٢- الروايات الشفهية المتناقلة.

وكانت كتب السير والمغازي والطبقات والأنساب في مقدمة مصادره، ومنها كتب الواقدي وابن الكلبي وابن إسحاق وابن سعد، وروى كثيراً عن المدائني في كتابيه ((المعارف)) و((عيون الأخبار)). أما في تاريخ الأنبياء فانه اعتمد على وهب بن منبه وعلى التوراة والإنجيل[3] ويقول: ((قرأت في الإنجيل إن عدة القرون من إبراهيم إلى داود أربعة عشر قرنا، ومن داود إلى جالية بابل أربعة عشر قرنا، ومن جالية بابل إلى المسيح أربعة عشر قرنا))[4] وقارن ابن قتيبة بين أقوال وهب بن منبه وروايات التوراة، وعدد حديثه عن إبراهيم عليه السلام ونسبه قال: ((هكذا قال وهب)) وأضاف إلى قوله: ((وقابلت بهذه النسبة ما في التوراة

---

(١) السيوطي: بغية الوعاة ص٢٩١، ابن حجر: لسان الميزان ٣٥٧/٣- الداودي: طبقات المفسرين ٢٤٦/١.

(٢) الذهبي: ميزان الاعتدال ٥٠٣/٢، ابن حجر: لسان الميزان ٣٥٨/٣.

(٣) عبد الحميد الجندي: ابن قتيبة ص٣٦٣- ص٣٦٤.

(٤) ابن قتيبة: المعارف ص٥٧.

فوجدت بها موافقة، إلا إني وجدت مكان (اشرغ) شاروغ))[1] وقد يعطي هذا النص دلالة على ثقافة ابن قتيبة الكبيرة، وحرصه على تدوين ما يراه صحيحاً، فهو يستقي من وهب بن منبه (الراوي الشهير) ومن ثم يعود إلى التوراة بنفسه للاطمئنان على صحة النقل. ويبدو إن ابن قتيبة كان يجيد عدة لغات عند اعتماده على التوراة والإنجيل، وهو عند حديثه عن الأنبياء والرسل يقول: ((قرأت في التوراة في أول سفر من أسفارها إن أول من خلق الله تعالى من خليقته السماء والأرض، وكانت الأرض خربة خاوية، وكانت الظلمة على الغمر، وكانت ريح الله تبارك وتعالى ترف على وجه الماء[2]. و يستقي ابن قتيبة نصوصاً عن شيوخه كإسحاق ابن راهويه، وأبي حاتم السجستاني، فانه حدث في مدينة بغداد عنهما، وعن أبي إسحاق إبراهيم بن سفيان بن سليمان بن أبي بكر بن عبد الرحمن بن زياد بن أبيه الزيادي، كما حدث عن ابن درستويه، ونجد في كتابه ((عيون الأخبار)) أنّه يستقي نصوصا عن أبيه بقوله: ((حدثني أبي))[3] ويشير ابن قتيبة إلى مصادر لم يفصح عن أسمائها كقوله: ((وجدت في كتب سير العجم إن بين الاسكندر وبين اردشير مدة ملوك الطوائف وهي أربعمائة و خمس وستون سنة))[4] وكان يأخذ ببعض الروايات الشفهية عن الكوفيين ووجه نقداً لبعضها، فيذكر السيوطي: انه خلط علمه بحكايات عن الكوفيين لم يكن أخذها عن ثقاة.[5] ويقول ابن النديم: ((وكان ابن قتيبة يغلو في البصريين إلا انه خلط المذهبين وحكى

---

(1) المصدر نفسه ص٣٠.

(2) ابن قتيبة: المعارف ص٥٧.

(3) ابن قتيبة: عيون الأخبار ١٤٢/١، ٣٠٧/٢، القالي: الامالي ١٥٧/٢ ابن خلكان: وفيات الأعيان ٢٤٦/٢. الداودي طبقات المفسرين ٢٤٦/١، اليافعي: مرآة الجنان ١٩١/٢، الذهبي: ميزان الاعتدال ٥٠٣/٢، ابن العماد: شذرات الذهب ١٦٩/٢.

(4) ابن قتيبة: المعارف ص٥٧.

(5) السيوطي: المزهر ٤٠٩/٢.

في كتبه عن الكوفيين))[1] وان سكناه في مدينة بغداد جعله يستقي من علمائها نصوصا في التفسير والحديث واللغة والنحو والأدب والتاريخ[2] وهذا التنوع المعرفي جعله يؤلف في علوم مختلفة، فهو في الأدب كان إماماً، وفي اللغة والنحو وغريب القران ومعانيه والشعر والفقه والتاريخ وأيام الناس كان في مقدمة علماء عصره، ويقول الأستاذ ((حنا فاخوري)): إن ابن قتيبة قد اتصل بنواح كثيرة من علوم عصره، إلا إن تأليفه في أكثره جمع، وجمعه عن سعة اطلاع لاتظهر فيه شخصيته قوية، وكان يكره الجاحظ و يأخذ عليه اضاحيكه وينسب إليه الكذب والفساد[3] و يبدو إن هذا الرأي فيه جانب من التجني على علمية ابن قتيبة، فقد كان في كثير من المواقف ناقداً ورافضا للنصوص وبخاصة في علم الحديث، وقد أشار الأستاذ احمد زكي العدوي إلى هذا الجانب من ثقافة ابن قتيبة فيقول: انه كان مستقل الفكر: جريئاً، في قول الحق، وهو أول من تجرأ على النقد الأدبي[4] وان كتبه تطغى عليها مادة الأدب، وحتى كتابه ((المعارف))[5] قد جمع فيه بين الأدب والتاريخ، وهو يقترب إلى حد ما من كتب التاريخ العام[6] ويقول الأستاذ الجندي: ((ومهما يكن من شيء فكتاب المعارف اقرب إلى التاريخ منه إلى أي علم آخر و لكننا لا نعتبره أثراً تاريخيا خالصا))[7] و هذا الرأي سليم كما توحي مفردات الكتاب، على الرغم من احتوائه نصوصا تشير إلى تاريخ الخلق والأنبياء وأنساب العرب والسيرة النبوية وأخبار الخلفاء والصحابة والتابعين، إضافة إلى

---

(١) ابن النديم: الفهرست ص١٢١.

(٢) عمر فروخ: تاريخ الأدب العربي ٣٢٩/٢.

(٣) حنا فاخوري: تاريخ الأدب العربي ص٧٤٧.

(٤) العدوي: مقدمة عيون الأخبار ص١٦.

(٥) ابن خلكان: وفيات الأعيان ٢٤٦/٢، اليافعي: مرآة الجنان ١٩١/٢، ابن العماد: شذرات الذهب ١٦٩/٢.

(٦) جرجي زيدان: تاريخ آداب اللغة العربية ١٧٤/٢.

(٧) عبد الحميد الجندي: ابن قتيبة ص٣٦٤.

جانب من الحياة الاجتماعية، وبما فيها الأنساب والعادات والنوادر، ويذهب الدكتور الدوري إلى خصائص كتاب ((المعارف)) بقوله: ((إن الكتاب مثال للكتابة التاريخية العلمية، إذ انه يبدأ فيه من الخليقة و ينتهي بالمعتصم، فهو يجمع بين فكرتين تاريخيتين، فكرة التاريخ العالمي وفكرة الوحدة الثقافية في تاريخ العرب، وذلك ليسد حاجة طبقة الكتاب إلى تاريخ شامل ويجابه الحركة الشعوبية في الحقل الثقافي[1] ولم يكن موقف ابن قتيبة من التيار الشعوبي الذي ساد عصره واضحاً فهو تارة يفضل العرب على غيرهم من الأمم، وتارة يُبرّئ الفرس من بغضهم للعرب[2] ولم يكن هذا الموقف متناقصا، وإنما يمكن أن يوصف بالموقف التوفيقي، ولذا كان يحمل كتابه بعض الحوادث التي تبعث الانحياز المذهبي والفكري كمحنة خلق القران، وحركة الزنج، ونكبة البرامكة ونحو ذلك ومن المحتمل إنّه أراد أن يكون محايداً إزاء الأفكار المتضاربة والاجتهادات المختلفة، ومن المحتمل إن وضع الدولة العباسية في عصره يجعله يسلك هذا الطريق، إذ كانت التيارات السياسية و الفكرية تسود الساحة العباسية، ولعل كتاب ((عيون الأخبار)) يكشف عن هذه الحقيقة، فهو يتحدث عن الحرب ومكائدها، وأخبار الحرب والفروسية والعدة والسلاح. ويحتاج كتاب ((الإمامة والسياسة)) إلى وقفة طويلة وعميقة في سبيل الوصول إلى حقيقة الكتاب ونسبته لابن قتيبة، فهو يبحث عن الخلافة وشروطها منذ وفاة النبي صلى الله عليه واله وسلم وحتى عصر المأمون العباسي، ففي الكتاب تبرز روح التشيع عند ابن قتيبة، في حين انه من علماء أهل السنة[3] وتطفح عليه ميولاً علوية عند حديثه عن اجتماع السقيفة، والتعرض لبيت السيدة فاطمة عليها السلام، ولم نجد هذا الاتجاه في مؤلفات ابن قتيبة الأخرى. ولا تخلو مؤلفات ابن قتيبة الأخرى مثل ((أدب، الكاتب))

---

(1) الدوري: نشأة علم التاريخ عند العرب ص١٣٦.

(2) عمر فروخ: تاريخ الأدب العربي ٣٢٩/٢.

(3) القمي: الكنى والألقاب ٢٧٩/١.

و((طبقات الشعراء)) و((كتاب الاشربة)) جوانب تاريخيه منها السياسية و الاقتصادية و الاجتماعية.

نماذج من تاريخ ابن قتيبة (مبتدأ الخلق):

قال أبو محمد: قرأت في التوراة في أول سفر من أسفارها أن أول ما خلق الله تعالى من خليقته السماء والأرض خربة خاوية، وكانت الظلمة على الغمر، وكانت ريح الله تبارك و تعالى ترف على وجه الماء. فقال الله: ليكن النور، فكان النور. فرآه الله حسناً، فميزه من الظلمة وسماه نهاراً، وسمى الظلمة ليلاً. فكان مساء وكان صباح يوم الأحد.

وقال الله ﷻ: ليكن سقف وسط الماء، فليحل بين الماء والماء. فكان سقف. وميز بين الماء الذي هو أسفل وبين الماء الذي هو أعلى، فمسمى الله ذلك السقف الأعلى سماء. فكان مساء و كان صباح يوم الاثنين.

وحدثنا أبو الخطاب زياد بن يحيى: حدثنا مالك بن سعيد، قال: حدثنا إسماعيل بن أبي خالد، عن أبي صالح: في قول الله ﷻ: (والبحر المسجور) قال: كان علي رضي الله عنه يقول: هو بحر تحت العرش. وهذا شبيه بما ذكر في التوراة من إن السماء بين ماءين:

وعاد الخبر إلى التوراة: وقال الله ﷻ: ليجتمع الماء كله الذي تحت السماء إلى مكان واحد فلير اليبس. فكان ذلك كذلك. فدعا الله اليبس الأرض، وسمى ما اجتمع من الماء البحور. ثم قال الله ﷻ: لنخرج الأرض زهر العشب والشجر بالحمل كلا ليبوسته، وأخرجت الأرض ذلك فرآه الله حسنا. فكان مساء وكان صباح يوم الثلاثاء وقال الله ﷻ: ليكن نوران في سقف السماء ليميزا بين الليل والنهار، وليكونا آيات للأيام والسنين فكان نواره: الأكبر لسلطان النهار، والأصغر لسلطان الليل. فراه الله حسناً، فكان مساء و كان صباح يوم الأربعاء.

وقال الله ﷻ: ليحرك الماء كل نفس حية، وليطر الطير على الأرض في جو السقف. وخلق الله ﷻ تنانين عظاماً، وحرك الماء كل نفس حية لجنسها، وكل طائر لجنسه. فرأى الله ذلك حسناً فبرّكهن وقال: أثمروا وأكثروا وكان مساء و كان صباح يوم الخميس.

ابن قتيبة: المعارف ص٩- ص١٠

نماذج من أنساب ابن قتيبة/ السيرة النبوية:

قال أبو محمد: هو محمد بن عبد المطلب بن هاشم بن عبد مناف بن قصي بن كلاب بن مرة بن كعب بن لؤي بن غالب بن فهر بن مالك بن النضر بن كنانة بن خزيمة بن مدركة بن الياس بن مضر بن نزار بن معد بن عدنان.

واختلف النسابة فيما بعد (عدنان) و قد بينت ذلك في: كتاب النسب. واسم عبد المطلب: عامر، واسم أبيه (هاشم): عمرو، وسمي هاشماً: لهشم الثريد وإطعامه. واسم (عبد المناف): المغيرة، واسم قصي. زيد، ويدعى: مجمعاً، لأنه جمع قبائل قريش و انزلها مكة.

قال أبو محمد: وأما أم النبي ﷺ فهي آمنة بنت وهب بن عبد مناف بن زهرة بن كلاب بن مرة بن كعب بن لؤي بن غالب بن فهر بن مالك بن النضر بن كنانة بن خزيمة بن مدركة بن الياس بن مضر.

ولا نعلم انه كان لآمنة أخ فيكون خالاً للنبي ﷺ ولكن بنو زهرة يقولون نحن أخوال رسول الله ﷺ لان آمنة منهم.

ابن قتيبة: المعارف ص١١٧، ص١٢٩

مؤرخ الكوفة السيد حسين البراقي النجفي
وموارد كتابه

حظيت الكوفة باهتمام المؤرخين والباحثين بدءاً من القرن الثالث الهجري/ التاسع الميلادي، فتناولوا خططها وقبائلها وأحداثها، وكان هذا اللون من الكتابة جزءاً من كتابة التاريخ المحلي الذي تناول المدن والأمصار العربية والإسلامية، يقول الأستاذ روز نثال: إن كثيراً من التواريخ المحلية قد نشأت من اعتبارات دينية وفقهية [1]. ولكن المتتبع لدراسة تواريخ هذه المدن، ومنها مدينة الكوفة يجد أسباباً أخرى دفعت المؤلفين إلى الكتابة، وقد تكون الجوانب الدينية احدها، ويذهب إلى ذلك الدكتور السيد عبد العزيز سالم بقوله: إن الكتابة في التاريخ المحلي قد سارت في تيارين واضحي المعالم، ولكنهما متصلين، احدهما تيار دنيوي، والثاني ديني[2]. وهذا يعني إن دراسة المدن العربية الإسلامية تشمل الجوانب الدينية والحضارية والفكرية والسياسية والاجتماعية والاقتصادية وغيرها، ويأتي الاهتمام بدراسة مدينتي البصرة والكوفة في مقدمة المدن العربية - باستثناء ما كتبه الازرقي (ت٢٢٣هـ) عن تاريخ مكة المكرمة - ولعل مؤلفات أبي زيد عمر بن شبة (ت ٢٦٤هـ) في مقدمة الكتب التاريخية التي تناولت البصرة والكوفة وكانت له الريادة في ذلك[3]. وقد عاصره إبراهيم بن محمد بن سعيد الثقفي (ت ٢٨٣هـ) وقد كتب ((فضل الكوفة ومن نزلها من الصحابة))[4]، وقد صدرت عن الكوفة كتب لأعلام عاشوا في أواسط وأواخر القرن الثالث الهجري

(١) روزنثال: علم التاريخ عند المسلمين ص٢٠٦.

(٢) السيد عبد العزيز سالم: التاريخ والمؤرخون العرب ص١٠٦.

(٣) بروكلمان: تاريخ الأدب العربي ٢٥/٣.

(٤) النجاشي: الرجال ص١٤.

كابن فضال علي بن الحسن بن علي، ومحمد بن علي بن فضل، وابن مجالد، ومحمد بن بكران[1].

وأخذت الدراسات التاريخية عن الكوفة في الاتساع منذ القرن الرابع الهجري/العاشر الميلادي، فقد كتب سعد بن عبد الله الاشعري (ت٣٠١هـ) كتاباً في فضل الكوفة، وكتب بنفس الموضوع ابن عقدة احمد بن محمد بن سعيد (ت٣٣٣هـ)، وكتب جعفر بن الحسين (ت٣٤٠هـ) كتاب ((فضل الكوفة ومساجدها)) وكتب الشيخ الصدوق أبو جعفر محمد بن علي (ت٣٨١هـ) كتاب ((جوابات مسائل وردت من الكوفة)) وكتب أبو الحسين محمد بن جعفر المعروف بابن النجار الكوفي (ت٤٠٢هـ) تاريخ الكوفة، وتناول العلوي الحسيني (ت٤٤٥هـ)، وابن النجار البغدادي (ت٦٤٣هـ) كتباً عن الكوفة[2]. كما كتب محمد بن جعفر المشهدي الحائري ((فضل الكوفة ومساجدها)) وتأخذ قائمة التأليف عن الكوفة في الازدياد وفق العصور التالية للعصر العباسي، حتى القرن الحادي عشر الهجري فقد كتب الحر العاملي محمد بن الحسن (ت١١٠٤هـ) كتاباً في الكوفة وما فيها من الآثار. وأخذ المؤرخون بدراسة جانب معين من الكوفة في حين تصدى الآخرون إلى دراستها من جميع الجوانب، وفي تاريخنا الحديث المعاصر كتب المستشرق الفرنسي لويس ماسينيون ((خطط الكوفة وشرح خريطتها)) والدكتور كاظم الجنابي ((تخطيط مدينة الكوفة)) والدكتور مهدي المخزومي ((مدرسة الكوفة)) والدكتور يوسف خليف ((حياة الشعر في الكوفة حتى منتصف القرن الثاني الهجري)) والدكتور محمد حسين الزبيدي ((الحياة الاجتماعية في الكوفة في القرن الأول الهجري)) والسيد كامل سلمان الجبوري ((مساجد الكوفة)) و((تاريخ الكوفة الحديث)) والسيد محمد سعيد الطريحي ((الديارات والأمكنة النصرانية في الكوفة وضواحيها)) والسيد عبد الرزاق طعمة الكوفي ((تاريخ مسجد الكوفة والمراقد المجاورة)). إلى جانب هؤلاء المؤلفين هناك

---

(1) شاكر مصطفى: المدن في الإسلام حتى عصر العثماني ٤٠/١.

(2) ن. م.

من كتب عن الكوفة كتباً وبحوثاً ودراسات، وان مؤرخنا السيد حسين البراقي النجفي، واحد من الأعلام الذين تصدوا لمدينة الكوفة في كتابه ((تاريخ الكوفة)) الذي يعد مرجعاً مهماً لا يستغنى عنه من أراد الحديث عن الكوفة في مجال التاريخ أو الآثار أو اللغة أو الأدب وغير ذلك من العلوم والمعارف.

البراقي مؤلف ((تاريخ الكوفة)):

ولد السيد حسين (حسون) بن السيد احمد بن السيد حسين المعروف بالبراقي في مدينة النجف الأشرف عام ١٢٦١هـ/١٨٤٥م، ونسب إلى طرف – البراق – احد أطراف النجف الأربعة داخل السور – وقد أفادته هذه المهنة في اتساع معارفه، فقد كان على جانب لا يستهان به من قوة الحافظة، وجودة الذكر، وحضور البال، وكثرة التتبع والاستقراء[١]. يقول السيد الأمين: ((رايته بالنجف الأشرف، وكان له ولع شديد بتدوين التاريخ والبحث والتنقيب عن الأخبار والحوادث، وكان اجتماعي به في الصحن الشريف أيام إقامتي بالنجف لطلب العلم))[٢]. وقد حصل على شيء من الفقه والأصول إضافة إلى اهتماماته بالتاريخ والرجال والأنساب، وقد طغت المادة التاريخية على ثقافاته الأخرى، يقول الشيخ محمد رضا الشبيبي:

ما زلت تلهج بالتاريخ تكتبه حتى رأيناك بالتاريخ مكتوبا

فقد وضع السيد حسين البراقي لبعض البلدان خططاً اثبت فيها الأحداث التي أدركها وقرأها واستخرجها من أمهات المصادر القيمة[٣].وقد أعطى لمدينة النجف الاشرف وضواحيها مساحة كبيرة في مؤلفاته حتى أصبحت مرجعاً للباحثين. يقول الشيخ الكوفي (ت١٣٥٢هـ): إن السيد حسين البراقي ذكر تفاصيل

---

(١) الشبيبي: مقدمة كتاب ((تاريخ الكوفة)) للبراقي ص٥.

(٢) الأمين: أعيان الشيعة ٢٥/٤٢-٤٣.

(٣) الأميني: معجم رجال الفكر والأدب في النجف ص٦٢- ص٦٣.

عـن قنـاة آل زرارة بـن أعـين[1]. وهـي أولى المحـاولات لإيـصال المـاء إلى مدينـة النجف، قد استقى منه نـصوصاً عـن ((كـري سـعدة)) و((كـري الـشيخ)) و((قنـاة أسد الله))[2].

وكـان الـسيد البراقـي منـذ نعومـة أظفـاره قـد مـال إلى البحـث والعلـم، مباينـاً جميـع أفـراد أسـرته في ذلـك، وأولـع بالتـاريخ خاصـة، كأنما جبـل عـلى اسـتقراء الحـوادث، وتتبـع الأحـداث، فجلـس إلى العلمـاء واختلـف إلى أنديـة المعمـرين مـن أهل العلم والخبرة، واستفاد مما يدور على ألسنتهم غير ما كـان يتقـدم إلى الـسؤال عن نفسه، وقـد نـشأ واعيـا جيـد الانتبـاه، فكانـت تـسترعي التفاتتـه كـل واقعـة تقـع حوله فيبادر إلى تدوينها، وهي على طرف التمام منه سوى ما كـان ينتهـي إليـه مـن جوانـب أخبـار الـبلاد النائيـة، فكـان يعيـد أكثـر ذلـك ويحـصيه حتـى لا يفوتـه منـه شيء[3]. حتى انه ضرب بعلمـي الأنـساب والرجـال باعـاً طـويلاً، ووصـف بـالمؤرخ النـسابة[4]. وقـد أشـار الـشيخ الـشبيبي إلى ذلـك بقولـه: وقـد أفادتـه الوراقـة والاستنـساخ فائـدة مزدوجـة، وذلـك انـه اسـتنفض جميـع مـا ورقـه مـن الكتـب بالمطالعة، فاتسعت مادته التاريخية من هذه الناحية، أضف إلى ذلـك وقوفـه في دور الكتـب عـلى كـثير مـن الأمهـات المطبوعـة والمخطوطـة، فعكـف عـلى مطالعتهـا بحذافيرها حتى استخرج حقائق تاريخية كثيرة مما لا مظنـة للتـاريخ مـن كتـب الفقـه والحـديث والرجـال، فـدل عـلى عظـم اجتهـاده ومـضاء عزيمتـه، كمـا تـسنى لـه التطواف في رقعة عريضة من سـواد العـراق، فشاهد طائفـة مـن المعـالم والإطـلال العراقية القديمة حتى قرن العلم بالعمل فيها[5].

---

(1) الكوفي: نزهة الغري في تاريخ النجف ص٤.

(2) ن. م ص٦٧.

(3) الشبيبي: مقدمة كتاب ((تاريخ الكوفة)) ص٤.

(4) كمونة: منية الراغبين ص٤٩٧.

(5) الشبيبي: مقدمة كتاب ((تاريخ الكوفة)) ص٤.

وقد عرف السيد البراقي بحبه الشديد لجمع الكتب والمصادر، ولم يمنعه ضعفه المادي إلى اقتنائها، فعمد إلى الاستنساخ ما يحتاجه منها حتى انشأ مكتبة حوت الكثير من الآثار المهمة النادرة، ولكنها بيعت بعد وفاته، يقول السيد الأمين: ((حملت مؤلفاته في جملة كتبه لينادى عليها فتباع فداخلنا لذلك الغم شيء عظيم لعلمنا بما ستصير إليه حالها إذا احتوى عليها منتحلو الآثار وما أكثرهم في هذه الديار))[١]. وقد كانت مؤلفاته تربو على ثمانين كتاباً، وقد أزاح في بعضها الستار عن حقيقة كثير من القبور والمزارات المنتشرة في قرى السواد المنسوبة إلى أولاد الأئمة عليهم السلام، وكذلك في الشام والحجاز، وبين إن الأصل في معظمها من عمل المرتزقة الذين يستغلون جهل العامة من الناس[٢]. ولم يطبع من مؤلفات السيد البراقي إلا القليل، وأصبح الكثير منها في عداد المفقودات، وأشار الشيخ الشبيبي إلى جوانب الضعف في بعض هذه المؤلفات بقوله: ((وقد كان ضعيف الفطن في اللغة العربية، زهيد البضاعة في الإنشاء والترسل، فلا مطمع لعشاق البلاغة والفصاحة في شيء من آثاره. لأن لغته في أكثرها نمط وسط بين لغة العامة والفصحاء، وفي آثاره أيضا كثير من الحشو الذي لا يوافقه عليه ذوو العقول النيرة في هذا العصر، وفيها أيضا ما فيها من الخطأ في الاجتهادات والاستنتاجات التاريخية))[٣]. وقد لاحظت عند تحقيقي لكتابه ((الدرة المضية في ذكر الحنانة والثوية)) هذه الملاحظات بوضوح[٤]. ومع كل هذا فان كتب السيد البراقي تعد مصدراً لدارسي التاريخ والآثار والأنساب والرجال، فقد استخرج مادته من

---

(١) الأمين: أعيان الشيعة ٤٦/٢٥.

(٢) الأمين: أعيان الشيعة ٤٦/٢٥.

(٣) الشبيبي: مقدمة كتاب ((تاريخ الكوفة)) ص٥، ص٦.

(٤) الحكيم: تحقيق كتاب ((الدرة المضية في ذكر الحنانة والثوية، للسيد البراقي، مخطوط)).

بطون المصادر والآثار، ونقب عنها بين الجنادل والأحجار[1]، وأن مؤلفاته التي وقف عليها الباحثون هي على النحو الآتي[2]:

١- اكبر المقال في مشاهير الرجال، وقيل اسمه ((أكسير الرجال)).

٢- إرشاد الأمة في جواز نقل الأموات إلى مشاهد الأئمة.

٣- البقعة البهية في مختصر تاريخ الكوفة الزكية، وقيل اسمه ((البقعة البهية في مختصر في ما ورد في مبدأ الكوفة الزكية)).

٤- براقية السيرة في تحديد الحيرة.

٥- بهجة المؤمنين في أحوال الأولين والآخرين، ويقع في أربعة مجلدات.

٦- تاريخ النجف. وقيل اسمه: ((اليتيمة الغروية في الأرض المباركة الزكية)) وقيل اسمه أيضا ((الدرة الغروية والتحفة النجفية)) يقول الشيخ الشبيبي: ((وفيه مادة ممتعة في تاريخ مدينة النجف لا توجد في غيره من الكتب))[3].

٧- تاريخ الحيرة.

٨- التاريخ المجدول، يبتدئ من الهجرة النبوية إلى عام تأليف الكتاب سنة ١٣١٣هـ، وهو وفق نظام الحوليات، ويظن انه كتاب ((بهجة المؤمن في أحوال الأولين والآخرين)).

٩- تعريب الباب الثالث من كتاب ((تاريخ قم)) للحسن بن علي القمي.

١٠- ترجمة الشيخ المفيد (ت٤١٣هـ) أو رسالة في تاريخ الشيخ المفيد.

---

(١) الشبيبي: (شذرات من مذكرات العلامة الفقيد محمد رضا الشبيبي) مجلة البلاغ. العدد الثامن السنة الرابعة ١٣٩٣هـ، ١٩٧٣م.

(٢) الطهراني: الذريعة ٧٨/٣، ١٣٨، ١٥١، ١٦٤، ٢٨٢، ٢٨٥، ٢٨٦، ١٦٦/٤، ٢١٢، ١٢٤/٥، ٢٩٣، الأمين: معجم رجال الفكر والأدب في النجف ص٦٢ ـ ص٦٣، الزركلي: الأعلام ٢٥١/٢م، كحالة: معجم المؤلفين ٣٠٩/٣، الأمين: أعيان الشيعة ٤٤/٢٥ ـ ٤٦ كوركيس عواد: معجم المؤلفين العراقيين ٣٣٦/١، الورد: أعلام العراق ٢٧٥/١، عماد عبد السلام: التاريخ والمؤرخون ص٢٦٦، ص٢٦٩، العطية: تاريخ الديوانية ص٣١٨.

(٣) الشبيبي: مقدمة كتاب ((تاريخ الكوفة)) ص٨.

١١- تاريخ الكوفة، وقيل اسمه ((عقود اللؤلؤ والمرجان في تحديد أرض كوفان ومن سكن فيها من القبائل والعربان)).

١٢- تعليقة على كتاب ((بحر الأنساب المشجرة)) كتبه عام ١٣٢١هـ.

١٣- تغيير الأحكام في أول من عبد الأصنام، وقيل اسمه ((تغيير الأحكام فيمن عبد الأصنام)).

١٤- ((الجوهرة الشعشعانية والثمرة الجنية في فضل كربلاء الغاضرية ومن حل فيها من الذرية)).

١٥- جلاء العين في الأوقات المخصوصة بزيارة الحسين.

١٦- الحسرات الكامنة للزفرات في عدد الهواشم الذين أصيبوا في الغاضريات.

١٧- الدرة البهية في تاريخ كربلاء والغاضرية، وقيل اسمه ((الدرة البهية والروضة المضيئة في تاريخ الروضة الحسينية المسماة بكربلاء الغاضرية ونينوى وعمورية والحراء الجلية)).

١٨- الدرة المضيئة في ذكر الحنانة والثوية، وقيل اسمه ((تاريخ مسجد الحنانة)) أو ((الحنانة والثوية)) فرغ منه عام ١٣٢٥هـ وعندي نسخة مصورة منه وقد قمت بتحقيقه ونشره.

١٩- رسالة في تعيين مراقد آل الرسول صلى الله عليه وآله وسلم.

٢٠- رسالة في السهو والنسيان، وهل اثبتا للنبي صلى الله عليه وآله وسلم.

٢١- رجال السيد حسين البراقي.

٢٢- السيرة البراقية على النفحة العنبرية، وقيل اسمه ((السيرة البراقية في رد صاحب التحفة العنبرية)).

٢٣- السر المكنون في وقت الغائب المصون.

٢٤- الشجرة في الأنساب.

٢٥- العقيان فيما جرى في السنين من طوارق الزمان.

٢٦- قلائد الدر والمرجان فيما جرى في السنين من طوارق الحدثان، وهو مرتب على السنين، كتبه في ١٤ رمضان ١٣٧٠هـ [1].

٢٧- قرة العين فيمن عمر قبر أبي الحسنين، وقد جاء هذا الكتاب ذيل على كتاب ((التحفة النجفية واليتيمة الغروية)).

٢٨- كشف النقاب في فضل أنساب الإنجاب، وقيل اسمه ((كشف النقاب في فضل السادة الإنجاب)).

٢٩- كتاب بني أمية في تواريخهم وأحوالهم.

٣٠- كتاب قريش وأحوالهم

٣١- كشف الأستار في أولاد خديجة من النبي المختار ﷺ فرغ منه في ١٧ذي الحجة ١٣٢٥هـ.

٣٢- كتاب في التاريخ ينتهي إلى عام ١٣١٨هـ.

٣٣- الكشكول.

٣٤- اللؤلؤ والمرجان، وهو مختصر كتاب ((البقعة البهية)).

٣٥- لهب النيران في أحوال آل أبي سفيان.

٣٦- مختصر الحدائق الوردية في أئمة الزيدية.

٣٧- منتخب تاريخ قم فيمن سكنها من العلويين، كتبه عام ١٣١٧هـ.

٣٨- معرب المجلد الأول من كتاب ((المنتظم الناصري)) ينتهي إلى عام ٦٥٦هـ.

٣٩- مشاهير الرجال.

٤٠- معدن الشرف، وقيل اسمه ((منبع الشرف)) وهو من مشاهير علماء النجف.

٤١- مجموعة أخبار وتواريخ، فرغ منه في الثالث من ربيع الثاني ١٣١٣هـ.

٤٢- النخبة الجلية في أحوال الوهابية.

٤٣- الهاوية في تاريخ أو أحوال يزيد بن معاوية.

---

(1) الطهراني: الذريعة ٥/٢٩٣.

وكتب السيد البراقي بخطه كتباً، قد ألفها غيره في الرجال والأنساب وهي[1]:

١- تحفة الأزهار لابن شدقم.

٢- باب الألباب للشيخ أبي الحسن الفتوني العاملي النجفي (ت ١١٣٨هـ)

٣- بحر الأنساب، لمؤلف مجهول، كتبه عام ١٣٢١هـ.

توفى السيد حسين البراقي في يوم الجمعة، العاشر من رجب ١٣٣٢هـ في قرية اللهيبات، إحدى قرى الحيرة، ونقل جثمانه إلى مدينة النجف الاشرف ودفن في داره، وما زالت مقبرته قائمة في طرف البراق.

موارد كتاب ((تاريخ الكوفة)):

إن موارد السيد البراقي في كتابه ((تاريخ الكوفة)) كثيرة ومتنوعة، سواء في الحوادث أو التراجم، وقد جمع مادته من مصنفات قديمة ومعتمدة في التاريخ والحديث والرجال واللغة والبلدان وغيرها، وقد حرص السيد البراقي على استيعاب اكبر قدر ممكن من المصادر والمراجع، وبخاصة عند تعدد الآراء حول بعض الأحداث، وكان يميل أحياناً إلى ترجيح إحدى الروايات على غيرها، فهو في معظم النصوص يكون ناقلاً حرفياً، فيورد مواضع لم تكن كثيرة بقوله: ((قال البراقي))، ويمكن تقسيم موارد الكتاب بما يلي:

أولاً الموارد الدينية:

يأتي القرآن الكريم والسنة النبوية الشريفة في مقدمة المصادر التي اعتمدها السيد البراقي في كتابه ((تاريخ الكوفة)) وكان بحكم ثقافته الدينية المستمدة من بيئة ((النجف الاشرف)) جعله يحسن الاقتباس من القرآن والحديث، لأنهما المصدران الأساسيان للتشريع الإسلامي، وكان قد اعتمد على تفسير العياشي في

---

(١) الطهراني: الذريعة ٣١/٣، محبوبة: ماضي النجف وحاضرها ٤٨/٣، مجلة لغة العرب، الجزء الخامس لسنة ١٩٢٨م.

كثير من المواضع، ومن اجل توثيق رواية العياشي في التفسير يصاحبها بروايات من كتاب ((بحار الأنوار)) للعلامة المجلسي[١]. أما الأحاديث النبوية الشريفة، فكان يوردها مرة مسندة، ومرة مرسلة، وكذلك الحال في أقوال الأئمة من آل البيت عليهم السلام، ويشير أحياناً إلى وجودها مرسلة في بعض الكتب[٢]. وعندما يجد الإسناد طويلاً، فانه يعمد إلى حذفه ويكتفي برفعه إلى احد الصحابة أو التابعين، ويقوم أحياناً بشرح الأحاديث وتفسيرها[٣]. ويورد أكثر من رواية إذا كان هناك اختلاف في المتن أو السند بقوله: ((إنما كررنا ذكر بعض الأحاديث لاختلاف المتن فيها، ولكن كلها واردة في كتب الأخبار))[٤]. ويعتمد أحياناً على الرواية المشهورة والرواية المأثورة، وإذا كانت هناك زيادات في الرواية أشار إليها[٥]. وقد اعتمد على عدد كبير من كتب الأحاديث المعتمد منها: كتاب ((الكافي)) للشيخ الكليني، وكتب الشيخ الصدوق وهي ((من لا يحضره الفقيه، إكمال الدين، الخصال، ثواب الأعمال، مدينة المعاجز، معاني الأخبار، علل الشرائع)). وقال هذه الكتب ((وقد اغترفنا غرفة منها وفيها الكفاية))[٦]. وقد استقى من كتابي الشيخ الطوسي ((تهذيب الأحكام، الغيبة)) بعض النصوص، ولكنه قد أكثر النقل عن كتاب ((بحار الأنوار – للمجلسي))، فكان يشير إلى الجزء والفصل منه في كثير من الأحيان، أو يقابلها مع رواية الحر العاملي في كتاب ((وسائل الشيعة)) أو رواية السيد ابن طاووس في كتاب ((فرحة الغري))[٧]. ولم تفته الهوامش التي كان قد دونها عبد الله أفندي على نسخة من كتاب ((بحار

---

(١) البراقي: تاريخ الكوفة ص٣٢.

(٢) ن. م ص٣١.

(٣) ن. م ص٩.

(٤) ن. م ص٢١.

(٥) ن. م ص١١. ص٥١.

(٦) البراقي: تاريخ الكوفة ص٨.

(٧) ن. م ص٣٢.

الأنوار)) بصفته احد تلاميذ العلامة المجلسي[1]. وهذا له دلالة على اعتماد هذه النسخة لأهميتها وسلامتها، وقد تعود إلى عهد المؤلف أو تلميذه.

وقد استقى السيد البراقي نصوصاً قليلة في الحديث عن ابن الأثير في كتاب ((نهاية الحديث)) وابن قولويه في كتاب ((كامل الزيارات)) والشبلنجي في كتاب ((نور الأبصار)) وابن حجر في كتاب ((الصواعق المحرقة))، والنبهاني في كتاب ((الشرف المؤيد)) والديلمي في كتاب ((الإرشاد)) والبرقي في كتاب ((المحاسن)) وابن طاووس في كتاب ((الإقبال)) ومحمد بن الحسن الصفار في كتاب ((بصائر الدرجات)).

أما المصادر الفقهية فكانت قليلة في كتاب ((تاريخ الكوفة)) ولم يستق السيد البراقي نصوصاً إلا عن كتابين فقهيين هما: ((كتاب المقنعة)) للشيخ المفيد، و((كتاب المختلف)) للعلامة الحلي، ولعل السبب يعود إلى ابتعاد الكتاب عن المادة الفقهية والأصولية، وكان قد استقى من كتاب ((المصباح)) للشيخ الطوسي بعض النصوص في الأدعية المأثورة عن آل البيت عليهم السلام. أما المزارات التي كانت تشغل جانباً من الكتاب فانه قد استقى نصوصها من الكتب التي تحمل اسم ((المزار)) وهي من تأليف عدد من الأعلام، كمزار ابن قولويه، ومصباح الزائر لابن طاووس، ومزار الشيخ النوري ومزار السيد عبد الله شبر، ومزار الشيخ خضر شلال وغيرها.

ثانياً: الموارد اللغوية والأدبية:

قدم السيد حسين البراقي تفسيرات لعدد من الكلمات اللغوية. وقد اعتمد في ذلك على كتب اللغة المعروفة كالقاموس المحيط، وتاج العروس، والمصباح المنير، ومجمع البحرين، وقد خصص فصلاً لنحاة الكوفة فأحصى خمسين منهم قد عاشوا في مدينة الكوفة، وثمانية وأربعين لغوياً، وتسعة وسبعين شاعراً، وقد اعتمد

---

(1) ن. م ص١٥، ص٥٧.

في تراجم هذا العدد الكبير من الأعلام علي بن أبي محمد عبد الله بن مسلم بن قتيبة الدينوري في كتابه ((الشعر و الشعراء)) وأبي عبد الله محمد بن عمر المرزباني في كتابه ((معجم الشعراء)) وأبي القاسم الحسين بن بشر الامدي في كتابه ((المؤتلف والمختلف)) وأبي البركات عبد الرحمن بن أبي الوفاء الانباري في كتابه ((الإنصاف في مسائل الخلاف بين النحويين البصريين والكوفيين))، وأبي البقاء العكبري عبد الله بن الحسين النحوي الضرير في كتابه ((التبيين في مسائل الخلاف بين البصريين والكوفيين)) وكان قد استقى نصوصاً من كتابي جلال الدين السيوطي ((الأشباه والنظائر)) و((بغية الوعاة في طبقات اللغويين والنحاة))، والقلقشندي في كتابه ((صبح الأعشى)) ولم نجد السيد البراقي في اقتباساته من هذه المصادر ناقداً أو معقباً، بل كان في جميعها ناقلاً.

ثالثاً: الموارد التاريخية والرجالية:

استقى السيد البراقي من مصادر التاريخ والرجال والتراجم معظم مادته في ((تاريخ الكوفة)). وقد تكرر ذكر الطبري، وابن الأثير، وابن سعد والمسعودي وأبي الفرج الأصفهاني، فكان البراقي ناقلاً حرفياً من هذه المصادر، فيشير إلى الجزء والصفحة، وأحياناً إلى الطبعة، ومرة يكون موازناً بين الروايات التاريخية، ففي حركة ابن طباطبا العلوي، وأبي السرايا في عامي ١٩٩، ٢٠٠هـ، اقتبس النصوص من كتاب ((الكامل في التاريخ)) لابن الأثير، ثم قارن نصوصه مع كتاب ((التاريخ)) للطبري، وكتاب ((مقاتل الطالبيين)) لأبي الفرج الأصفهاني فيقول: ((أما ابن جرير الطبري في تاريخه، الجزء الأول، وأبو الفرج الاصبهاني في مقاتل الطالبيين، فأنهما يرويان الحادثة بوجه آخر يختلف مع ما ذكرناه اختلافاً يسيراً))[1]. وفي حوادث القرامطة في الكوفة عام ٢٧٨هـ قد اعتمد على ابن الأثير

---

(1) البراقي: تاريخ الكوفة ص٣٥٨.

ثم قارن نصوصه مع كتاب ((تلبيس إبليس)) لابن الجوزي فيقول: ((وقريب منه ما أورده ابن الجوزي في تلبيس إبليس))[1].

ومن الملاحظ إن السيد البراقي قد اعتمد على ابن الأثير أكثر من غيره من المؤرخين، ومن بعده يأتي الطبري وابن سعد في ((الطبقات الكبرى))، واستفاد من كتب ابن قتيبة ((الإمامة والسياسة، المعارف، عيون الأخبار)) نصوصاً قليلة، فضلاً عن ابن خلدون في كتابه ((التاريخ)) وأبي الفرج الأصفهاني في كتابه ((الأغاني))، واليعقوبي في كتابه ((البلدان)) والمسعودي في كتابيه ((مروج الذهب، التنبيه والأشراف)) وابن الجوزي في كتابه ((المنتظم))، فإنه رجع إلى أجزائه المخطوطة وذلك في أحداث العصر الأموي، كما انه استقى نصوصاً من كتاب ((شرح نهج البلاغة)) لابن أبي الحديد وكتاب ((تاريخ الخميس)) للديار بكري، وكتاب ((كشف الغمة)) لسبط ابن الجوزي وكتاب ((الفتوح)) لابن اعثم الكوفي، وكتاب ((حياة الحيوان)) للدميري، وكتاب ((الخطط)) للمقريزي وغيرها.

وقدم لنا السيد البراقي إضافة إلى المادة التاريخية إحصائيات مهمة فأورد أسماء سبعين والياً، حكم في الكوفة من أول تمصيرها حتى أخر العهد العباسي، ويبدو أن هذا الرقم لم يكن قطعياً، وربما فاتته أسماء أخرى من الولادة، وأشار إلى ذلك بقوله: ((هذا ما وقفنا عليه من أسماء الولاة في الكوفة حسب الجهد والطاقة ولعله قد فاتنا الكثير مما لم تصل إليه يد التتبع والفحص))[2]. وأورد من الصحابة الذين نزلوا الكوفة، مائة وسبعة وأربعين صحابياً، وأشار إلى رواياتهم عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم.

وفي حديث السيد البراقي عن الأسر العلمية في الكوفة، فإنه حدد إحدى وعشرين أسرة استقى نصوصها من كتب التراجم والرجال والطبقات، ومن

---

(1) ن. م ص٣٦٩.

(2) البراقي: تاريخ الكوفة ص٢٣٤.

البيوت الطالبية والعلوية ذكر سبعين بيتاً، تولى بعض أبنائها النقابة العلوية أو نقابة الأشراف في الكوفة و النجف، وقد استقى نصوصها من كتب الأنساب المعروفة منها كتاب ((أمثال المشجر)) للنجفي النسابة، وكتاب ((عمدة الطالب في أنساب آل أبي طالب)) لابن عنبة الداودي.

وخصص السيد البراقي لأحداث الكوفة السياسية مساحة كبيرة من الكتاب تحت عنوان ((فتن الكوفة وحوادثها)) فأشار إلى تسع وعشرين حادثة بدءاً من العصر الراشدي، وانتهاءاً بالعصر العباسي، وكان آخرها أحداث عام ٤٨٥هـ، وقد ختم هذه الحوادث بالقول: ((وهذه أهم الحوادث التي وصلت إلينا بالتتبع والاستقراء قدر الجهد والطاقة معتمدين في نقلها على أهم المصادر الوثيقة، ولعله قد فاتنا البعض مما لم نهتد إليه، فان أصبنا الهدف، فذلك غاية ما كنا نتمناه، وان فاتنا ذلك فانه عن قصور وقصر باع وفوق كل ذي علم عليم))[1]. وكان قد اعتمد على ابن سعد في كتابه ((الطبقات الكبرى)) في ذكر الصحابة الذين نزلوا الكوفة بقوله: ((وإليك فيما يلي مختصر من تراجم الصحابة معتمدين في ذكرها على أوثق المصادر وجل اعتمادنا على طبقات ابن سعد))[2]. وكانت اجتهادات السيد البراقي في قبول النص التاريخي أو رفضه قليلة، سوى بعض الإشارات التي توحي إلى رفضه للنص منها ((لا حجة في ذلك)) أو ((لا يبعد أن يكون))[3].

أما موارد السيد البراقي الرجالية فهي كثيرة ترد أحياناً في أثناء النصوص التاريخية أو عند ذكره للرجال، فهو إذا اختصر بعض التراجم فانه يحيل تفصيلاتها على كتب أخرى. وكان كتاب ((السيرة النبوية)) لابن هشام، في مقدمة مصادره، وتأتي بعده كتب الرجال الأخرى كرجال الكشي، ورجال الطوسي، وكتاب وفيات الأعيان لابن خلكان، وكتاب الثقاة لابن حبان، وكتاب تهذيب الكمال للمزي، وكتاب عمدة الطالب لابن عنبة، وكتاب الإصابة لابن حجر وغيرها.

---

(١) البراقي: تاريخ الكوفة ص٣٧٧.

(٢) ن. م ص٤٤ و ص٥٨.

(٣) ن. م ص٦٥.

واعتمد على كتب ((الامالي)) التي تجمع بين التاريخ و الرجال والحديث كأمالي الشيخ الصدوق وأمالي الشيخ المفيد، وأمالي الشيخ الطوسي، وكان يطلق عليها أحياناً اسم ((المجلس)) وقد يوازن في بعض النصوص بين أكثر من كتب الامالي[1].

رابعاً: الموارد الجغرافية والبلدانية:

تتبع السيد البراقي كتابات الرحالة العرب والمسلمين الذين زاروا مدينة الكوفة. وقد أشاد بابن بطوطة بقوله ((وهو من أعاظم العلماء الخبيرين))[2]. وكان ينقل أحياناً من كتاب ((معجم البلدان)) لياقوت الحموي، وكتاب ((مراصد الاطلاع)) لابن عبد الحق البغدادي، وذلك من اجل توثيق النص، وأشار إلى ابن جبير في رحلته، والبلاذري في فتوح البلدان، والمسعودي في التنبيه والأشراف، واليعقوبي في كتاب البلدان، والاصطخري في المسالك والممالك، وابن الوردي في خريدة العجائب، وابن رسته في الاعلاق النفسية، وابن الفقيه في البلدان، وحمد الله المستوفي في نزهة القلوب، كما انه أشار إلى ابن حوقل والقزويني، ولم يكتف السيد البراقي بما كتبه الجغرافيون والبلدانيون عن الكوفة، بل أخذ يقوم بجولات ميدانية، ويتتبع آثار المواقع ومجاري الأنهار، إذا كانت موجودة في أيامه، وهي تعرف بأسماء جديدة أشار إليها بقوله ((وتعرف اليوم))[3]. وكان يحدد أبعادها بالأميال، ويضبط أسماءها، فهو عند حديثه عن كري سعدة يقول ((لقد تتبعنا هذا الأثر مبتدئين من نهر السدير))[4]. وكان يقف على قبور العلويين ويحدد مواضعها، ويشير إلى القبر المتفق عليه بقوله ((لا ريب إن قبره هو مشهده الآن)) ويكون جازماً بصورة قاطعة أحياناً فيقول ((وأقوى

---

(1) البراقي: تاريخ الكوفة ص٢٧.

(2) ن. م ص١٦.

(3) ن. م ص١٣٣.

(4) ن. م ص١٣٣.

حجة على ما قلناه))[1]. ويبدو انه أخذ يتتبع ما ذكره ابن بطوطة عن الكوفة، وتحديد خططها، وإذا لم يجد ذلك يقول ((إن ابن بطوطة شاهد آثاراً كثيرة، وفي زماننا هذه ليس لها عين ولا أثر))[2].

وبعد دراستي لكتاب ((تاريخ الكوفة)) للسيد البراقي، لم أجد – حسب ما اعتقد – من تصدى لتاريخ الكوفة قبل السيد البراقي، سوى بعض البحوث والدراسات أو الكتابات التي تناولت جانباً من تاريخ الكوفة، فقد استوعب السيد البراقي المصادر الأولية الأصلية من تاريخية ولغوية وبلدانية وغيرها، حتى انه لم يكتف بالرجوع إلى احد المصادر ما لم يجد ما يقابل ذلك النص في المصادر الأخرى، وقد تأكد بنفسه من حقيقة الخطط والمواقع ميدانياً فقد جاب المنطقة باجمعها، متتبعاً الآثار والمواقع، ومستفسراً من هذا وذاك من اجل الوصول إلى الحقيقة، وكان أميناً في نقله من المصادر التي اعتمدها، دقيقاً في تثبيت النصوص، وان كانت اجتهاداته وتحليلاته محدودة، ومع هذا فان كتاب ((تاريخ الكوفة)) يبقى مصدراً للباحثين والدارسين لا يمكن تجاوزه لمن أراد الكتابة عن مدينة الكوفة وخططها.

---

(1) البراقي: تاريخ الكوفة ص٦٣، ص٦٤.

(2) ن. م ص١٧.

الشيخ علي البازي
الشاعر الذي أرخ لمدينتي النجف والكوفة

ولد الشيخ علي بن الشيخ حسين البازي في مدينة النجف الاشرف عام ١٣١٥هـ/١٨٨٨م ونشا بها وتتلمذ على أعلامها كالسيد باقر القزويني، والشيخ عبد الأمير الفلوجي، والسيد هاشم الخطيب، وفي عام ١٣٢٢هـ/١٩٠٤م سكن مدينة الكوفة وأخذ يمارس الخطابة، واتصل بالشعراء من أمثال الحاج زاير والشيخ عبود غفلة والسيد مرزة الحلي وكانت له مطارحات شعرية مع الأدباء والشعراء في عصره واشتهر بأدب التاريخ، فأرخ لأحداث النجف والكوفة وأحوالهما الفكرية والاقتصادية والاجتماعية، وانشد لثورة العشرين المجيدة حتى أطلق عليه لفظ (شاعر الثورة) فيقول:

وأيد (النجف) الأعلى ونهضته ... و(كوفة) الجند قاصيها ودانيها

وقال أيضا:

قد أزهرت(كوفان)وارتاح (النجف) ... بمقدم الشهم الهمام ذي الشرف

وأرخ الشيخ علي البازي، ثورة النجف عام ١٩١٨م ضد الانكليز، ومقتل حاكمها الكابتن مارشال وحصار سلطات الاحتلال البريطاني لمدينة النجف بقوله:

ثار (الغري) مذ على ... أبنائه الجور علا

ومرجل البغي به ... بنار (سكسون) غلا

اهاجه حفاظه ... وموته له حلا

أبى بأن تحكمه ... دون ذويه الدخلا

لذلكم أصيب من ... أرخ (حصار وغلا)

وأراد أن يقدم صورة لتاريخ مدينة النجف الاشرف العلمي ومكانتها في العالم الإسلامي، وذلك بقوله:

إن رمت تعرف ما النجف ... فسل الخبير ولا تخف

ناهيـك عـن بلـد حـوى علـم الأواخـر والسـلف
بلـد تـضمن مـن بـني دنيـا الجـواهر لا الـصدف
سـل بعـد هـذا مـا تـشا ان رمـت تعـرف مـا النجـف

وقد تأثر الشيخ علي البازي بأدب التاريخ بالحاج مجيد العطار الحلي في مدينة الكوفة، وأصبح له في هذا الفن الشعري باع طويل، ومنه في تاريخ الانقلاب العثماني وإعلان الدستور عام ١٣٢٦هـ/١٩٠٨م قوله:

قـد نقـم الـشعب علـى نظامـه ذاك الـذي (عبـد الحميـد) نظمـه
وشـعبه علـى انقـلاب حكمـه ثـار عليـه أرخـوا (فأرغمـه)

وكانت ندوة ((ماء الكوفة)) من الندوات الطريفة شارك فيها الشيخ علي البازي والشيخ محمد علي اليعقوبي والسيد محمود الحبوبي والشيخ عبد الغني الخضري والشيخ محمد الخليلي والأستاذ عبد الأمير الشرقي وقد طالب الشيخ علي البازي من قائممقام النجف السيد حسن الجواد مد أنابيب الإسالة لتصفية ماء الكوفة بقوله:

أخـي مثـل عـصر النـور نحيـى بظلمـة ومثلـك فينـا يملـك النهـى والأمـرا
علـى النهـر مـن شـط الفـرات بيوتنـا وأكبادنـا ممـا نكابـده حـرى
أنابيبـه جـاءت ولكـن مـدها نحـاذر مـن تأجيلـه مـرة أخـرى
فـأنجز لنـا مـشروعنا وأربـح الثنـا فقـد مـا بكـم تمـت لنـا النعمـة الكبرى

وتقدم بعده الشيخ محمد علي اليعقوبي فأرتجل على سبيل المفاكهة بيتين من الشعر، طالب فيهما إغفال طلب الشيخ علي البازي بقوله:

لا تعـر أهـل كوفـة الجنـد سمعـاً ودع القـوم يهلكـون ضـماءا
كيـف تـسقي يـا بـن الجـواد اناسـا منعـوا جـدك الحـسين المـاءا

وقد تبارى الشعراء في تشطير هذين البيتين، تحول مجلس القائممقام إلى جلسة أدبية ختمها الشيخ محمد علي اليعقوبي بقوله:

لا تعـر أهـل كوفـة الجنـد سمعـا بـل أعـرهم قلبـا يعـي إصـغاءا

واجتنب قـول مـن يقـول اجتنـبهم ودع القـــوم يهلكـــون ضـــماءا
كيـف تـسقي يـا بـن الجـواد أناسـا غيرهـــم لـــيس يعرفـــون الوفـــاءا
وهـــم لـــو علمـــت ليـــسوا بقـــوم منعـــوا جـــدك الحـــسين المـــاءا

وقد كشفت هذه الندوة الأدبية عن حضور النكتة والطريفة وسرعة الجواب والقابلية الشعرية. قد قدّم الشيخ علي البازي أدب التاريخ وديوان الشعر باللغة الفصحى. وديوان شعر باللغة العامية، وكتاب ((وسيلة الدارين)) يقع في جزئين، وقد خصص تاريخه الشعري لمدينتي النجف والكوفة عام ١٩٦٧م منذ أن ودع الحياة إلى الدار الآخرة، فرحمه الله وأسكنه الفسيح من جنته.

القرامطة
في حاضرة الكوفة

القرامطة في حاضرة الكوفة

لعب القرامطة في مدينة الكوفة خلال القرن الرابع الهجري الموافق للقرن العاشر الميلادي، دوراً بارزاً على الصعيدين السياسي والاجتماعي، فأشار ابن النديم في كتاب (الفهرست) والمسعودي في كتاب (مروج الذهب ومعادن الجوهر) إلى الفكر القرمطي وانتشاره في ارض السواد، وتعرض قوافل الحاج إلى الأخطار، ومهاجمة الناس منذ عام ٣١٢هـ/ ٩٢٤م، فقد كانت القوافل تبدأ بالمسير من بغداد إلى الكوفة والنجف ومن ثم إلى الديار المقدسة، فذكر المؤرخ مسكويه إلى هجوم القرامطة على قوافل الحاج، فاضطر الخليفة العباسي المقتدر بالله إلى المسير نحو الكوفة لمنع تقدم القرامطة عليها(١)، وبقيت مدينة الكوفة وسوادها ساحة قتال بين أنصار القرامطة والجيش العباسي في الوقت الذي كان أبو طاهر القرمطي يكرر هجماته على الكوفة، وقد تمكن من احتلالها في عهد الخليفة العباسي المقتدر بالله، وهذا مما اقلق السلطة والمجتمع البغدادي، خوفاً من سيطرة القرامطة على بغداد، وفي عام ٣١٦هـ تقهقر القرامطة أمام الجيش العباسي في معركة حاسمة، ومني أبو طاهر القرمطي بخسائر فادحة، ومع هذا بقيت فلول القرامطة تهاجم المؤن العراقية في ارض السواد، كما هاجم القرامطة مكة المكرمة عام ٣١٧هـ، وعاثوا في البيت الحرام فساداً، وفي العشرين من شعبان ٣١٩هـ / ٩٣١م ، جدد القرامطة هجومهم على مدينة الكوفة، واستولوا على المنطقة الواقعة بين النجف والكوفة، وحدد المؤرخ الأصفهاني مدة بقاء القرامطة في الكوفة خمسة وعشرين يوماً، وقد تعرضت مخازن الحبوب إلى النهب(٢) ومما يلفت النظر أن السلطة العباسية لم تتصد للقرامطة رغم مناشدة الكوفيين فاضطر بعضهم للذهاب إلى بغداد ورفعوا المصاحف في شوارعها، وعند ذلك تعطلت الأسواق احتجاجاً على احتلال القرامطة لمدينة الكوفة كما أشار المؤرخ ابن الأثير في كتابه

---

(١) مسكويه: تجارب الأمم ٥ / ١٢٠.

(٢) الأصفهاني: تاريخ سني ملوك الأرض والأنبياء ص ١٥٨.

(الكامل في التاريخ) وعند عودة قوافل الحاج إلى مدينة بغداد سالمة، أظهر الناس فرحهم وسرورهم، وقد استغل القائد العباسي مؤنس الخادم، تدهور الوضع السياسي في العراق فدبر مؤامرة لخلع الخليفة القاهر بالله ولكن حركته باءت بالفشل[1].

فاستغل القرامطة هذا الموقف فشنوا هجوماً على مدينة الكوفة عام ٣٢٣هـ، وتعقبوا قوافل الحاج، وعند ذلك تدخل إشراف العلويين في محاولة لكف القرامطة عن مهاجمة قوافل الحاج، فاستجاب القرامطة لطلبهم، ويبدو إن هذه الاستجابة كانت مؤقتة، ففي عام ٣٢٥هـ، عاد القرامطة في هجومهم على الكوفة، فما كان من السلطة العباسية إلا التفاوض معهم، وقد مثلها أمير الأمراء ابن رائق، وعند ذلك غادر القرامطة مدينة الكوفة بعد حصولهم على مبلغ من المال، وبقيت الكوفة مهددة عسكرياً حتى بعد وفاة أبي طاهر القرمطي عام ٣٣٢هـ/ ٩٤٣م.

فأعلن الناس فرحهم واستبشارهم، ولكن في عام ٣٦٤ هـ، عاد القرامطة إلى نشاطهم السياسي والعسكري، واستأنفوا حملاتهم العسكرية، فاقتحموا الكوفة، وفي إثناء تواجدهم فيها، توفي أبو يعقوب بن يوسف بن لحسن الجناب، قائد القرامطة، فأغلقت أسواق الكوفة مدة ثلاثة أيام[2]، ومن المحتمل إن أنصار القرامطة في الكوفة أرغموا أصحاب الحوانيت على إغلاق الأسواق وأشارت المصادر إلى إن فلول القرامطة قد وصلت إلى مدينة (الجامعين) وهي مدينة الحلة الحاضرة، ولكنهم تراجعوا عنها، وحاولوا إعادة هجومهم ولم يفلحوا، وعند ذلك دب الضعف في صفوفهم فغادروا العراق إلى قواعدهم في البحرين، وكان المؤرخون قد سلطوا الأضواء على تحركات القرامطة في العراق، وحددنا عشرين مؤرخاً لأن نصوصهم تكشف تحركاتهم بدقة، وتلقي الضوء على الحالة السياسية والاجتماعية والاقتصادية في العراق وهم:

---

(١) مسكويه: تجارب الأمم ٥ / ٢٦٢.

(٢) ابن الجوزي: المنتظم ٨٦/٧.

١- الطبري في كتابه (التاريخ).
٢- عريب بن سعد القرطبي في كتابه (صلة تاريخ الطبري).
٣- الهمذاني في كتابه (ذيل تاريخ الطبري).
٤- ابن النديم في كتابه (الفهرست).
٥- المسعودي في كتابه (مروج الذهب ومعادن الجوهر).
٦- ابن الأثير في كتابه (الكامل في التاريخ).
٧- ابن خلكان في كتابه (وفيات الأعيان).
٨- أبو الفداء في كتابه (المختصر في إخبار البشر).
٩- ابن كثير في كتابه (البداية والنهاية).
١٠- ابن خلدون في كتابه (المبتدأ والخبر).
١١- المقريزي في كتابه (المواعظ والاعتبار).
١٢- ابن تغري بردي في كتابه (النجوم الزاهرة).
١٣- مسكويه في كتابه (تجارب الأمم).
١٤- الصابي في كتابه (تاريخ الوزراء).
١٥- ابن الجوزي في كتابه (المنتظم).
١٦- الجهشياري في كتابه (الوزراء والكتاب).
١٧- ابن العماد في كتابه (شذرات الذهب).
١٨- ابن الوردي في كتابه (التاريخ).
١٩- الصولي في كتابه (إخبار الراضي).
٢٠- حمزة الأصفهاني في كتابه (تاريخ سني ملوك الأرض والأنبياء).

وهناك مصادر أخرى قد يقف عندها الباحث في تاريخ القرامطة وهجماتهم المتكررة على الكوفة وسوادها، وهناك مراجع حديثة توصل مؤلفوها إلى نتائج واستنتاجات، أضافت إلى الدراسات التاريخية نتائج جديدة.

فقهاء ومحدثون

كميل بن زياد النخعي
وأضواء كاشفة على مروياته

تحدثنا عن قبيلة (مذحج) وابرز أعلامها، في موضع من كتابنا هذا، وأشرنا إلى الصحابي الجليل كميل بن زياد النخعي وان الحديث عنه يحتاج إلى وقفة طويلة، سواء في صولاته الميدانية الجهادية مع أمير المؤمنين (عليه السلام)، أم في مروياته وأحاديثه ودعائه المأثور، فقد جمع رحمه الله بين فروسية الميدان، وعلمية الجامع، وقد أشار إلى سيرته المؤرخون والرجاليون والمحدثون، فيقول ابن كثير: ((وشهد مع علي صفين، وكان شجاعاً فاتكاً، وزاهداً عابداً))[1]. ويكشف لنا هذا النص عن ثنائية كميل النخعي التي جمعت بين السيف والعلم، وقد استمدهما من أستاذه أمير المؤمنين (عليه السلام) فكان من مقدمي خواصه، وكبار شيعته، وموضع ثقته، فولاه أمير المؤمنين (عليه السلام) ولاية هيت للدلالة على مكانته العالية، وإخلاصه العميق للرسالة والإسلام، وأشار علماء الحديث والرجال من أمثال: ابن سعد في كتابه (الطبقات الكبرى) والمزي في كتابه (تهذيب الكمال) وابن ابي حاتم الرازي في كتابه (الجرح والتعديل) وابن عساكر في كتابه (تاريخ دمشق) والذهبي في كتابه (تاريخ الإسلام) وابن حجر في كتابه (تهذيب التهذيب) وغيرهم إلى موقع الصحابي كميل بن زياد النخعي العلمي وأفاض علماء الأمامية في ترجمته وروراياته في الحديث ومنهم: الشيخ الكليني في كتابه (الكافي ولشيخ الصدوق في كتابيه (الخصال ومن لا يحضره الفقيه) والشيخ المفيد في كتابه (الاختصاص) والشيخ الطوسي في كتبه (التهذيب والاستبصار والرجال) والعماد الطبري في كتابه (بشارة المصطفى لشيعة المرتضى) وابن طاووس في كتابه (كشف المحجة) والشيخ المجلسي في كتابه (بحار الأنوار) وغيرهم من علماء الحديث والرجال والتاريخ واكد علماء الإمامية على مروياته عن الإمام علي (عليه السلام) ووضعوه في طبقة الإمامين علي والحسن (عليهما السلام)، ويقول

(١) ابن كثير: البداية والنهاية ٩/٥٧.

السيد الخوئي: ((جلالة كميل واختصاصه بأمير المؤمنين (عليه السلام) من الواضحات التي لا يدخلها ريب))[1] وذكر ابن حجر: أن كميل بن زياد ثقة، قليل الحديث وثّقهُ ابن معين وجماعة، وانه من رؤساء الشيعة[2] وعلى الرغم من حصول كميل على الوثاقة والصدق، فان بعض المحدثين وضعه في طبقة المجروحين بسبب ولائه لأمير المؤمنين (عليه السلام) فيقول ابن حبان: ((وكان كميل من المفرطين في علي ممن يروي عنه المعضلات وفيه المعجزات، ومنكر الحديث جداً تتقى روايته ولا يحتج به))[3] وان مثل هذه النصوص الشاذة و الانفرادات البعيدة عن الحقيقة لا تقلل من توثيق كميل، أو تسقط علومه، ولكن من الواجب على علماء الحديث والرجال ان يكونوا في غاية الموضوعية، والتجرد من العواطف والتعصب المذهبي.

والاحتفاظ بالأمانة العلمية، والحياد التام، وإذا كان كميل النخعي قد تصدى لأخطاء السلطة الحاكمة وابتعاد ولاتها عن خط الإسلام، فليس معناه تطاولاً على الخلافة وولاتها النجباء، فقد كان بعضهم غير أمين على أموال بيت مال المسلمين، وانحرف اخرون عن جادة الصواب.

وكان الإمام احمد بن حنبل قد أورد في مسنده أحاديث عن كميل بن زياد النخعي عن الصحابيين عبد الله بن عباس وأبي ذر الغفاري وأورد البخاري والنسائي أحاديث أخرى عن كميل عن أبي هريرة وأشار كثير من المحدثين إلى الحديث المروي: ((أن هذه القلوب أوعية)) أخذها كميل عن أمير المؤمنين (عليه السلام)، وكان قد اصطحبه الإمام (عليه السلام) إلى (ظهر الكوفة) واخذ يحدثه ويوصيه فيقول كميل: ((اخذ الإمام علي بن أبي طالب بيدي، فأخرجني إلى ناحية الجبان، فلما اصحرنا جلس ثم تنفس ثم قال: يا كميل بن زياد القلوب أوعية فخيرها أوعاها أحفظ ما أقول لك: الناس ثلاثة فعالم رباني، ومتعلم على

(١) الخوئي: معجم رجال الحديث ١٥ / ١٣٢.

(٢) ابن حجر: الإصابة ٤٨٦/٥.

(٣) ابن حبان: المجروحين من المحدثين ٢٢١/٢.

سبيل النجاة، وهمج رعاع أتباع كل ناعق يميلون مع كل ريح لم يستضيئوا بنور العلم، ولم يلجئوا إلى ركن وثيق العلم خير من المال، والعلم يحرسك وأنت تحرس المال)) وقد تضمن حديث أمير المؤمنين (عليه السلام) نصائح وإرشادات في العلم والعقيدة والتربية والأيمان، وقد اجمع المحدثون على رواية الحديث المذكور وقد أوردوه مسنداً عن أبي حمزة الثمالي، وقد وثقه علماء الحديث والرجال، وقدم الشيخ النجاشي ترجمة وافية عن كميل وحديث أمير المؤمنين (عليه السلام) في كتابه (الرجال) ويبدو أن الإمام علياً (عليه السلام) كان يخرج من الكوفة إلى ارض النجف الاشرف، وبعد إن يجتاز (الثوية) مقبرة الكوفة الكبرى، ويقف على جرف الصحراء، يأخذ بالحديث ويوصي كميلاً عن الموت والقبر، ومن وصاياه: ((يا أهل القبور، يا أهل البلاء، يا أهل الوحشة ما الخبر عندكم فان الخبر عندنا قد قسمت الأموال، وايتمت الأولاد، واستبدل بالأزواج، فهذا الخبر عندنا فما الخبر عندكم ؟ فيقول كميل: ثم التفت إليّ أمير المؤمنين (عليه السلام) فقال: ((يا كميل لو أذن لهم بالجواب لقالوا: أن خير الزاد التقوى ثم بكى وقال لي يا كميل القبر صندوق العمل، وعند الموت يأتيك الخبر)) وكان يقع في طريق أسانيد أبي حمزة الثمالي، وعبد الرحمن بن جندب، وكميل بن زياد النخعي، وكان كميل يروي عن الإمام علي (عليه السلام)، أحاديث الملاحم والفتن وأخبار الزمان، وقد أشارت كتب الأمامية، وكتب المذاهب الأخرى إلى (دعاء كميل) الذي اكتسب صفة الإجماع على صحته، وقد رواه كميل عن الإمام علي (عليه السلام)، وورد في الكتب الآتية:

١- كتاب المصباح للشيخ الطوسي.

٢- كتاب الإقبال للسيد رضي الدين بن طاووس.

٣- إجازات الحديث للشيخ المجلسي.

٤- وسائل الشيعة للحر العاملي.

وأورد المحدث الكبير عماد الدين محمد بن ابي القاسم بن محمد الطبري الآملي في كتابه (بشارة المصطفى لشيعة المرتضى) والمحدث النوري في كتابه (مستدرك وسائل الشيعة) وصية الإمام علي (عليه السلام) كميل بن زياد النخعي، وقد روها سعد بن زيد بن ارطاة بقوله: ((لقيت كميل بن زياد وسألته عن فضل أمير المؤمنين علي بن أبي طالب (عليه السلام) فقال: ألا أخبرك بوصية أوصاني بها يوماً: (هي خير لك من الدنيا بما فيها) فقلت بلى، قال: قال لي علي (عليه السلام): يا كميل بن زياد سم كل يوم باسم الله ولا حول ولا قوة إلا بالله، ثم أورد بقية الوصية، وسمع الشيخ عماد الدين الطبري من الشيخ أبي البقاء إبراهيم بن الحسين بن إبراهيم البصري هذه الوصية في مشهد أمير المؤمنين (عليه السلام) في النجف الاشرف، سنة ٥١٦هـ وحفظت لنا كتب الحديث، وصايا أمير المؤمنين (عليه السلام) لكميل بن زيد ومنها:

١- كتاب الامالي للشيخ المفيد.

٢- كتاب تحف العقول لابن شعبة الحراني.

٣- شرح الأخبار للقاضي النعمان المغربي.

٤- أرشاد القلوب للديلمي.

٥- كتاب الصافي للفيض الكاشاني.

٦- جامع الاسرار لركن الدين الآملي.

٧- الهداية الكبرى للحسين بن حمدان الخصيبي.

وأصبح (دعاء كميل) سبيل هداية، ومنهاج صلاح للنفس الإنسانية ومنه: ((اللهم أني أسألك برحمتك التي وسعت كل شيء وبقوتك التي قهرت كل شيء وخضع لها كل شيء وذل لها كل شيء، بجبروتك التي غلبت بها كل شيء، وبعزتك التي لا يقوم لها شيء وبعظمتك التي ملأت كل شيء وبسلطانك الذي علا كل شيء، وبوجهك الباقي بعد فناء كل شيء، وبأسمائك التي غلبت أركان كل شيء، وبعلمك الذي أحاط بكل شيء، وبنور وجهك الذي أضاء له كل

شيء)) وتبقى الوحدانية والربوبية تلازم مفردات الدعاء إلى آخره، ولم نجد في قبالها أقوالاً تقاربها في البلاغة والبيان وكان على أصحاب السهام الضالة والأفكار المنحرفة التي تتهم الفكر الأمامي بعبادة الأئمة (عليهم السلام) فان عبارات التوحيد التي حفظها كميل بن زياد، والتي رواها علماء الحديث تؤكد على شهادة ((لا اله إلا الله)) وأننا نجد في وصايا أمير المؤمنين (عليه السلام) لكميل بن زياد النخعي معاني التربية والأخلاق وتبقى الكلمات العلوية الرشيدة منار هداية وهدى على تعاقب الأجيال.

أبو حنيفة النعمان بن ثابت
فقيه الكوفة وصاحب مدرسة الرأي و القياس

ولد الفقيه أبو حنيفة النعمان بن ثابت بمدينة الكوفة عام ٨٠هـ ونشأ فيها، ونسب إليها، وأطلق عليه لفظ (إمام أصحاب الرأي) وصاحب مدرسة القياس، وقد أخذ علومه عن علماء الكوفة و الحجاز، و تتلمذ على الإمام جعفر بن محمد الصادق عليه السلام وقد أشار إلى تلمذته بقوله: ((لولا السنتان لهلك النعمان)) وقوله ((ما رأيت افقه من جعفر بن محمد))[١] ويبدو إن أبا حنيفة قد التقى بالإمام الصادق عليه السلام عند قدومه إلى العراق، وتجمع الفقهاء حوله في مسجد الكوفة، ومما يؤيد ذلك قول الحسن الوشاء ((أدركت في هذا المسجد تسعمائة شيخ كل يقول حدثني جعفر بن محمد))، وكان أبو حنيفة قد تتلمذ على فقيه الكوفة حماد بن أبي سليمان (ت ١٢٠هـ)))[٢] وغيره من الفقهاء، حتى أصبح له موضع الصدارة في مدرسة الكوفة، وقد أشار إليه الإمام الشافعي بقوله: ((من أراد أن يتبحر في الفقه فهو عيال أبي حنيفة))[٣] ويقول ابن المبارك: ((إن كان احد ينبغي أن يقول برأيه، فأبو حنيفة ينبغي أن يقول رأيه))[٤] وقد نسب لأبي حنيفة كتاب (الفقه الأكبر)، ومن المحتمل أن تلاميذه قد جمعوه من بعده، وكان من أبرزهم أبو يوسف يعقوب بن إبراهيم القاضي (ت١٨٢هـ) فهو أول فقهاء الكوفة قد تتلمذ على أبي حنيفة، وقد ادخل فقهه، ومذهب أهل الرأي إلى مدينة بغداد، وقد كتب في الفقه على مذهب أستاذه[٥] وقد قيل: انه لولا أبو يوسف القاضي لما ذكر

(١) الذهبي: تذكرة الحفاظ ١/١٥٧.

(٢) الخطيب: تاريخ بغداد ١٣/٣٢٤.

(٣) الشيرازي: طبقات الفقهاء ص٨٧.

(٤) الخطيب البغدادي: تاريخ بغداد ١٣/٣٤٣.

(٥) ابن سعد: الطبقات الكبرى ٧/٢٣٨.

أبو حنيفة.[1] ومن المحتمل إن السلطة العباسية، وفي عهد هارون الرشيد، ساعدت على نشر المذهب الحنفي في بغداد وغيرها، منذ تعيين أبي يوسف قاضيا للقضاة. وكان كثير من فقهاء الكوفة قد تابعوا أستاذهم أبا حنيفة في بغداد، وساهموا في الحركة الفكرية في العصر العباسي الأول وقد أشارت المصادر إلى بعض الفقهاء الكوفيين من أصحاب الإمام أبي حنيفة قد اختاروا مدينة بغداد مستقراً لحياتهم وماتوا فيها ومنهم[2]:

١- محمد بن الحسن بن فرقد (ت١٨٩هـ).

٢- أبو زكريا يحيى بن ادم (ت٢٠٣هـ).

٣- الحسن بن زياد اللؤلؤي (ت٢٠٤هـ).

٤- بشر بن المعتمر الهلالي (ت٢١٠هـ).

٥- أبو نعيم الفضل بن دكين (ت٢١٩هـ).

٦- عثمان بن أبي شيبة (ت٢٣٩هـ).

٧- محمد بن عثمان بن أبي شيبة (ت٢٩٧هـ).

وإذا تصفحنا كتاب ((تاريخ بغداد)) للخطيب البغدادي، نجد لعلماء الكوفة مساحة كبيرة فيه، منهم الفقهاء و الشعراء و الأدباء وعلماء مختصون باللغة و الكيمياء والرياضيات والفلسفة وعلم الكلام، وان الحصيلة الكبيرة لهؤلاء تعطي صورة لأثر الكوفيين في الحياة العلمية والفكرية و الثقافية في مدينة بغداد، وفي عصر ازدهارها وعصرها الذهبي.

---

(١) طاش كبري زادة: مفتاح السعادة ٢/٢١٦.

(٢) ابن سعد: الطبقات الكبرى ٧/٢٤٢، ابن النديم: الفهرست ص٢٥٧،ص٢٨٣، الخطيب البغدادي: تاريخ بغداد ٢/١٧٢-١٨١، ابن خلكان: وفيات الأعيان ٤٥/١٨٤

سفيان بن عيينة (تلميذ الإمام الصادق (عليه السلام) وفقيه الكوفة)

كان أبو محمد سفيان بن عيينة بن أبي عمران الهلالي (١٠٧- ١٩٨هـ) من فقهاء الكوفة في عصره، حيث ولد فيها وتتلمذ على علمائها، وعند سكناه في مكة المكرمة تتلمذ على فقهائها و قد أشارت المصادر إلى أن الإمام الصادق (عليه السلام) كان احد شيوخه [١] وقد أخذ موقعه العلمي في الفقه والحديث وتتلمذ عليه الاعمش وابن جريج وسفيان الثوري وغيرهم ويقول أبو نعيم الاصبهاني: إن سفيان بن عيينة، هو الإمام الأمين ذو العقل الرصين، الرأي الركين، المستنبط للمعاني والمرتبط للمباني، وكان عالماً ناقداً، زاهداً عابداً، علمه مشهور، وزهده معمور [٢] وقد أشار مترجموه إلى موقعه العلمي الكبير في علم الحديث حتى انه كان ((يعد من حكماء أصحاب الحديث)) [٣] وله كتاب ((الجامع)) الذي عرف باسم ((جامع أبي محمد سفيان بن عيينة))، كما أنّ له تفسير للقران الكريم [٤] وإليه أشار الإمام الشافعي بقوله: ((لولا مالك وسفيان لذهب علم الحجاز)) [٥] ويبدو انه آثر البقاء في مكة حتى وفاته عام ١٩٨هـ، وقد دفن في الحجون. وقد عاش زاهداً متقشفاً، وكان يكتفي برغيف أو رغيفين من الشعير ويقول: هذا طعامي منذ ستين سنة [٦] ويبدو إن سفيانا كان بعيداً عن سيرة أبيه الذي كان من عمال الوالي الأموي خالد القسري، لما عزل خالد عن ولاية العراق وعين يوسف بن عمر الثقفي بدلاً عنه طلب عمال خالد، فهربوا منه، واختار عيينة مكة فسكنها [٧]

---

(١) ابن حجر: تهذيب التهذيب ٤/ ١١٨.

(٢) ابو نعيم الاصبهاني: حلية الأولياء ٧/ ٢٧٠.

(٣) ابن حجر: تهذيب التهذيب ٤/ ١١٩.

(٤) الكتاني: الرسالة المستطرفة ص٤١.

(٥) الزركلي: الأعلام ٣/ ١٥٩.

(٦) ابن الجوزي: صفوة الصفوة ٢/ ٢٣٤.

(٧) ابن الجوزي: المنتظم ١٠/ ٤٠أ، صفوة الصفوة ٢/ ٢٣١.

ولم تفصح المصادر عن حياة سفيان بن عيينة العلمية سوى الاشادة بمكانته بالفقه والحديث والتفسير، لكن حديثه عن بعض علماء مدينة بغداد يقربنا إلى التقائه بهم، فذكر ان محمد بن إسحاق (صاحب السيرة) لم يتهمه احد [1] وقال معروف الكرخي: يذكره أهل بغداد بخير [2] وان مسعر بن كدام لم يفضل أحداً عليه [3] وذكر الخطيب البغدادي في ((تاريخ بغداد)) وابن الجوزي في ((المنتظم)) نصوصا عن سفيان بن عيينة في أخبار علماء بغداد ومنهم:

١- مقاتل بن سليمان البلخي (ت ١٥٠هـ).

٢- مسعر بن كدام (ت١٥٢هـ).

٣- محمد بن إسحاق (ت ١٥٢هـ).

٤- الحسن بن عمارة الكوفي (ت ١٥٣هـ).

٥- عبد الله بن المبارك المروزي (ت ١٨١هـ).

وتعطي هذه النصوص مؤشراً على سكن سفيان بن عيينة بمدينة بغداد بعض الوقت، في حين إن المصادر تؤكد على انتقاله من الكوفة إلى مكة، ومن المحتمل انه عاش في بغداد مدة ثم عاد إلى الكوفة وانتقل منها إلى مكة. وقد أشاد بعلمه كل من أبي حنيفة النعمان (ت١٥٠هـ) والإمام الشافعي (ت٢٠٤هـ) و الإمام احمد بن حنبل (ت٢٤١هـ)[4] وقد قال الإمام أبو حنيفة لأصحابه ولأهل الكوفة: ((جاءكم حافظ علم عمرو بن دينار))[5] وفي مجال اللغة يقول الكسائي: ((ما رأيت أحداً يروي الحروف إلا وهو يخطئ فيها إلا ابن عيينة))[6].

---

(١) الخطيب: تاريخ بغداد ٢٣١/١.

(٢) ن. م ٢٠١/١٣.

(٣) المنتظم ٨/٧٣أ.

(٤) ابن خلكان: وفيات الأعيان ٢٩٢/٢- ٢٩٣، الذهبي: العبر ٣٢٦/١.

(٥) القنوجي: التاج المكلل ص٥١.

(٦) ابن الجزري: غاية النهاية ٣٠٨/١.

الفقيه سعيد بن جبير رضي الله عنه
ومأساة الكلمة الصادقة

قدمت مأساة الفقيه والمحدث والمفسر سعيد بن جبير صورة أليمة وفظيعة في التاريخ الإسلامي، وقد تكررت أمثالها مع السلطة الجائرة في كل زمان ومكان، ولكن المواقف البطولية بوجه الظلم والطغاة بقيت شاهدة في صفحات التاريخ وخالدة مع تعاقب الدهور حتى إن كلمات الثائرين قد احتلت موقعا في نفوس الناس وتحولت إلى عبر وتجارب. وقد كشفت حركة الفقيه سعيد بن جبير عن جانب منها وكان من الغرابة إنه استشهد عام ٩٥هـ ولم يمض على استشهاده سوى شهور محدودة حتى مات قاتله الطاغية الحجاج بن يوسف الثقفي. فيقول المؤرخ ابن خلكان (ت ٦٨١هـ) في كتابه (وفيات الأعيان)، ولم يسلطه الله تعالى بعده على قتل احد حتى مات، وقد أصبح دم سعيد بن جبير خاتمة المطاف في مسيرة الحجاج الذي سماه الحسن البصري (فاسق ثقيف) ولما جاءه خبر استشهاد سعيد بن جبير قال (والله لو إن من بين المشرق والمغرب اشتركوا في قتله لكبهم الله سبحانه وتعالى في النار) وأشار الإمام أحمد بن حنبل (ت٢٤١هـ) إلى مكانة سعيد بن جبير العلمية بقوله (قتل الحجاج سعيد بن جبير وما على وجه الأرض أحد إلا وهو مفتقر إلى علمه) وقد أجمعت المصادر على أن سعيد بن جبير إمام حجه ثقة و كان فقيها عابداً فاضلا ورعا. ويقول المحدث بن حجر العسقلاني (ت٨٥٢هـ) في كتابه (تهذيب التهذيب) إن الصحابي الجليل عبد الله بن عباس رضي الله عنه إذا أتاه أهل الكوفة يستفتونه يقول أليس فيكم ابن أم الدهماء ويقصد به الفقيه سعيد بن جبير. وكان هذا الشهيد السعيد يستقي رواياته عن الإمام علي بن أبي طالب عليه السلام كما إنه يروي عن أبن عباس وبعض الصحابة وما على وجه الأرض أحد إلا وهو مفتقر إلى عمله وقد رأى من واجبه الشرعي أن يكون سيفه إلى جانب علمه فشارك في معركة (دير الجماجم) دفاعا عن الإسلام ومبادئه السامية بعد أن رأى سيف الحجاج بن يوسف الثقفي يحصد رقاب الناس ويرتكب المحرمات

ويضع الأبرياء في طوامير السجون، وعند ذلك قدم سعيد بن جبير نفسه للشهادة وقد وصفه المحدث أبو نعيم الأصفهاني (ت٤٣٠هـ) في كتابة (حلية الأولياء) بالقول أن سعيد بن جبير هو (جهبذ العلماء) وحينما وقف أمام الحجاج سأله عن أسمه فقال: سعيد بن جبير فأجابه الحجاج (أشقى بني كسير) دون مراعاة لعلمه وفكره وكان يعلم وبصورة قاطعة بأن سعيد بن جبير إذا قام إلى الصلاة كأنه وتد وإذا قرأ القرآن فانه يختمه في كل ليلتين وإذا وقف بين يدي الله يبكي وإليه أشار الحاكم النيسابوري: انه الفقيه البكاء العالم الدعاء السعيد الشهيد السديد الحميد ولكن حماقة الحجاج بن يوسف الثقفي قد أجهزت عليه وجعلته في مواكب الشهداء الخالدين وبقي دمه يرافق الحجاج ليلا ونهاراً فيقول المؤرخ ابن خلكان: (انّ الحجاج لما حضرته الوفاة كان يغوص ثم يفيق ويقول: مالي وسعيد بن جبير؟ وقيل انه في مدة مرضه كان إذا نام رأى سعيد بن جبير أخذا بمجامع ثوبه ويقول له: يا عدو الله فبم قتلتني؟ فيستيقظ مذعورا ويقول مالي وسعيد بن جبير. ويعطي هذا النص درسا خطيراً لجميع حكام الجور في التاريخ في حالة تسلطهم على رقاب الأمة دون مراعاة للحرمات والأحكام وان التاريخ يحدثنا عن الجبابرة والطغاة وما يرافق حياتهم من سفك الدماء وقتل الأولياء وأصحاب الكلمة والعلم دون الاستفادة من التاريخ بأنه تجارب للأمم وعبرة للماضي فالأمارة والسلطة ذات محدودية زمانية سواء قصرت أم طالت ولكن الكلمة الصادقة سوف تبقى خالدة في صفحات التاريخ وان الشهداء والعلماء والمفكرين مصابيح مضيئة على الطريق وكلما يستقي الباحث نصوصاً في الفقه أو التفسير من الشهيد سعيد بن جبير فانه يجده حيا خالدا وان تباعد الزمن وان قاتله قد احتل موقعه من مزبلة التاريخ.

الحسن الوشاء
بائع الثياب و عالم الحديث

كان أبو محمد الحسن بن علي بن زياد الوشاء البجلي، من أعلام مدينة الكوفة، ومن أصحاب الإمام الرضا عليه السلام، وكان من وجوه الإمامية في عصره، وقد لحق به لقب ((الوشاء)) نسبة لبيعه الثوب الوشي أي المنقوش، وقد عرف باهتماماته بعلم الحديث، حيث كان من المتجولين في طلبه، وقد ألف كتبا كثيرة منها ((مسائل الإمام الرضا و أجوبتها))، وأشار الشيخ الطوسي في كتاب ((الفهرست)) انه ابن بنت الياس الصيرفي المعروف بالخزاز، وقال ((له كتاب)) اخبرنا به عدة من أصحابنا عن أبي المفضل عن ابن بطة عن احمد بن محمد بن عيسى عن الحسن بن علي الوشاء[1] ويضع علماء الحديث لفظ ((الكتاب)) في قبال ((الاصل)) ويقول الشيخ الوحيد البهبهاني في كتابه ((الفوائد)) ان له كتاب يعني انه مستعمل في كلامهم في معناه المتعارف، وهو اعم مطلقا من الأصل ويقول الشيخ النجاشي: انه كان من أصحاب الإمام الرضا عليه السلام، ومن وجوه الطائفة، وقد روى عن جده الياس قال: لما حضرته الوفاة، قال لنا: اشهدوا علي وليست ساعة الكذب هذه الساعة سمعت أبا عبد الله (الإمام الصادق) عليه السلام يقول: والله لا يموت عبد يحب الله ورسوله و يتولى الأئمة فتمسه النار ثم عاد الثانية و الثالثة من غير أن اسأله[2] ولصلة الوشاء الوثيقة بالإمام الرضا عليه السلام انه روى عنه قول الإمام زين العابدين (علي بن الحسين) عليه السلام: على الأئمة من الفرض ما ليس على شيعتهم، وعلى شيعتنا ما ليس علينا، أمرهم الله تبارك وتعالى أن يسألونا قال: ﴿**فَاسْأَلُوا أَهْلَ الذِّكْرِ إِنْ كُنْتُمْ لاَ تَعْلَمُونَ**﴾. فأمرهم أن يسألونا، وليس علينا الجواب. ان شئنا اجبنا، وان شئنا امسكنا. وتدل هذه النصوص المروية عن ابي

---

(١) الطوسي: الفهرست ص٧٩ الرجال ص٣٧١.

(٢) النجاشي: الرجال ص٢٨.

محمد الحسن الوشاء على مقامه الرفيع عند الأئمة عليهم السلام، وعلميته الواسعة في علم الحديث، وكان قد أشار إلى دور الإمام جعفر بن محمد الصادق عليه السلام في توسيع دائرة العلم في الكوفة بقوله: ((أدركت في هذا المسجد – ويقصد به مسجد الكوفة– تسعمائة شيخ كل يقول حدثني جعفر بن محمد))[1] وبقوله هذا قد ألقى ضوءاً كاشفا على التفاف العلماء في الكوفة حول الإمام الصادق عليه السلام، ويبدو انه كان في فترة الانتقال السياسي بين سقوط الدولة الأموية، ونشوء الدولة العباسية، وانه كان من المعمرين بحيث أدرك عهد الأئمة (الصادق و الكاظم و الرضا) عليهم السلام.

---

(1) النجاشي: الرجال ص٣١، الحكيم: الشيخ الطوسي ص٩٦.

حميد بن زياد الدهقان
صاحب الفهرست في الكوفة

برزت في القرن الرابع الهجري، الموافق للقرن العاشر الميلادي كتبٌ حملت لفظ ((الفهرست)) وقد أشار علماء الرجال إلى أصحابها، وفي مقدمتهم، الشيخ النجاشي، والشيخ الطوسي، ويعد الشيخ حميد بن زياد الدهقان الكوفي، المتوفى عام ٣١٠هـ، من مؤلفي الإمامية الكبار في عصره، ومن الرواد الذين كتبوا في (الفهرستات)، وقد أشار إليه الشيخ النجاشي في الرجال بالقول: ((ذكر أو قال حميد بن زياد)) كما ينقل عنه بالواسطة وقد أشار إلى كتابه ((الفهرست)) بالقول: ((قال حميد في فهرسته)) فعند ترجمة الشيخ النجاشي لعبيد الله بن نهيك النخعي قال: ((قال حميد بن زياد في فهرسته، سمعت من عبيد الله كتاب المناسك، وكتاب الحج، وكتاب فضائل الحج، وكتاب الثلث و الأربع، وكتاب المثالب، ولا ادري قراها حميد عليه، وهي مصنفاته أو هي لغيره))[1]. وكان الشيخ النجاشي دقيقا في معرفة الكتب المنسوبة إلى بعض الرجال للوقوف على صحتها، فهو عند ترجمته لعلي بن أبي صالح الكوفي يقول: ((قال حميد في فهرسته سمعت عنه كتباً عدة))[2] ولما أورد كتبه قال ((ولستُ اعلم أهذه الكتب له أو رواها عن الرجال؟))، ويستفاد من بعض النصوص المستقاة من فهرست حميد بن زياد الدهقان تحديد وفيات بعض الرجال، ومواضع دفنهم وهذا له أهمية تاريخية في تحديد الخطط والمواقع، ولم نجد في مدينة الكوفة من تصدى لهذا الجانب قبله، فهو بذلك يعد رائداً في الكتابة، وعليه اعتمد علماء الرجال المشهورين في الفكر الإمامي، ويعود إليه الفضل في تدوين الكتب التي ألفها الإماميون في عهد الأئمة عليهم السلام وحتى عصره، علماً انه عاصر فترة الغيبة الصغرى، ومن المحتمل انه قد عاصر الأئمة المتأخرين، إذ إن مولده غير معروف، سوى أن وفاته كانت في عام ٣١٠هـ. وتعطي هذه المعاصرة سواء للائمة عليهم السلام أو للسفراء في الغيبة الصغرى أهمية لكتابهِ ((الفهرست)).

---

(١) النجاشي: الرجال ص١٦٠- ص١٦١.

(٢) المصدر نفسه ص١٨١.

محمد بن علي الدهقان
مؤرخ النجف والكوفة في القرن الرابع الهجري

لقب أبو الحسين محمد بن علي بن الفضل بن تمام الدهقان الكوفي بلقب ((سكين)) وذلك لاحترام الناس له وإعظاماً لشانه[1] لأنه كان ثقة عيناً، صحيح الاعتقاد، جيد التصانيف، وقد روى عنه الشيخ التلعكبري الحسين بن أبي محمد هارون بن موسى عام ٣٤٠هـ، وله منه إجازة. وقد سمع الشيخ الطوسي ذلك من شيخه أبي محمد المحمدي، وقال: انه كثير الرواية[2] وكان الشريف النقيب الحسن بن القاسم المحمدي العلوي نزيل مدينة بغداد، وتوفى فيها عام ٤١٠هـ، ولعل ما ذكره الشيخ الطوسي عن أبي الحسين الدهقان بأنه كثير الرواية، هو لاقترابه زمنيا من الشيخ الصدوق أبي جعفر محمد بن علي المتوفى عام ٣٨١هـ، ولذا قيل انه من طبقته، وذكر الشيخ النجاشي: إن أبا العباس احمد بن علي بن نوح كان يروي مؤلفات الشيخ محمد بن علي الدهقان ويقول ((قرأت كتاب الكوفة على أبي عبد الله الحسين بن عبيد الله عنه)) وإذا القينا نظرة على مؤلفات الدهقان نجد بعضها في تاريخ النجف و الكوفة ومنها:

١- كتاب تاريخ الكوفة.

٢- كتاب موضع قبر أمير المؤمنين عليه السلام.

٣- كتاب الزيارات.

٤- كتاب الفرج في الغيبة.

أما كتبه الأخرى فهي في التاريخ و الحديث وعلم الكلام والفقه والعقائد وقد وصفت بعض كتبه بالضخامة و الحسن، ويقول الشيخ النجاشي ((اخبرنا بسائر رواياته و كتبه أبو العباس احمد بن علي بن نوح)) وان كتابه ((تاريخ الكوفة)) يعد من الكتب المتقدمة في تاريخ هذه المدينة، وان كتابه في تحديد

---

(1) النجاشي: الرجال ص٢٩٩، العلامة الحلي: الرجال ص١٦٢- ١٦٣.

(2) الطوسي: الرجال ص٥٠٣، الفهرست ص١٨٨، المامقاني: تنقيح المقال ١٥٨/٣.

((موضع قبر أمير المؤمنين عليه السلام)) له أهمية تاريخية، إذ انه سبق غيره في هذا الجانب، وان التأليف عن النجف و الكوفة في القرن الرابع الهجري، يعطي مؤشراً على اهتمام المؤرخين بهاتين المدينتين، وان أبا الحسين الدهقان كان معاصراً للعهد البويهي، والشاعر الحسين بن الحجاج النيلي الذي وصف المرقد الحيدري الشريف بقصيدته المشهورة والتي مطلعها:

يا صاحب القبة البيضا على النجف   من زار قبرك واستشفى لديك شفي

ولعل هذا التوافق الزمني، واهتمام السلاطين بالمرقد الحيدري الشريف جعل الدهقان الكوفي يؤلف كتابه عن موضع قبر أمير المؤمنين عليه السلام وبحكم مولده في الكوفة وسكناه فيها، كتب عنها تاريخاً، لعله حدد فيه خطط المدينة و تمصيرها، وما فيها من معالم وقبائل، ولكن من المؤسف إن الكتابين لم يصلا ألينا، وأصبحا في عداد الكتب المفقودة، وكذلك الحال في كتب الدهقان الأخرى ومنها ((مقتل الحسين عليه السلام)) و ((الفرج بعد الشدة)) و ((عدد الأيام ونوادر الأخبار)) وتعطي هذه الكتب مؤشراً على اهتمام المؤلف بالتاريخ، فضلاً إلى اهتماماته بتواريخ آل البيت عليهم السلام كما يشير كتابه عن مقتل الإمام الحسين عليه السلام، وكتاب ((ما روي في عدد الأئمة)). وان مؤلفات الدهقان الأخرى تؤكد على تعدد ثقافاته في التاريخ و الفقه و العقائد و الكلام ومنها ((مختصر الفرائض)) وكتاب ((الإيمان)) وكتاب ((الجمل في أصول شرائع الإسلام)) فضلاً إلى كتابي الزهد و الوصايا، ويبقى الشيخ محمد بن علي الدهقان صاحب الريادة في التأليف البلداني من الكوفيين.

ابن عقدة الهمداني
مسيرة علم من الكوفة إلى بغداد

كانت حياة المحدث الكبير أبي العباس احمد بن محمد بن سعيد الهمداني الكوفي المعروف بابن عقدة (٢٤٩- ٣٣٣هـ) تؤرخ مرحلة علمية من تاريخ مدينة الكوفة في القرن الرابع الهجري، وقد بدأ حياته العلمية في الكوفة، وأكملها في بغداد، يقول الخطيب البغدادي ((كان حافظا عالماً مكثراً، جمع التراجم والأبواب والمشيخة وأكثر الرواية، وانتشر حديثه، وروى عنه الحفاظ و الأكابر مثل أبي بكر بن الجعابي))(١) وقد أملى في جامع الرصافة في بغداد عام ٣٣٠هـ. وأشار الدار قطني إلى علميته بقوله ((اجمع أهل الكوفة انه لم ير بها من زمن ابن مسعود الصحابي إلى زمن ابن عقدة المذكور من هو أحفظ منه)) وقال: ((انه يعلم ما عند الناس، ولا يعلم الناس ما عنده))(٢)، وأشارت المصادر الإمامية إلى أن ابن عقدة كان على مذهب الزيدية الجارودية، وقال فيه العلامة الحلي ((إنما ذكرناه من أصحابنا لكثرة رواياته عنهم وخلطته بهم و تصنيفه لهم، روى جميع كتب أصحابنا، وصنف لهم وذكر أصولهم)) (٣) وأشارت المصادر إلى جلالة قدره و علو منزلته و كثرة حفظه، فيقول الحاكم ابن البيع: سمعت أبا علي الحافظ يقول: ((ما رأيت أحفظ لحديث الكوفيين من أبي العباس بن عقدة)) ونقل عنه قوله: أنا أجيب في ثلاثمائة ألف حديث من حديث أهل البيت و بني هاشم))(٤) وقد صنف كتابا في أسماء الرجال الذين رووا الحديث عن الإمام الصادق عليه السلام فذكر ترجمة أربعة آلاف رجل، فخرج فيه لكل رجل الحديث الذي رواه(٥) ومن

---

(١) الخطيب: تاريخ بغداد ١٤/٥- ١٥.

(٢) القمي: الكنى والألقاب ٣٥٢/١.

(٣) العلامة: الرجال ص٢٠٣- ص٢٠٤.

(٤) الذهبي: تذكرة الحفاظ ٨٤٠/٣، دول الإسلام ٢٠٥/١ اليافعي: مرآة الجنان ٣١١/٢.

(٥) البراقي: تاريخ الكوفة ص٤٠٤، محيي الدين: أدب المرتضى ص٣٦.

الجدير بالذكر إن الإمام الصادق عليه السلام لم يمكث في الكوفة طويلاً، لكن تهافت الناس عليه وأخذهم الحديث عنه، جعلهم ينقلونه في كل مكان، وإلى ذلك أشار الحسن بن علي الوشاء البجلي بقوله: ((إني أدركت في هذا المسجد، يعني مسجد الكوفة تسعمائة شيخ كل يقول: حدثني جعفر بن محمد))[1] وذكر الشيخ النجاشي: إن لابن عقدة كتاب التاريخ وذكر من روى عن الحسن والحسين، وكتاب من روى عن علي بن الحسين و كتاب من روى عن أبي جعفر و كتاب من روى عن زيد بن علي و كتاب من روى عن جعفر بن محمد[2] وكان على الرغم علميته الكبيرة في علمي الحديث والرجال، فانه بقي على مذهب الزيدية في حين إن ولده أبا نعيم محمداً الحافظ كان من إجلاء الشيعة الإمامية[3] وقد تصدى المحدث الذهبي لجمع طرق أحاديث ابن عقدة كحديث ((من كنت مولاه فعلي مولاه)) وحديث الطير، وحديث ((من كذب علي متعمداً))[4] وذكر الخطيب البغدادي وابن الجوزي في كتابيهما موقف ابن عقدة من بعض الرجال وما قيل فيهم من مصطلحات الجرح و التعديل[5] ولكن على الرغم من مكانته العلمية في الحديث والرجال فان هناك من يوجه إليه نقداً لاذعاً، واتهامه بالكذب ووضع الأحاديث و مثالب الصحابة[6] ولعل تشيعه كان وراء هذه الاتهامات، فيقول الذهبي ((مقت لتشيعه)) وان ما نقله التنوخي في ((نشوار المحاضرة)) عنه يفند ذلك ((أنا أحفظ منسقا من الحديث بالأسانيد و المتون خمسين و مائتي ألف

---

(1) النجاشي: الرجال ص٣١ شمس الدين: حديث الجامعة النجفية ص٧، الحكيم: الشيخ الطوسي ص٩٦.

(2) النجاشي: الرجال ص٧٣.

(3) العلامة: الرجال ص١٤٨ الخوا نساري: روضات الجنات ٢/٢٠٨- ٢٠٩.

(4) الكتاني: الرسالة المستطرفة ص٩٤ ص١١٢.

(5) الخطيب: تاريخ بغداد ٢/٢٣٧- ٢٨٤، ٣/٤٥ ابن الجوزي: المنتظم ٥/٤٢، ٦/٢٣٥٩٥.

(6) ابن حجر: لسان الميزان ١/٢٦٥، الذهبي: ميزان الاعتدال ١/١٣٨، ابن العماد: شذرات الذهب ٢/ ٣٣٢ اليافعي: مرآة الجنان ٢/٣١١.

حديث، وأذكر بالأسانيد، وبعض المتون و المراسيل والمقاطيع ستمائة ألف حديث))[1] وكانت مكتبته الكبيرة التي حملت على ستمائة جمل عندما أراد الانتقال[2] قد أعطته بلا شك علوماً أضيفت لعلوم شيوخه من أمثال: عبد الله بن محمد بن خالد، وعبيد بن حمدون الرواسي، ومحمد بن عبد الله بن علي، ومحمد بن عبد الله الأنصاري، ويعقوب بن يوسف، وعبد الرحمن بن يوسف، واحمد بن عمر بن كيسبة والحسن بن قاسم البجلي[3] وكان قد روى عن جعفر بن عبد الله تفسير الإمام الباقر[4]. وتتلمذ على ابن عقدة عدد من المحدثين المشاهير كالطبري و الدار قطني وابن الجعابي وابن عدي وغيرهم، وكان قد اتخذ من مسجد براثا في بغداد مكانا للدرس والإملاء[5] وان الذي يقف على مؤلفات ابن عقدة يجد فيها طابع التشيع واضحا، فكتب كتب من روى عن الأئمة وزيد بن علي ومن روى حديث غدير خم، وكتب في بعض الأحاديث النازلة في أمير المؤمنين عليه السلام، ومن روى عن فاطمة عليها السلام وله في بعض محدثي الشيعة الأوائل كتب ومسانيد، وله في التاريخ العلوي كتب منها صلح الحسن و معاوية و الولاية وأخبار أبي حنيفة وفضل الكوفة وتاريخ ابن عقدة وغيرها[6] وقد امتلك الخطيب البغدادي نخبة من تاريخ ابن عقدة جاء بها من دمشق[7]. وكان كتابه ((جزء في فضائل علي)) قد نقل عنه السيد ابن طاووس في كتاب ((اليقين))[8]

---

(1) التنوخي: نشوار المحاضرة ٢٢٩/٥.

(2) الذهبي: تذكرة الحفاظ ٥٦/٣- ٥٧، ابن العماد: شذرات الذهب ٣٣٢/٢، اليافعي: مرآة الجنان ٢/ ٣١١ ابن كثير: البداية و النهاية ٢٠٩/١.

(3) الطهراني: طبقات أعلام الشيعة / القرن الرابع ص٣٦، ص٩٧، ص٢٧٩، ص٣٣٤ الخوئي: معجم رجال الحديث ٣٦٩/٩.

(4) البخاري: سر السلسلة العلوية ص٨٦.

(5) ابن كثير: البداية و النهاية ٢٠٩/١١.

(6) ابن شهر آشوب: معالم العلماء ص١٧ الطهراني: الذريعة ٢٢٣/٣، ٨٦/١٥.

(7) العمري: مواد الخطيب ص٣٦٧.

(8) الذريعة ١٠٢/٥.

وله كتب أخرى في التفسير والفضائل وغيرها، وهذه التعددية في علوم ابن عقدة، جعلت الذهبي يقول: انه حافظ العصر، والمحدث البحر[1] وهذا القول يلتقي تماماً مع علمية ابن عقدة ومكانته الفكرية. أما كتاب ((رجال ابن عقدة)) فهو قد خصص لرواة الحديث الشريف، وقد تفرع منه كتاب ((من روى عن أمير المؤمنين عليه السلام)) وكتاب ((من روى عن الحسن و الحسين)) وكتاب ((من روى عن علي بن الحسين))، وكتاب ((من روى عن أبي جعفر))، وكتاب ((من روى عن زيد بن علي)) وقد خصص ابن عقدة كتاب ((الرجال)) لمن روى عن الإمام جعفر بن محمد الصادق عليه السلام، وإشارت بعض المصادر إلى ((تاريخ ابن عقدة)) ومن المحتمل انه كتاب الرجال، وقد وقف الشيخ النجاشي على خط ابن عقدة عن طريق احمد بن الحسين بقوله: ((قال أبو الحسن احمد بن الحسين وقع أليّ بخط أبي العباس بن سعيد))، وعند ترجمته لأبان بن تغلب قال: ((قال أبو الحسن احمد بن الحسين وقع أليّ بخط أبي العباس بن سعيد)).

---

(1) الذهبي: تذكرة الحفاظ ٣/٨٣٩.

قضاة الكوفة في بغداد

قضاة الكوفة في بغداد

تولى منصب القضاء في مدينة بغداد في العصر العباسي (١٤٥-٦٥٦هـ) عدد من قضاة مدينة الكوفة، وكان بعضهم من أصحاب المذهب الحنفي، ومن المحتمل أنهم تتلمذوا على الإمام أبي حنيفة النعمان بن ثابت، المتوفى عام ١٥٠ هـ / ٧٥٩ م، وكان معظم القضاة الكوفيين قد تولوا منصب القضاء في بغداد الشرقية التي بناها الخليفة العباسي أبو جعفر المنصور، لولده محمد المهدي لتكون معسكراً له، وتولى منصب القضاء في بغداد الغربية جماعة من تلاميذ القاضي أبي يوسف، المتوفي عام ١٨٢هـ / ٧٩٨ م، وكان الفقيه أبو يوسف من ابرز تلاميذ أبي حنيفة من الكوفيين، وقد اسند إليه منصب (قاضي القضاة) وقد لقبه المؤرخ ابن كثير بلقب (قاضي قضاة الدنيا) [1]، ومن المحتمل ان مؤلفاته التي رد فيها على فقهاء عصره وفي مقدمتهم بن انس والاوزاعي، وقد احتل كتاب (الخراج) موقعا مقبولاً في السلطة العباسية، وأصبح له مقاماً رفعياً عند الخليفة العباسي هارون الرشيد، وان منصبه (قاضي القضاة) ساعد على بروز أبي يوسف بين علماء بغداد في عصره، وكان له دور كبير في انتشار المذهب الحنفي في الأمصار الإسلامية، وأصبحت مدينة بغداد ملتقى الفقهاء والمحدثين، وأشارت المصادر إلى القضاة الكوفيين الذين تولوا منصب القضاء بمدينة بغداد وهم:

١- أسد بن عمرو البجلي.
٢- أبو يوسف القاضي.
٣- الحسن بن عمارة.
٤- الحسين بن الحسن الصوفي.
٥- حفص بن غياث النخعي.
٦- عون بن علاثة الكلابي.
٧- نوح بن دراح.

---

(١) ابن كثير: البداية والنهاية ٥ /١٨٧.

٨- يزيد بن قيس.

وكان أبو جعفر المنصور منذ بنائه لمدينة بغداد عام ١٤٥هـ، قد احتضن جماعة من العلماء والفقهاء، واستدعاهم إلى مدينة بغداد وفي مقدمتهم الإمام مالك بن انس (فقيه المدينة المنورة) ومحمد بن إسحاق (مؤرخ السيرة النبوية) ومن فقهاء الكوفة الإمام أبو حنيفة النعمان بن ثابت، وسفيان الثوري، وسفيان بن عيينة، وشرقي بن القطامي، والمفضل الضبي، ومحمد بن خازم، ومن الشعراء حماد عجرد، ومن المؤرخين الهيثم بن عدي، وغيرهم من الفقهاء والمحدثين والشعراء والمؤرخين، ورصد الخطيب البغدادي في كتابه (تاريخ بغداد) عدداً من أعلام مدينة الكوفة قد قاموا بدور علمي بمدينة بغداد، وحظي الفقيه الكوفي محمد بن الحسن الشيباني بمكانة متقدمة عند هارون الرشيد، وعهد إليه تأديب ولديه الأمين والمأمون، إضافة إلى الكسائي والمفضل الضبّي[1] ويعد عصر المأمون (١٩٨-٢١٨هـ) عصر التقدم العلمي والفكري في بغداد، وفي عهده شهدت نشاطاً علمياً كبيراً، وأصبح محلّهُ ندوة فكرية لرجال العلم والفكر والأدب، وفيها يتناظر العلماء ويتحاجون في كافة فروع المعرفة، ويقول ابن النديم: ان المحدث الكوفي عبد الله بن إدريس قد شهد للمأمون بالعلم[2] وتعلم المأمون علم النحو على أبي معاوية الضرير محمد بن خازم الكوفي، المتوفى عام ١٩٤هـ/٨٠٩م وشهد القرنان الثاني والثالث للهجرة اعلاماً كوفيين كان لهم مكانة في المجتمع البغدادي منهم: أبو العتاهية ودعبل الخزاعي، وأبو عمرو الشيباني، وأشار بن النديم إلى عدد الكوفيين في بغداد، والخطيب البغدادي وابن الجوزي والسيوطي وابن كثير، ومنهم القضاة والفقهاء والشعراء، وكانت مراكز العلم البغدادية (المساجد وبيوت العلماء وقصور الخلفاء ودكاكين الوراقين والمكتبات وخزائن الكتب) قد شهدت نشاطاً علمياً وفكرياً بين العلماء ورجال الفكر.

---

(١) الطبري: التاريخ ٣٦٢/٨.

(٢) ابن النديم: الفهرست ص ١٢٩.

قادة وثوار

مالك الاشتر النخعي
بطل مذحج الذي لا يعرف الهزيمة

كان البطل الهمام، والقائد المقدام مالك بن الحارث الأشتر، من الأبطال العرب الأوائل المنفردين عند معترك القنا، واشتباك الأسنة، وقد مضى في أثناء زحفه للقاء أهل الشام في موقعة صفين وهو يقول: (ازحفوا قيد رمحي هذا، ازحفوا قاب هذا القوس)، وكان بلاؤه العسكري الحسن، ونضاله الصادق في معركتي الجمل وصفين، قد جعل أمير المؤمنين الإمام علي عليه السلام يقول فيه: (رحم الله مالكا، فقد كان لي كما كنت لرسول الله صلى الله عليه وآله وسلم). وقد اختاره الإمام عليه السلام في مقدمة جيشه في يوم صفين، وفي قبال سفيان بن عمرو المعروف بابي الاعور السلمي، وحينما سيطر السلمي على الفرات تقدم الاشتر، وكشفه عن المشرعة، وهيمن على موارد الشرب، ولكن الإمام علياً عليه السلام طلب منه السماح للجميع بورود الماء، ونفذ مالك الأشتر أوامر أمير المؤمنين عليه السلام في أحلك المواقف وأخطرها، فكان عليه السلام قد أوصاه بقوله: (وإياك أن تبدأ القوم بقتال، إلا إن يبدؤك حتى تلقاهم وتسمع منهم، ولا يجر منك شنآنهم).

وكان الاشتر شديد الحماس في الحرب عميق الإيمان في العقيدة، وقد رأى إن بين الحق والباطل، ما هي إلا صولة فارس في الميدان، فان كانت الشهادة فهي أحدى الحسنيين، وان كان النصر فهو فريضة واجبة، لان الجهاد باب من أبواب الجنة، فرضه الله لخاصة أوليائه، وقد قال لأمير المؤمنين عليه السلام: (فسر بنا إلى أعدائك فوالله ما ينجو من الموت من خافه ولا يعطي البقاء من أحبه ولا يعيش بالأمل إلا المغرور).

وقد عرف عن الاشتر انه بطل لا يكترث بالموت في سبيل العقيدة، والدفاع عن الحق، وإذا أراد المسير إلى الحرب، كان يردد هذه الأبيات:

في كل يوم هامتي مقيره ... بالضرب ابغي منة مؤخره

والـــدرع خـــير مـــن بـــرود حـــيره   يـــا رب جنـــبني ســـبيل الكفـــره
يـــا رب جنـــبني ســـبيل الكفـــره   لا تعـــدل الـــدنيا جميعهـــا وبـــره

وقد ذهبت مقالة عبد الله بـن الـزبير: (اقتلـوني ومالكـا) مـذهب المثـل الـذي يستشهد به يوم التقى مالك الاشتر بابن الزبير في يوم الجمـل وسـقطا عـن فرسيها، وطال اعتراكهما على وجه الأرض فعلاه الاشـتر، ولم يجد سبيلا إلى قتلـه لـشدة اضطرابه من تحته، والناس حولهما يجولون، فأخذ عبد الله بن الزبير ينادي:

اقتلـــــــــــــوني ومالكـــــــــــــاً   واقتلـــــــوا مالكـــــــاً معـــــــي

وعند انفكاك الجمع، انشد مالك الاشتر قائلاً:

اعـــايش لـــولا أنـــني كنـــت طاويـــاً   ثلاثـــا لألفيـــت ابـــن أختـــك هالكـــا
غـــداة ينـــادي والرمـــاح تنوشـــه   كوقـــع الـــصياصي اقتلـــوني ومالكـــا
فنجـــاه مـــني شـــبعه وشـــبابه   وانـــي شـــيخ لم أكـــن متماســـكا

وكان المثل الأعلى لمالك الأشتر في الحياة، وفي حربهـا وسـلمها أمير المـؤمنين علي بن أبي طالـب عليه السلام وقد أشـار إليه بقولـه: (معنـا ابـن عـم نبينـا، وسـيف مـن سيوف الله، علي بن أبي طالـب، صـلى مع رسـول الله صلى الله عليه وآله وسلم، لم يـسبقه للـصلاة ذكر حتى كان شيخا، لم يكن له صبوة ولا نبوه، ولا صفوة فقيه في دين الله، عـالم بحدود الله ذو رأي أصيل وصبر جميل، وعفاف قديم.

وكـان مطيعـاً لقائـده جنـدياً في ميادينـه، منفـذا لأوامـره، وقـد منعتـه عقيدتـه وإيمانه الراسخ بشريعة الخلافة أن يضع السيف بسهولة في يوم صـفين عنـدما طلـب منه أمير المؤمنين عليه السلام، وقـال لرسـوله: (إن الحـرب قـد اشـتجرت بينـي وبـين أهـل الناحية، فليس يجوز أن انصرف).

لمـا أحـس مالـك الأشـتر بوقـوع الـوهن في الـصفوف وسـيطرت خديعـة المـصاحف في النفـوس، وقـف بـين صـفوف الجـيش وهـو يقـول: (يـا أهـل الـوهن والـذل، أحـين علـوتم القـوم تنكلـون لرفـع هـذه المـصاحف). وكـان الاشـتر يحـس بالمرارة والألم بعد توقيع وثيقة إيقاف القتال في صفين، فوجد الظرف غير مناسـب

طالما أن النصر أصبح قاب قوسين أو أدنى وقد اخبر الإمام أمير المؤمنين عليه السلام بعدم موافقة الاشتر بإيقاف القتال، فقال عليه السلام: (على أن الاشتر ليرضى إذا رضيت، وقد رضيت ورضيتم ولا يصلح الرجوع بعد الرضا، ولا التبديل بعد الإقرار، إلا إن يعصى الله ويتعدى ما في كتابه، وأما الذي ذكرتم من تركه أمري، وما أنا عليه فليس من أولئك، وليس أتخوفه على ذلك، وليت فيكم مثله اثنين، بل ليت فيكم مثله واحدا، يرى في عدوه مثل رأيه).

وهذه العقيدة الراسخة التي أشار إليها الإمام عليه السلام في مالك الأشتر قد أفصح عنها مالك في قوله: (واعملوا أنكم على حق وان القوم على باطل إنما تقاتلون معاوية وانتم مع البدريين قريب من مائة بدري سوى ما حولكم من أصحاب محمد أكثر ما معكم رايات، فقد كانت مع رسول الله، وعدونا مع رايات قد كانت مع المشركين على رسول الله فمن يشك في قتال هؤلاء إلا ميت القلب، انتم على أحدى الحسنيين أما الفتح وأما الشهادة).

وقد أهلت القيادة العسكرية والإدارية مالك الاشتر إلى تعيينه والياً على مصر، بعد استشهاد محمد بن أبي بكر، وقد أحس معاوية بخطورة الموقف إذا تسلم مالك الاشتر ولاية مصر فانه لا بد من القضاء عليه، وقد تم ذلك في منطقة القلزم فمات بشربة عسل مسموم وقد سر ومعاوية بوفاة الاشتر فقال: (أما بعد فانه كان لعلي يمينان، وقطعت أحداهما بصفين - ويقصد بذلك عمار بن يأسر - وقطعت الأخرى، ويقصد بذلك مالك الاشتر) وحزن أمير المؤمنين عليه السلام بوفاة الاشتر كثيراً، وصعب عليه فراقه، كما حزن من قبل على وفاة محمد بن أبي بكر الذي قال فيه: (جزعنا عليه على قدر سرورهم، فما جزعتُ على هالك منذ دخلت هذه الحروب جزعي عليه، كان لي ربيباً وكنت أعده ولدا، وكان بي براً، وكان ابن أخي فعلى مثل هذا نحزن، وعند الله نحتسبه).

وكان الإمام أمير المؤمنين عليه السلام قد اعد نظاماً إدارياً تجسدت فيه دقائق نظام الحكم، وقد كشف عهده لمالك الاشتر ووصاياه الإدارية عن ذلك ومنه: (أنصف

الله وأنصف الناس من نفسك، ومن خاصة أهلك، ومن لك هوى فيه من رعيتك، فانك إلا تفعل تظلم، ومن ظلم عباد الله كان الله خصمه دون عباده، ومن خاصمه الله ادحض حجته).

وأعطى الإمام عليه السلام للإنسان حقوقاً، وللدولة واجبات، وللقانون سيادة بقولة: (انظر في أمور عمالك فاستعملهم اختباراً، ولا تولهم محاباة وأثرة، فإنهم جماع من شعب الجور والخيانة، وتوخ منهم أهل التجربة والحياء، من أهل البيوتات الصالحة والقدم في الإسلام، فأنكم أكثر أخلاقاً، واقل في المطامع إسرافاً، وابلغ في عواقب الأمور نظراً).

وقد شاءت الأقدار أن يذهب مالك الاشتر شهيداً من اجل رسالته وعقيدته دون أن يقوم بتطبيق وصايا أمير المؤمنين عليه السلام في الإدارة ونظم الحكم.

ميثم بن يحيى التمار
ودور الإمام علي في تربيته العلمية

لقب أبو سالم ميثم بن يحيى التمار بالنهرواني، نسبه إلى كورة ((النهروان)) الواقعة بين بغداد وواسط و جاء لقب التمار لبيعه التمر في مدينة الكوفة، وقد اشتراه أمير المؤمنين عليه السلام من امرأة أسدية ثم اعتقه. وأصبح من أبر تلاميذه وأخلص حواريه وقد رباه على هديه وتروى من ينابيع علمه، وكان الإمام عليه السلام إذا خرج من مسجد الكوفة يمر بحانوت ميثم التمار فيجلس عنده ويحدثه في التفسير والحديث والفقه. وبلغ مقاماً رفيعاً في العلم، راوياً عن أمير المؤمنين عليه السلام، وقد ترحم عليه الإمامان الباقر والصادق عليهما السلام، وكان قد تعرض للمحنة نتيجة ولائه لأمير المؤمنين ولآل بيته عليهم السلام، وقد ساند الثورة الحسينية ووقف إلى جانب مسلم بن عقيل عند دخوله مدينة الكوفة، ولكنه أعتقل من قبل الوالي الأموي عبيد الله بن زياد مع المختار بن أبي عبيد الثقفي، وأشارت المصادر إلى مقامه العلمي في التفسير والحديث، وقد ناظر حبر الأمة عبد الله بن عباس في المدينة المنورة في تفسير القرآن الكريم وتأويله.

أما في علم الحديث فقد كان من رواته البارزين، وقد أشار إلى ذلك الإمام محمد الباقر عليه السلام، حينما أراد صالح بن ميثم التمار استماع الحديث من الإمام الباقر، فأجابه قائلاً: ((أما سمعت الحديث من أبيك)) فقال: لا كنت صغيراً.

وبقي ميثم التمار على ولاء يقيني صادق لأمير المؤمنين عليه السلام ولآل بيته الكرام، وقد اخبره عليه السلام بأنه يموت مصلوباً، فقال له ميثم: وأنا على فطرة الإسلام فقال الإمام عليه السلام: نعم. وقد صدق أمير المؤمنين سلام الله عليه، لما طلب من ميثم التمار البراءة من الإمام عليه السلام فأبى، وكان صلباً في عقيدته، ولما أصعد على خشبة إعدامه أخذ يردد فضائل أهل البيت عليهم السلام، وقد استمد أبناؤه هذه العقيدة وكان أولاده الستة: محمد وشعيب وصالح وعلي وعمران وحمزة من تلاميذ الإمامين الباقر والصادق عليهما السلام، وقد حظي أبناء شعيب بن ميثم

التمار بمكانة بارزة في رواية الحديث عن الإمام جعفر الصادق عليه السلام، وقد أشار الشيخ أبو جعفر محمد بن الحسن الطوسي في كتابه (الرجال) إلى أبان بن عمر ختن آل ميثم التمار الكوفي وعده من أصحاب الإمام الصادق عليه السلام[1] وقد احتفظ ورثة ميثم التمار بكتاب في الحديث جمع فيه بعض الروايات عن الإمام علي عليه السلام، ولكنه لم يصل إلينا وعدّ من الكتب المفقودة. وقد روى جماعة من التابعين عن ميثم التمار وقد حدد تاريخ استشهاده عام ٦٠هـ أي قبيل استشهاد الإمام الحسين عليه السلام.

(١) الطوسي: الرجال ص٥٨، ص١٥١.

سليمان بن صرد الخزاعي
قائد التوابين

كان أبو مطرف سليمان بن صرد بن جون الخزاعي الكوفي، صحابيا جليلا، فانه قد ولد في اليمن، واسلم على يد رسول الله ﷺ وكان اسمه في الجاهلية يساراً، فسماه النبي عليه أفضل الصلاة والسلام سليمان بعد إسلامه [١] وقد شارك في بعض المغازي ومنها غزوة الخندق في السنة الخامسة للهجرة وكان قد اختار مدينة الكوفة سكناً له[٢] منذ تأسيسها عام ١٧هـ حيث بنى داراً في قبيلته (خزاعة) [٣] وقد ساعدت صحبته للنبي الكريم عليه أفضل الصلاة والسلام على رواية الحديث الشريف. كما روى عن الإمامين علي والحسن عليهما السلام [٤] وعن بعض الصحابة، وقد أشارت المصادر إلى تدينه ومكانته الاجتماعية، بحيث استنكر على عثمان بن عفان تصرفات واليه على الكوفة سعيد بن العاص، وبعد مقتل عثمان بايع الإمام علياً عليه السلام [٥] وقد عده الشيخ الطوسي من رجال الشيعة [٦] ولكن بعض المصادر أشارت إلى معاتبة الإمام علي عليه السلام له عند عدم مشاركته في حرب الجمل [٧] ولكنه شارك في معركة صفين، وأبلى فيها بلاء حسناً، حيث كان على ميمنة جيش الإمام عليه السلام[٨] وقد حمل على القائد الأموي حوشب ذو ظليم وقتله، وكان هذا القائد يرتجز ويقول:

---

(١) الحاكم: المستدرك ٥٣٠/٣.

(٢) الحاكم: معرفة علوم الحديث ص١٩١، الخطيب: تاريخ بغداد ٢١٥/١.

(٣) المزي: تهذيب الكمال ٤٥٦/١١.

(٤) الزمخشري: الفائق في غريب الحديث ٣٩٦/١.

(٥) المفيد: النصرة لسيد العترة ص١٠٨- ص١٠٩، الجمل ص٥٢.

(٦) الطوسي: الرجال ص٩٤.

(٧) الطبري: المنتخب من ذيل المذيل ص٧٣، نصر بن مزاحم: موقعة صفين ص٦.

(٨) نصر بن مزاحم: وقعة صفين ص٢٠٥.

نحــنُ اليمــانيون ومنــا حوشــب　　ذا ظلــيم أيــن منــا المهــرب
فينــا الــصفيح والقنــا المعلــب　　والخيــل أمثــال الوشــيح شــزب
إن العــراق حبلــها مذبــذب　　إن عليــا فــيكم محبــب
(في قتل عثمان وكل مذنب)

فحمل عليه سليمان بن صرد الخزاعي وهو يقول[1]:

يــا لــك يومــا كاســفا عصبــصبا　　يالــك يومــا لا يــوارى كوكبــا
يــا أيهــا الحــي الــذي تذبــذبا　　لــسنا نخــاف ذا ظلــيم حوشــبا
لان فينـــا بطـــلا مجربـــا　　ابـــن بـــديل كـــالهزبر مغـــضبا
أمـــسى علـــي عنـــدنا محببـــا　　نفديـــه بـــالأم ولا نبقـــي الابـــا

ويبدو أن سليمان الخزاعي قد أصيب بوجهه وقد جاء إلى الإمام علي عليه السلام، والدماء تسيل منه فما كان من الإمام عليه السلام، إلا وذكره بقوله تعالى: ﴿**فَمِنْهُمْ مَنْ قَضَى نَحْبَهُ وَمِنْهُمْ مَنْ يَنْتَظِرُ وَمَا بَدَّلُوا تَبْدِيلاً**﴾[2] وكان إخلاصه في الحرب، وثباته على العقيدة، جعله موضع ثقة الإمام عليه السلام به، فولاه بلاد الجبل (بلدة بين النعمانية وواسط)[3] وبعد استقرار السلطة بيد معاوية، وتعيين المغيرة بن شعبة والياً على الكوفة، طلب منه إحضار سليمان بن صرد الخزاعي في صلاة الجماعة[4] وربما أراد من ذلك استدراجه إليه لما يتمتع به من نفوذ اجتماعي كبير، ولكن سليمان بقي على الولاء العلوي، كما بقيت قبيلته على نفس الولاء[5] وكان عمرو بن الحمق الخزاعي مثالاً رائعا في الولاء حيث كان على راية خزاعة في

---

(1) نصر بن مزاحم: وقعة صفين ص٤٠٠- ص٤٠١- ابن شهر آشوب: مناقب آل أبي طالب ٣٥٨/٢.
(2) الأحزاب: ٢٣.
(3) البلاذري: انساب الأشراف ١٦٦/٣.
(4) الطبري: التاريخ ١٣٧/٤.
(5) ماسنيون: خطط الكوفة ص١٤٤.

معركة صفين[1] وكان على الرجالة عبد الله بن بديل بن ورقاء الخزاعي، وكان يحرض الناس على القتال: وهو يقول: ((قاتلوا الفئة الباغية الذين نازعوا الأمر أهله وقد قاتلتم مع النبي ﷺ ما هم في هذه بأزكى ولا ابر، قوموا إلى عدو الله وعدوكم رحمكم الله))[2] وكان ولاء خزاعة واضحاً لأمير المؤمنين عليه السلام، وقد أدرك معاوية ذلك فكان يقول: ((مع إن نساء خزاعة لو قدرت على أن تقاتلني فضلا عن رجالها لفعلت))[3].

وقد كلف الإمام عليه السلام عمرو بن الحمق الخزاعي بتولي شرطة الكوفة، وذلك لحفظ الأمن فيها، وبعد استشهاد الإمام علي عليه السلام ومن بعده الإمام الحسن عليه السلام، اجتمع الشيعة في الكوفة في دار سليمان بن صرد الخزاعي، واستقر رأيهم على مراسلة الإمام الحسين عليه السلام، ولكن إيداع بعضهم في السجون والمعتقلات وإيثار بعضهم العافية والنكوص عن العهود المقطوعة أبعدهم عن المشاركة في الثورة الحسينية وبعد استشهاد الإمام الحسين عليه السلام شعروا بالذنب وأعلنوا التوبة، إذ إن استشهاد الإمام عليه السلام وأهل بيته تركت في نفوس الكوفيين شعوراً بالإثم وبقيت مأساة الطف تساير أذهانهم ومشاعرهم، فجاءت حركة التوابين طريقا للخروج من أطواق الأثم، فانضم كثير من القراء إلى سليمان بن صرد الخزاعي في محاولة لإرجاع الخلافة إلى أصحابها الشرعيين، وإقصاء آل أمية ومن والاها من المشايعين. وقد تحمل بعض التوابين مسؤولية تاريخية وشرعية بسبب تقاعسهم عن نصرة الإمام الحسين عليه السلام، فان سليمان بن صرد الخزاعي لم يتحمل ذلك بسبب سجن الأمويين له في أثناء معركة الطف الأليمة فقد قامت الدولة الأموية بحملة واسعة بين صفوف الشيعة حتى ذكرت بعض المصادر أربعة آلاف وخمسمائة

---

(1) نصر بن مزاحم: وقعة صفين ص٢٠٥، الدينوري: الأخبار الطوال ص١٧١.

(2) ابن حجر: تهذيب التهذيب ١٣٦/٥.

(3) نصر بن مزاحم: وقعة صفين ص٢٤٧.

رجلاً في سجون عبيد الله بن زياد في الكوفة[1] ومنذ عام ٦١هـ/٦٨٠م وهو العام الذي استشهد فيه الإمام الحسين عليه السلام وال بيته وأصحابه في كربلاء، اخذ سليمان بن صرد الخزاعي يوجه الدعوة إلى عدد من الرجال لمؤازرته[2] منها إلى سعد بن حذيفة بن اليمان في المدائن، والمثنى بن مخربة العبدي في البصرة[3] وغيرهما، وكانت رسائله في منتهى السرية، وكانت عباراته تحمل كلمات النهضة والاستعداد للحرب منها (جدوا) و(اعدوا) و(استعدوا)، وتحمل كلمات التوبة والتماس الأجر ونحو ذلك، وقد ورد في رسائل استشهاد حجر بن عدي الكندي واستشهاد ميثم التمار ورشيد الهجري وغيرهم، وذكرهم بجرائم. زياد بن أبيه، ولما أعلن الثورة قام متوكأ على قوس له، فخطب خطبة ثورية منها ((ما معنا من ذهب ولا فضة، ولا خز ولا حرير وما هو إلا سيوفنا في عواتقنا، ورماحنا في اكفنا، وزاد قدر البلغة إلى لقاء عدونا، فمن كان غير هذا فلا يصحبنا))[4] وقد أجابه عدد كبير، ولكن سرعان ما تخلفوا عنه، ولما وصل إلى النخيلة كان عدد جيشه قد بلغ أربعة آلاف مقاتل[5] وقد تحرك جيش التوابين نحو كربلاء، ولكن تخلف بعضهم في النخيلة، وقد وقفوا على قبر الإمام الحسين عليه السلام وهم في صراخ وعويل، طالبين العفو والتوبة ووقف احدهم على القبر الشريف وانشد قائلا[6]:

تبيت النساء من أمية نوما ... وبالطف قتلى ما ينام حميمها

وما ضيع الإسلام إلا قبيلة ... بأمر فزكاها ودام نعيمها

وعادت قناة الدين في كف ظالم ... إذا مال منها جانب لا يقيمها

---

(1) ابن طاووس: اللهوف في قتلى الطفوف ص١٥٣، الاسفرايني: نور عين في مشهد الحسين ص٩٤.

(2) ابن الطقطقى: الفخري في الآداب السلطانية ص١٢٠.

(3) الطبري: التاريخ ٤/٤٢٩، مسكويه: تجارب الأمم ٢/٧٠.

(4) أبو مخنف: المقتل ص٢٨٥.

(5) ابن كثير: البداية و النهاية ٨/٢٥١.

(6) ابن نما: ذوب النضار ص٨٤.

فقيل إن الأبيات لوهب بن زمعة أو لعبيد الله بن الحر الجعفي وواصل بعد ذلك التوابون المسير للقاء آل أمية في بلاد الشام، وقد مروا بمدينة قرقيسيا ومنها إلى (عين الوردة) حيث كانت فيها المعركة الحاسمة، وبعد قتال، استمر ثلاثة أيام أصيب فيها سليمان بن صرد الخزاعي بسهم رماه يزيد بن الحصين بن نمير[1] ولما وقع على الأرض قال: ((فزت ورب الكعبة)) فوقف عنده المسيب بن نجبة وخاطبه بالقول: ((رحمك الله يا أخي فقد صدقت ووفيت ما عليك، وبقي ما علينا))[2] فاخذ الراية المسيب وقاتل قتال الأبطال فاستشهد أيضاً، فتولى القيادة عبد الله بن سعد بن نفيل، تحف به المقاتلة من قبيلة الازد، وبعد قتال عنيف استشهد عبد الله، وأخذت الراية تنتقل من واحد لآخر. حتى علم التوابون إن الأمر سيؤول إلى الأمويين، فعند المساء انسحبوا إلى مدينة قرقيسيا ومنها إلى الكوفة وقد استفاد المختار بن أبي عبيد الثقفي من هزيمة التوابين، فاستقطب إلى صفوفه جماعة منهم عند إعلان ثورته.

---

(1) ابن سعد: الطبقات الكبرى ٤/٢٩٣.

(2) الطبري: التاريخ ٤/٤٦٥.

نقابة العلويين في الكوفة
في العصر العباسي

نقابة العلويين في الكوفة في العصر العباسي

حظيت النقابة العلوية في مدينة الكوفة في العصر العباسي، وبخاصة الأخير منه، بإدارة واسعة في رعاية العلويين، وحفظ أنسابهم وأصبح للنقيب العلوي (إمارة الحاج) وتسيير القوافل إلى الديار المقدسة بدءاً من مدينة الكوفة، عبر آبار السيدة زبيدة الواقعة على الطريق المؤدي إلى مكة المكرمة، ومما يؤكد اتساع سلطة النقيب العلوي في صدارة مدينتي الحلة والكوفة، إضافة لنقابتي النجف الأشرف وكربلاء المقدسة كما أشار المؤرخ ابن الأثير في كتابه (الكامل في التاريخ) ويقول السيد ابن زهرة الحلبي: أن السيد زين الدين هبة الله بن أبي طاهر المولود عام ٦٦٧هـ، انه قد ولي صدارة البلاد الحلية والكوفية، والنقابة العلوية في النجف وكربلاء، وبما ان السيد زين الدين قد عاش في العصر المغولي الايلخاني أي بعد سقوط بغداد، والخلافة العباسية عام ٦٥٦هـ / ١٢٥٨ م، إلا إن أسرته قد تولت نقابة العلويين في العصر العباسي، وقد اشتهرت في مدينة الكوفة اسر علمية تولت نقابة العلويين فيها، وامتدت إلى مدينة النجف الاشرف وهي:

١- آل الاشتر

٢- آل الآوي

٣- آل جماز

٤- آل الصوفي

٥- آل كتيلة

٦- آل سدرة

٧- آل المختار

٨- آل عبد الحميد

٩- آل الطقطقى

١٠- آل الموسوي

١١- آل طاووس

وقد تولت النقابة العلوية رعاية المرقد الحيدري الشريف منذ القرن الرابع الهجري، الموافق للقرن العاشر الميلادي، ويقول المؤرخ ابن الأثير: أن السيد المرتضى أبا الفتح أسامة العلوي قد تولى النقابة العلوية في النجف الاشرف حتى عام وفاته ٤٧٢هـ، وذكر المؤرخ ابن الجوزي في كتابه (المنتظم في تاريخ الملوك والأمم) وفي أحداث عام ٥١٥هـ: أن الأعراب هاجموا قوافل الحاج، وخربوا العيون الواقعة في الطريق المؤدي إلى مكة المكرمة، وقد تولى أصلاحها نقيب العلويين في مشهد أمير المؤمنين (عليه السلام) وقد بذل أموالا طائلة في سبيل أصلاحها،وكانت بعض الأسر العلوية في مدينتي النجف الاشرف والكوفة قد جمعت بين العلم ونقابة العلويين، وفي مقدمتها أسرة آل عبد الحميد، وقد تولى السيد تاج الدين أبو الحسن علي نقابة العلويين وأمارة الحاج، وكان لبعض أعلام الأسرة معرفة في علم الأنساب وقد أضاف السيد النقيب جلال الدين عبد الحميد بن أبي طالب محمد بن عبد الحميد بن عبد الله التقي لعلميته علم الأنساب، فقد كانت له معرفة واسعة فيه حتى وفاته عام٦٦٦هـ، وقد دفن في المشهد العلوي الشريف وكانت لنقيب الأشراف العلويين نجم الدين محمد بن علي بن عبد الحميد صلة وثيقة بصاحب الديوان عطا ملك الجويني، بعد سقوط الدولة العباسية عام ٦٥٦هـ/ ١٢٥٨ م وقد اشرف على مشاريع عمرانية في مدينتي النجف الاشرف والكوفة واحتل بعض نقباء العلويين مكانة ادبية، فكان النقيب شمس الدين القاسم علي أديباً شاعراً، وقلده الخليفة العباسي الناصر لدين الله نقابة الطالبيين، وخلع على النقيب فخر الدين أبي الحسن محمد بن محمد بن المختار الكوفي نقابة الطالبيين في بغداد عام ٦٠٣هـ، وذلك في دار الغدير ناصر الدين ناصر بن مهدي العلوي، سلم اليه عهده بالنقابة واستمرت النقابة العلوية في أسر آل جماز وآل الاشتر وآل كتيلة في مدينتي النجف الاشرف والكوفة حتى العهدين المغولي والجلائري وبسط بعض النقباء سلطانهم على مدينة كربلاء، ويقول السيد ابن زهرة في كتابه (غاية الاختصار): أن السادة آل كتيلة سادة عظماء ومنهم النقباء

والرؤساء والفضلاء والزهاد، ومنهم من اختص في علم الانساب، وتوسع السيد ابن عنبة الداودي في كتابه (عمدة الطالب في انساب آل ابي طالب) في دراسة الاسر العلوية الكوفية، واوضح مكانتهم العلمية والاجتماعية، ويمكن للباحث المتتبع لنقباء العلويين في النجف والكوفة، ان يستخلص جوانب سياسية وعلمية واجتماعية مهمة.

الخاتمة

إن المحطات التي تناولها كتابنا قد كشفت جوانب من تاريخ مدينة الكوفة، في حقب زمنية مختلفة، ولم تراع الدراسة هذه التسلسل التاريخي في كتابة هذه المحطات، وإنما أعطينا للقارئ الكريم فرصة الاختيار في قراءة هذه المحطة أو تلك، وقد ابتعدنا عن الخوض في الأحداث السياسية، لان الباحثين لم يتركوا جانبا من جوانبها إلا ودرسوه، وان تغطية الأحداث السياسية، يجعلنا نغوص في أعماق الجوانب الأخرى، ولاشك إن سعة الكتابة عن الكوفة تجعل الباحثين في حرية في اختيار الجوانب التي لم تبحث أو التي بحثت بصورة غير مستوفية، وكنا قد أردنا دراسة تاريخ (المثلث التاريخي الحضاري) الذي يتناول مدينة الحيرة في عمقها التاريخي، ومدينة الكوفة في عمقها السياسي والعلمي، ومدينة النجف الاشرف في تاريخها الطويل. وتأتي دراستنا للكوفة، بعد صدور أجزاء من كتابنا (المفصل في تاريخ النجف الاشرف) وان شاء الله تعالى تأتي دراستنا للحيرة لاحقة بعد الكوفة وعند ذلك تستكمل دراسة المثلث الذي اشرنا إليه، وان الرقعة الجغرافية التي تحتضن المثلث الحضاري، قد تدخلت فيها بعض الأحداث مما أعطتها صفة الوحدة أو التكامل، لان أبعاد المثلث غير متباعدة من الجانب الجغرافي. ولعل مصطلح (الظهر) الذي أطلق على الحيرة والكوفة، والذي يحتضن النجف الاشرف كان عاملاً على تداخل أجزاء المثلث وإعطائه الصفة التكاملية، والوحدة الجغرافية ولعل مصادر التاريخ والبلدان في مقدمة المصادر التي شخصت هذه الوحدة. وأنني في هذه الدراسة الموجزة، ذات الأبعاد المختلفة قد غطيت صفحات من التاريخ الكوفي، أما الصفحات الأخرى فأنها تترك للباحثين والمؤرخين، ولعل طلبة الدراسات العليا (الماجستير والدكتوراه) في أقسام التاريخ والجغرافية واللغة العربية والاجتماع والعلوم الإنسانية الأخرى، اقدر من غيرهم على الخوض في التاريخ الكوفي، ويجب أن لا ننسى إن العلوم البحتة والتطبيقية لها نصيب في التاريخ، ويمكن دراسة الكوفة من خلال دراسة (العلوم عند العرب)، وأسأل الله تعالى العون في إكمال مشاريعنا العلمية، انه نعم المولى ونعم النصير.

المصادر والمراجع

١ـ القران الكريم

٢- العهد العتيق، سفر التكوين، بيروت ١٨٨٢م.

أولاً: المخطوطات:

الافندي: الميزا عبد الله بن عيسى الأصفهاني

٣- رياض العلماء، مخطوطة مصورة في مكتبة الإمام الحكيم العامة في النجف الاشرف.

ابن الجوزي: أبو الفرج عبد الرحمن بن علي (ت ٥٩٧هـ)

٤- المنتظم في تاريخ الملوك والأمم، مخطوطة في مكتبة المجمع العلمي العراقي/بغداد.

ثانياً: المطبوعات:

إبراهيم شريف (الدكتور)

٥- الموقع الجغرافي للعراق وأثره في تاريخه العام حتى الفتح الإسلامي مطبعة شفيق/بغداد.

ابن أبي الحديد: عز الدين أبو حامد بن هبة الله المدائني (ت ٦٥٦هـ)

٦- شرح نهج البلاغة، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، دار إحياء الكتب العربية. الطبعة الأولى ١٣٧٨هـ/١٩٥٩م.

ابن أبي اصيبعة: موفق الدين أبو العباس احمد السعدي الخزاعي (ت٦٦٨هـ)

٧- عيون الأنباء في طبقات الأطباء، تحقيق الدكتور نزار رضا دار مكتبة الحياة/بيروت ١٩٦٥م.

ابن أبي الوفاء: محيي الدين أبو محمد عبد القادر بن محمد القرشي (ت٧٧٥هـ)

٨- الجواهر المضية في طبقات الحنفية، مطبعة مجلس دائرة المعارف النظامية/حيدر آباد الدكن، الطبعة الأولى ١٣٣٢هـ.

ابن الأثير: عز الدين أبو الحسن علي بن أبي الكرم الشيباني (ت٦٣٠هـ)
٩- الكامل في التاريخ، دار صادر/بيروت ١٣٨٦هـ/١٩٦٦م.
احمد أمين (ت ١٣٧٣هـ)
١٠- فجر الإسلام، مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر، الطبعة العاشرة ١٩٦٥م.
١١- ضحى الإسلام، دار الكتاب العربي/بيروت، الطبعة العاشرة.
احمد بن حنبل (ت ٢٤١هـ)
١٢- المسند، شرح احمد محمد شاكر، الطبعة الثالثة دار المعارف للطباعة والنشر/مصر ١٣٦٨هـ/١٩٤٩م.
احمد شلبي (الدكتور)
١٣- تاريخ التربية الإسلامية، مطبعة دار الكشاف للنشر والطباعة والتوزيع ١٩٥٤م.
احمد عادل كمال
١٤- فتوح الشرق بعد القادسية، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع/بيروت، الطبعة الأولى ١٣٩٣هـ/١٩٧٤م.
أدي شير
١٥- الألفاظ الفارسية المعربة، المطبعة الكاثوليكية للآباء اليسوعيين/بيروت ١٩٠٨م.
الاربلي: عبد الرحمن بن سنبط (ت٧١٧هـ)
١٦- خلاصة الذهب المسبوك، طبع في بغداد.
الاربلي: أبو الحسن علي بن عيسى (ت٦٩٣هـ)
١٧- كشف الغمة في معرفة الأئمة، مطبعة النجف/النجف الاشرف.
الازدي: أبو زكريا يزيد بن محمد (ت ٣٣٤هـ)
١٨- تاريخ الموصل، تحقيق الدكتور علي حبيبة، دار التحرير للطبع والنشر/القاهرة ١٣٨٧هـ/١٩٦٧م.

الأصفهاني: حمزة بن الحسن
١٩- تاريخ سني ملوك الأرض والأنبياء، مطابع دار مكتبة الحياة/بيروت.
الاصطخري: إبراهيم بن محمد
٢٠- المسالك والمالك، تحقيق الدكتور محمد جابر عبد العال الحسيني مطابع دار القلم/القاهرة ١٩٦١م.
أسد حيدر
٢١- الإمام الصادق والمذاهب الأربعة، مطبعة النجف/النجف الاشرف، الطبعة الثانية ١٣٨٣هـ/١٩٦٣م.
الاسفرايني: أبو إسحاق إبراهيم بن محمد
٢٢- نور العين في مشهد الحسين، مطبعة البابي الحلبي وأولاده/مصر ١٣٣٩هـ.
الأصفهاني: أبو نعيم احمد بن عبد الله (ت٤٣٠هـ)
٢٣- حلية الأولياء وطبقات الأصفياء، دار الكتاب العربي/بيروت، الطبعة الثانية ١٩٦٧م.
ابن اعثم الكوفي: أبو محمد احمد (ت ٣١٤هـ)
٢٤- الفتوح، دار الندوة الجديدة/بيروت ١٩٧١م.
الافوه الاودي: أبو ربيعة ملاءة بن عمرو
٢٥- الديوان، ضمن كتاب الطرائف الأدبية، لجنة التأليف والترجمة والنشر/القاهرة ١٩٧٣م.
الأمين: محسن الحسيني العاملي (ت١٣٧١هـ)
٢٦- أعيان الشيعة، مطابع الإتقان والأنصاف/بيروت، مطابع ابن زيدون والترقي/دمشق.
الاميني: محمد هادي
٢٧- معجم رجال الفكر والأدب في النجف خلال ألف عام، مطبعة

الآداب/النجف الاشرف، الطبعة الأولى ١٣٨٤هـ/١٩٦٤م.
ابن الانباري: أبو البركات
٢٨- نزهة الالبا في طبقات الأدباء، تحقيق إبراهيم السامرائي/بغداد ١٩٥٩م.
البحراني: يوسف يوسف بن احمد (ت١١٨٦هـ)
٢٩- الحدائق الناضرة في أحكام العترة الطاهرة، تحقيق الشيخ محمد تقي الايرواني، مطبعة النجف، النجف الاشرف ١٣٧٧هـ.
البراقي: حسين احمد النجفي (ت١٣٢٢هـ)
٣٠- تاريخ الكوفة، المطبعة الحيدرية/النجف الاشرف الطبعة الثالثة ١٣٨٨هـ/١٩٦٨م.
٣١- الدرة البهية في فضل كربلاء وتربتها الزكية، تحقيق السيد علي الهاشمي، المطبعة الحيدرية/النجف الاشرف ١٣٩٠هـ/١٩٧٠م.
البستاني: بطرس
٣٢- دائرة المعارف، مؤسسة مطبوعاتي إسماعيليان/طهران.
البستاني: عبد الله
٣٣- فاكهة البستان، المطبعة الاميركانية/بيروت ١٩٣٠م.
ابن بطوطة: أبو عبد الله محمد بن عبد الله (ت٧٧٩هـ)
٣٤- الرحلة (تحفة النظار في غرائب الأمصار وعجائب الأسفار، المكتبة التجارية الكبرى/مصر ١٣٧٧هـ/١٩٥٨م.
البغدادي: إسماعيل بن محمد أمين الباباني (ت١٣٣٩هـ)
٣٥- هدية العارفين - أسماء المؤلفين وآثار المصنفين، مطبعة المعارف الجليلة/استانبول.
البغدادي: صفي الدين عبد المؤمن بن عبد الحق (ت٧٣٩هـ)
٣٦- مراصد الاطلاع على أسماء الأمكنة والبقاع، تحقيق علي محمد البجاوي، دار أحياء الكتب العربية، الطبعة الأولى ١٣٧٣هـ/١٩٥٤م.

البغدادي: عبد القادر بن عمر (ت١٠٩٣هـ)
٣٧- خزانة الأدب ولب لباب لسان العرب تحقيق عبد السلام هارون/القاهرة ١٩٨٩م.
البرقوقي: عبد الرحمن
٣٨- شرح ديوان المتنبي، دار الكتاب العربي/بيروت ١٣٩٩هـ/١٩٧٩م.
البكري: أبو عبيد الله بن عبد العزيز الأندلسي (ت٤٨٧هـ)
٣٩- معجم ما استعجم من أسماء البلاد والمواضع، تحقيق مصطفى السقا مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر/القاهرة، الطبعة الأولى ١٩٥١م.
البلاذري: أبو الحسن احمد بن يحيى (ت٢٧٩هـ)
٤٠- انساب الأشراف، مكتبة المثنى/بغداد.
٤١- فتوح البلدان، تحقيق رضوان محمد رضوان، دار الكتب العلمية/بيروت ١٩٧٨م.
بلاشير: ريجيس (الدكتور)
٤٢- تاريخ الأدب العربي (العصر الجاهلي) ترجمة الدكتور إبراهيم كيلاني، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع/بيروت.
البهائي: محمد بن الحسين العاملي (ت١٠٣١هـ)
٤٣- مشرق الشمسين واكسير السعادتين الملقب بمجمع النورين ومطلع النيرين، طبع حجر ١٣١٩هـ.
بروكلمان: كارل
٤٤- تاريخ الأدب العربي، ترجمة الدكتور عبد الحليم النجار وآخرون، دار المعارف/مصر، الطبقة الثانية ١٩٦٢- ١٩٧٧م.
٤٥- تاريخ الشعوب الإسلامية، ترجمة نبيه أمين ومنير البعلبكي، دار العلم للملايين/بيروت، الطبعة الثانية ١٩٦٠م.
ابن تغري بردي: جمال الدين أبو المحاسن يوسف (ت٨٧٤م)

٤٦- النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة، مطابع كوستاتسوماس وشركاه/القاهرة.
التنوخي: أبو علي المحسن بن علي (ت٣٨٤هـ)
٤٧- الفرج بعد الشدة، دار الطباعة المحمودية/القاهرة ١٣٧٥هـ.
٤٨- نشوار المحاضرة وأخبار المذاكرة، تحقيق عبود الشالجي مطابع دار صادر/بيروت ١٩٧٢م.
الثعالبي: أبو منصور عبد الملك بن محمد النيسابوري (ت٤٢٩هـ)
٤٩- ثمار القلوب في المضاف والمنسوب، مطبعة الظاهر/القاهرة ١٩٠٨م.
الجاحظ: أبو عثمان عمرو بن بحر (ت٢٥٥هـ)
٥٠- البيان والتبيين، تحقيق عبد السلام محمد هارون، الطبعة الرابعة ١٩٧٥م.
٥١- التبصر بالتجارة، طبع مصر ١٩٦٣م.
٥٢- الحيوان، تحقيق عبد السلام محمد هارون، الطبعة الثانية ١٩٦٦م.
جاسم حسن شبر
٥٣- تاريخ المشعشعين وتراجم أعلامهم، مطبعة الآداب/النجف الاشرف ١٩٦٥م.
جامعة الدول العربية
٥٤- المعالم الأثرية في البلاد العربية، مطابع مدكور وأولاده/القاهرة ١٩٧١م.
جب، هاملتون
٥٥- دراسات في حضارة الإسلام، ترجمة الدكتور إحسان عباس وآخرون، دار العلم للملايين/بيروت، الطبعة الثانية ١٩٧٤م.
الجبوري: كامل سلمان
٥٦- تاريخ الكوفة الحديث، مطبعة الغري/النجف الاشرف، الطبعة الأولى ١٣٩٤هـ/١٩٧٤م.

ابن جبير: أبو الحسن محمد بن احمد الكناني (ت٦١٤هـ)
٥٧- الرحلة، تحقيق الدكتور حسين نصار، دار مصر للطباعة.
جرجي زيدان (ت١٩١٤م)
٥٨- تاريخ آداب اللغة العربية، دار الهلال/مصر.
ابن الجزري: شمس الدين أبو الخير محمد بن محمد (ت٨٣٣هـ)
٥٩- غاية النهاية في طبقات القراء، مطبعة السعادة/مصر، الطبعة الأولى ١٣٥١هـ/١٩٣٢م.
جلال شمس الدين
٦٠- التحليل اللغوي عند الكوفيين، مؤسسة الثقافة الجامعية/الاسكندرية ١٩٩٤م.
ابن جلجل: أبو داود سليمان بن حسان
٦١- طبقات الأطباء والحكماء، تحقيق فؤاد سفر/القاهرة ١٩٥٥م.
جمال الدين: مصطفى (الدكتور)
٦٢- القياس حقيقته وحجيته، مطبعة النعمان/النجف الاشرف ١٩٧٢م.
جميل نخلة
٦٣- حضارة الإسلام في دار السلام/القاهرة ١٩٣٥م.
الجنابي: كاظم (الدكتور)
٦٤- تخطيط الكوفة طبع عام ١٣٨٦هـ/١٩٦٧م.
الجندي: عبد الحميد
٦٥- ابن قتيبة، مطبعة الدار المصرية
ابن جني: أبو الفتح عثمان الموصلي (ت٣٩٢هـ)
٦٦- الخصائص، تحقيق محمد علي النجار الهيئة المصرية العامة للكتاب/القاهرة ١٩٨٦م.
جواد علي (الدكتور)
٦٧- المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام، دار العلم للملايين/بيروت

١٩٧٦م.
الجواليقي: أبو منصور موهوب بن احمد (ت٥٤٠هـ)
٦٨- أدب الكاتب، مكتبة القدسي/القاهرة ١٣٥٠هـ.
٦٩- المعرب من الكلام الاعجمي على حروف المعجم، تحقيق احمد محمد شاكر، دار الكتب المصرية ١٣٦١هـ.
حاجي خليفة: مصطفى بن عبد الله (ت١٠٦١هـ)
٧٠- كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون، المطبعة الإسلامية/طهران، الطبعة الثالثة ١٣٨٧هـ/١٩٦٧م.
الحاكم النيسابوري/أبو عبد الله محمد بن عبد الله
٧١- المستدرك على الصحيحين، مكتب المطبوعات الإسلامية/حلب.
٧٢- معرفة علوم الحديث، مطابع شركة الخدمات الصحافية والطباعية/بيروت، الطبعة الثالثة ١٩٧٩م.
الحبوبي/محمد سعيد
٧٣- الديوان، مطابع دار الرسالة/الكويت ١٩٨٠م.
ابن حجر: شهاب الدين أبو الفضل احمد بن علي العسقلاني (ت٨٥٢هـ)
٧٤- الإصابة في تمييز الصحابة، الطبعة الأولى ١٣٢٨هـ.
٧٥- تقريب التهذيب، دار الكتب الإسلامية، الطبعة الأولى ١٣٩٣هـ.
٧٦- تهذيب التهذيب، مطبعة مجلس دائرة المعارف النظامية/حيدر آباد الدكن، الطبقة الأولى ١٣٢٥هـ.
٧٧- الدرر الكامنة في أعيان المائة الثامنة، تحقيق محمد سيد جاد الحق، مطبعة المدني/القاهرة ١٩٦٦م.
٧٨- لسان الميزان، مطبعة مجلس دائرة المعارف النظامية/حيدر آباد الدكن، الطبعة الأولى ١٣٢٩هـ.
الحديثي: نزار عبد اللطيف (الدكتور)
٧٩- أهل اليمن في صدر الإسلام، الموسوعة العربية للدراسات

والنشر/بيروت ١٩٧٨م.
ابن حزم: أبو محمد علي بن احمد الأندلسي (ت٤٥٦هـ)
٨٠- جمهرة انساب العرب، تحقيق عبد السلام محمد هارون، دار المعارف المصرية ١٣٨٢هـ/١٩٦٢م.
حسن إبراهيم حسن (الدكتور)
٨١- تاريخ الإسلام السياسي والديني والثقافي والاجتماعي، مطبعة السنة المحمدية/القاهرة ١٩٦٤- ١٩٦٧م.
حسين نصار (الدكتور)
٨٢- نشأة التدوين التاريخي عند العرب مطبعة السعادة/مصر.
٨٣- نشأة الكتابة الفنية في الأدب العربي/مطبعة السنة المحمدية، الطبعة الثانية ١٩٦٦م.
الحسيني: صدر الدين علي خان المدني الشيرازي (ت١١٢٠هـ)
٨٤- الدرجات الرفيعة في طبقات الشيعة، المطبعة الحيدرية/النجف الاشرف، الطبعة الأولى ١٣٨٢هـ/١٩٦٢م.
الحكيم: حسن (الدكتور)
٨٥- تحقيق الدرة المضية في ذكر الحنانة والثوية، طبع عام ١٤٢٠هـ/١٩٩٩م.
٨٦- الشيخ الطوسي أبو جعفر محمد بن الحسن، مطبعة الآداب/النجف الاشرف، الطبعة الأولى ١٩٧٥م.
٨٧- لمحات من تاريخ الطب وعلوم الحياة في الكوفة في العصور العربية الإسلامية، مكتب المناهل/النجف الاشرف ١٤٢١هـ/٢٠٠٠م.
الحميري: أبو العباس عبد الله بن جعفر
٨٨- قرب الإسناد، المطبعة الحيدرية/النجف الاشرف ١٣٦٩هـ.
الحميري: محمد عبد المنعم
٨٩- الروض المعطار في خبر الأقطار، تحقيق الدكتور إحسان عباس،

دار القلم للطباعة/بيروت ١٩٧٥م.
حنا فاخوري
٩٠- تاريخ الأدب العربي، المطبعة البوليسية/بيروت الطبعة الثالثة ١٩٦٠م.
الخاقاني: علي
٩١- شعراء الغري أو النجفيات، المطبعة الحيدرية/النجف الاشرف ١٩٥٤- ١٩٥٦م.
٩٢- مقدمة كتاب (معلومات ومشاهدات) للسيد محمد علي كمال الدين، مطبعة التضامن ١٣٩١هـ/١٩٧١م.
خالد محمد خالد
٩٣- في رحاب علي، مكتبة الانجلو المصرية/القاهرة الطبعة الأولى ١٩٦٦م.
خصباك: جعفر حسين (الدكتور)
٩٤- العراق في عهد المغول الايلخانيين، مطبعة العاني/بغداد، الطبعة الأولى ١٩٦٨م.
الخطيب البغدادي: أبو بكر احمد بن علي (ت٤٦٣هـ)
٩٥- تاريخ بغداد، أو مدينة السلام، دار الكتاب العربي/بيروت.
ابن خلدون: عبد الرحمن بن محمد الحضرمي (ت٨٠٨هـ)
٩٦- التاريخ (العبر وديوان المبتدأ والخبر)، بيروت ١٣٩١هـ/١٩٧١م.
ابن خلكان: شمس الدين أبو العباس احمد بن محمد (ت٦٨١هـ)
٩٧- وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان تحقيق الدكتور إحسان عباس، دار صادر/بيروت.
الخليلي: جعفر
٩٨- هكذا عرفتهم، مطبعة الزهراء والتعارف/بغداد، ودار الكتب/بيروت ١٩٦٣- ١٩٧٢م.

الخليلي: محمد
٩٩- طب الإمام الصادق، مطبعة النعمان/النجف الاشرف ١٣٧٤هـ.
الخوئي: أبو القاسم الموسوي
١٠٠- معجم رجال الحديث، مطبعة الآداب/النجف الاشرف الطبعة الأولى ١٣٩٠هـ/١٩٧٠م.
الخوانساري: محمد باقر الموسوي
١٠١- روضات الجنات في أحوال العلماء والسادات، تحقيق أسد الله إسماعيليان، مطبعة مهراستوار/قم ١٣٩٢هـ.
الخياباني: محمد علي التبريزي المدرس
١٠٢- ريحانة الأدب في تراجم المعروفين بالكنية واللقب، مطبعة سعدي وسامي والعلمية ١٣٦٨- ١٩٧٣م.
الخياط: جعفر
١٠٣- النجف في المراجع، موسوعة العتبات المقدسة/قسم النجف، دار التعارف/بغداد.
الداودي: شمس الدين محمد بن علي (ت٩٤٥هـ)
١٠٤- طبقات المفسرين، تحقيق علي محمد عمر، مطبعة الاستقلال الكبرى، القاهرة، الطبعة الأولى ١٣٩٢هـ/١٩٧٢م.
ابن دريد: أبو بكر محمد بن الحسن الازدي (ت٣٢١هـ)
١٠٥- الاشتقاق، تحقيق عبد السلام محمد هارون، الطبعة الثانية ١٩٧٩م.
الدوري: عبد العزيز (الدكتور)
١٠٦- بحث في نشأة علم التاريخ عند العرب، المطبعة الكاثوليكية/بيروت ١٩٦٠م.
١٠٧- تاريخ العراق الاقتصادي في القرن الرابع الهجري المطبعة الكاثوليكية/بيروت، الطبعة الثانية ١٩٧٤م.
الدينوري: أبو حنيفة احمد بن داود (ت٢٨٢هـ)

١٠٨- الأخبار الطوال، مطبعة عبد الحميد احمد حنفي/مصر.
الذهبي: شمس الدين محمد بن احمد (ت٧٤٨هـ)
١٠٩- تذكرة الحفاظ مطبعة مجلس دائرة المعارف العثمانية، حيدر آباد الدكن، الطبعة الثالثة ١٩٥٧م.
١١٠- دول الإسلام، تحقيق فهيم محمد شلتوت ومحمد مصطفى إبراهيم، الهيئة المصرية للكتاب ١٩٧٤م.
١١١- العبر في خبر من غبر، تحقيق الدكتور صلاح الدين المنجد وفؤاد سفر، الكويت ١٩٦٦م.
١١٢- الكاشف في معرفة من له رواية في الكتب الستة، تحقيق عزت علي وآخرون، دار النصر للطباعة/القاهرة ١٩٧٢م.
١١٣- ميزان الاعتدال في نقد الرجال، تحقيق علي محمد البجاوي، دار إحياء الكتب العربية، الطبعة الأولى ١٣٨٢هـ/١٩٦٣م.
الرازي: أبو بكر محمد بن زكريا
١١٤- الحاوي في الطب، دار الكتب العلمية/بيروت.
ابن رشيق: أبو علي الحسن القيرواني
١١٥- العمدة في محاسن الشعراء وآدابه ونقده، مطبعة السعادة/مصر، الطبعة الثانية ١٩٥٥م.
روزنثال: فرانز
١١٦- علم التاريخ عند المسلمين، ترجمة الدكتور صالح احمد العلي، مطبعة العاني/بغداد ١٩٦٣م.
الريحاني: أمين
١١٧- الأعمال العربية الكاملة، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، الطبعة الأولى ١٩٨٠م.
الزبيدي: محمد حسين (الدكتور)
١١٨- العراق في العصر البويهي (التنظيمات السياسية والإدارية

والاقتصادية) دار النهضة العربية ١٩٦٩م.
الزبيدي: محب الدين أبو الفيض محمد بن محمد الحسيني (ت١٢٠٥هـ)
١١٩- تاج العروس في شرح القاموس، مطابع دار صادر/بيروت ١٣٨٦هـ/١٩٦٦م.
الزبيدي: أبو بكر بن الحسن (ت٣٧٩هـ)
١٢٠- طبقات النحويين واللغويين، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، القاهرة ١٩٥٤م.
الزركلي: خير الدين
١٢١- الأعلام، دار العلم للملايين/بيروت ١٩٧٩م.
زكي محمد حسن
١٢٢- فنون الإسلام، لجنة التأليف والترجمة والنشر/القاهرة ١٩٤٨م.
الزمخشري: جار الله أبو القاسم محمود بن عمر (ت٥٣٨هـ)
١٢٣- الفائق في غريب الحديث دار إحياء الكتب العربية/القاهرة ١٣٦٤هـ/١٩٤٥م.
ابن زهرة: تاج الدين محمد الحسيني
١٢٤- غاية الاختصار في البيوتات العلوية المحفوظة من الغبار، تحقيق السيد محمد صادق بحر العلوم، المطبعة الحيدرية/النجف الاشرف ١٣٨٢هـ/١٩٦٣م.
السامرائي: كمال
١٢٥- مختصر تاريخ الطب العربي، دار الحرية للطباعة/بغداد.
سبط ابن الجوزي: شمس الدين أبو المظفر يوسف بن قزاوغلي (٦٥٤هـ)
١٢٦- تذكرة الخواص المطبعة العلمية/النجف الاشرف ١٣٦٩هـ.
سعاد ماهر (الدكتورة)
١٢٧- مشهد الإمام علي في النجف وما به من الهدايا والتحف، دار المعارف/مصر ١٩٦٩م.

ابن سعد: أبو عبد الله محمد بن سعد الزهري (ت٢٣٠هـ)
١٢٨- الطبقات الكبرى، دار صادر/بيروت ١٣٧٦هـ/١٩٥٧م.
سعد عبود سمار
١٢٩- قبيلة مذحج قبيل الإسلام حتى نهاية العهد الراشدي، بغداد ١٤١٧هـ/١٩٩٦م.
السمعاني: أبو سعد عبد الكريم بن محمد التميمي (ت٥٦٢هـ)
١٣٠- الأنساب، مطبعة دائرة المعارف العثمانية/حيدر آباد الدكن، الطبعة الأولى ١٣٨٣هـ/١٩٦٣م.
السويدي: عبد الرحمن
١٣١- حديقة الزوراء في سيرة الوزراء (أو تاريخ بغداد) تحقيق الدكتور صفاء خلوصي، مطبعة الزعيم/بغداد ١٩٦٢م.
السيد عبد العزيز سالم
١٣٢- التاريخ والمؤرخون العرب، شركة الإسكندرية للطباعة والنشر ١٩٦٧م.
ابن سيدة: أبو الحسن علي بن إسماعيل الأندلسي (ت٤٥٨هـ)
١٣٣- المخصص، المكتب التجاري للطباعة والتوزيع والنشر/بيروت.
السيوطي: جلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر (ت٩١١هـ)
١٣٤- بغية الوعاة في طبقات اللغويين والنحاة، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، مطبعة عيسى البابي الحلبي وشركاه، الطبعة الأولى ١٣٨٤هـ/١٩٦٤م.
١٣٥- طبقات الحفاظ، تحقيق محمد محي الدين عبد الحميد. مطبعة السعادة/مصر، الطبعة الأولى ١٣٧١هـ/١٩٥٢م.
١٣٦- المزهر في علوم اللغة، تحقيق محمد احمد جاد المولى وآخرون، دار إحياء الكتب العربية، الطبعة الأولى.
الشابشتي: أبو الحسن علي بن الحسن (ت٣٨٨هـ)

١٣٧- الديارات، تحقيق كوركيس عواد، مطبعة المعارف/بغداد، الطبعة الثانية ١٣٨٦هـ/١٩٦٦م.
ابن شاكر الكتبي: محمد بن شاكر (ت ٧٦٤هـ)
١٣٨- فوات الوفيات، تحقيق الدكتور إحسان عباس دار صادر/بيروت ١٩٧٣م.
شاكر مصطفى
١٣٩- التاريخ العربي والمؤرخون، دار العلم للملايين/الطبعة الأولى ١٩٧٨م.
١٤٠- المدن في الإسلام، الطبعة الأولى ١٩٨٨م.
الشبيبي: محمد رضا
١٤١- مقدمة تاريخ الكوفة، المطبعة الحيدرية/النجف الاشرف، الطبعة الثالثة ١٣٨٨هـ/١٩٦٨م.
الشرقي: علي
١٤٢- الأحلام، شركة الطبع والنشر الأهلية/بغداد الطبعة الأولى ١٣٨٣هـ/١٩٦٣م.
الشريف المرتضى: علي بن الحسين الموسوي (ت ٤٣٦هـ)
١٤٣- الامالي (غرر الفوائد ودرر القلائد) تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، دار إحياء الكتب العربية/القاهرة، الطبعة الأولى ١٩٥٤م.
شكري فيصل (الدكتور)
١٤٤- المجتمعات الإسلامية في القرن الأول، دار العلم للملايين/بيروت، الطبعة الرابعة ١٩٧٨م.
الشكري: جابر (الدكتور)
١٤٥- لمحات بمآثر العراق العلمية في الكيمياء، دار الحرية للطباعة/بغداد ١٩٨٥م.
الشكلعة: مصطفى (الدكتور)

١٤٦- مناهج التأليف عند العرب، الطبعة الأولى/بيروت ١٩٧٣م.
شمس الدين: محمد رضا
١٤٧- حديث الجامعة النجفية، المطبعة العلمية/النجف الاشرف ١٣٧٣هـ/١٩٥٣م.
ابن شهر آشوب: رشيد الدين أبو جعفر محمد بن علي (ت٥٨٨هـ)
١٤٨- معالم العلماء، مطبعة فردين/طهران ١٣٥٣هـ.
١٤٩- مناقب آل أبي طالب، المطبعة الحيدرية/النجف الاشرف ١٣٧٦هـ/١٩٥٦م.
الشهرستاني: أبو الفتح محمد بن عبد الكريم (ت٥٤٨هـ)
١٥٠- الملل والنحل، الطبعة الأولى/القاهرة ١٣٦٨هـ/١٩٤٨م.
شوقي ضيف (الدكتور)
١٥١- التطور والتجديد في العصر الأموي، مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر/القاهرة ١٩٥٢م.
١٥٢- العصر العباسي الأول، دار المعارف/مصر الطبعة الثالثة المنقحة.
الشيرازي: أبو إسحاق (ت ٤٧٦هـ)
١٥٣- طبقات الفقهاء، بغداد ١٣٥٦هـ.
الشيرازي: عبد الرحمن بن نصر
١٥٤- نهاية الرتبة في طلب الحسبة، تحقيق الدكتور السيد الباز العريني، دار الثقافة/بيروت.
شيخو: لويس اليسوعي
١٥٥- شعراء النصرانية في الإسلام، المطبعة الكاثوليكية/بيروت ١٩٦٧م.
الصابي: غرس النعمة أبو الحسن محمد بن هلال (ت ٤٨٠هـ)
١٥٦- الهفوات النادرة، تحقيق الدكتور صالح الاشتر الطبعة الأولى/دمشق ١٣٨٧هـ/١٩٦٧م.
صالح مهدي عماش

١٥٧- من ذي قار إلى القادسية، مطبعة الحكومة بغداد ١٩٧٢م.
الصدوق: أبو جعفر محمد بن علي (ت ٣٨١هـ)
١٥٨- الخصال المطبعة الحيدرية/النجف الاشرف ١٣٩١هـ/١٩٧١م.
١٥٩- مـن لا يحـضره الفقيـه، تحقيـق الـسيد حـسن الخرسـان مطبعـة النجف/النجف الاشرف، الطبعة الرابعة ١٣٧٨هـ.
الصفدي: صلاح الدين خليل بن ايبك (ت ٧٦٤هـ)
١٦٠- الوافي بالوفيات، دار النشر/فرانز ستاينر قيسبادن ١٩٦١م.
الطائي: فاضل احمد (الدكتور)
١٦١- أعلام العرب في الكيمياء، دار الحرية للطباعة/بغداد ١٩٨١م.
طاش كبري زاده: احمد بن مصطفى (ت ٩٦٨هـ)
١٦٢- مفتاح السعادة ومصباح السيادة في موضوعات العلوم تحقيق كامل بكري وعبد الوهاب أبو نور، مطبعة السعادة الكبرى/القاهرة.
ابن طاووس: غياث الدين عبد الكريم (ت ٦٩٣هـ)
١٦٣- فرحة الغـري في تعـيين قـبر أمـير المؤمنين علـي بـن أبـي طالـب في النجف/المطبعة الحيدرية/النجف الاشرف ١٣٦٨هـ.
ابن طاووس: رضي الدين أبو القاسم علي بن موسى (ت ٦٦٤هـ)
١٦٤- إقبال الأعمال.
١٦٥- مصباح الزائر، تحقيق مؤسسة آل البيت عليهم السلام، قم ١٤١٧هـ.
طه حسين (الدكتور)
١٦٦- مع المتنبي، دار المعارف/القاهرة ١٩٥٧م.
الطبرسي: أمين الدين الفضل بن الحسن (ت ٥٤٨هـ)
١٦٧- مجمع البيان في تفسير القران، شـركة المعـارف الإسـلامية/طهـران ١٣٧٩هـ.
الطبري: أبو جعفر محمد بن أبي القاسم محمد بن علي
١٦٨- بشارة المصطفى لشيعة المرتضى المطبعة الحيدرية/النجف الاشرف،

الطبعة الثالثة ١٣٨٣هـ/١٩٦٣م.
الطبري: أبو جعفر محمد بن جرير (ت ٣١٠هـ)
١٦٩- التاريخ (تاريخ الرسل والملوك) تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، دار المعارف/مصر ١٩٧٢م.
١٧٠- المنتخب من كتاب ذيل الذيل، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، دار المعارف/مصر ١٩٧٧م.
الطريحي: فخر الدين محمد النجفي (ت ١٠٨٥هـ)
١٧١- مجمع البحرين، تحقيق السيد احمد الحسيني، مطبعة الآداب/النجف الاشرف ١٣٨٦هـ.
ابن الطقطقى: محمد علي بن طباطبا (ت ٧٠٩هـ)
١٧٢- الفخري في الآداب السلطانية والدول الإسلامية/مطبعة محمد علي صبيح وأولاده القاهرة ١٣٨١هـ/١٩٦٢م.
أغا بزرك محمد محسن (ت ١٣٨٩هـ)
١٧٣- الذريعة إلى تصانيف الشيعة، مطابع الغري والآداب/النجف الاشرف، ومجلس الشورى ودولتي الإسلامية/طهران ١٣٥٥- ١٣٩٠هـ.
١٧٤- مقدمة كتاب التبيان للشيخ الطوسي، مطبعة النعمان/النجف الاشرف، الطبعة الثانية ١٣٨٥هـ.
الطوسي: أبو جعفر محمد بن الحسن (ت ٤٦٠هـ)
١٧٥- اختيار معرفة الرجال المعروف برجال الكشي، جابخانه دانشكاه/طهران ١٣٤٨هـ.
١٧٦- الامالي، مطبعة النعمان/النجف الاشرف ١٣٨٤هـ/١٩٦٤م.
١٧٧- التبيان في تفسير القران، المطبعة العلمية والنعمان/النجف الاشرف ١٣٧٦- ١٣٨٣هـ.
١٧٨- الرجال، المطبعة الحيدرية/النجف الاشرف ١٩٦١م.
١٧٩- الفهرست، المطبعة الحيدرية/النجف الاشرف، الطبعة الثانية

١٣٨٠هـ/١٩٦١م.
ابن عبد البر: أبو عمر يوسف بن عبد البر النمري (ت ٤٦٣هـ)
١٨٠- الاستيعاب في معرفة الأصحاب، تحقيق علي محمد البجاوي، مطبعة نهضة مصر.
عبد الحميد العبادي
١٨١- المامة بالتاريخ عند العرب، من كتاب علم التاريخ لهرنشو، مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر ١٩٣٧م.
عبد الجبار فارس
١٨٢- عامان في الفرات الأوسط، مطبعة الراعي/النجف الاشرف، الطبعة الأولى ١٣٥٣هـ.
ابن عبد ربه: احمد بن محمد الأندلسي (ت ٣٢٨هـ)
١٨٣- العقد الفريد، تحقيق محمد سعيد العريان، مطبعة الاستقلال/القاهرة، الطبعة الثانية ١٣٧٢هـ/١٩٥٣م.
عبد الرحيم محمد علي
١٨٤- الرهيمة، مطبعة الغري الحديثة/النجف الاشرف ١٩٦٦م.
عبد السلام محمد هارون
١٨٥- مقدمة كتاب صفين، مطبعة المدني/القاهرة الطبعة الثانية ١٣٧٢هـ.
أبو عبيدة: معمر بن المثنى (ت ٢٠٩هـ)
١٨٦- أيام العرب قبل الإسلام، تحقيق عادل جاسم البياتي مطبعة دار الجاحظ للطباعة والنشر/بغداد ١٩٧٦م.
١٨٧- مجاز القران، مطبعة السعادة/مصر، الطبعة الثانية ١٣٩٠هـ/١٩٧٠م.
١٨٨- نقائض جرير والفرزدق.
العدوي
١٨٩- مقدمة عيون الأخبار، المؤسسة المصرية العامة للتأليف والترجمة

والطباعة والنشر.

العزاوي: عباس

١٩٠- تاريخ الأدب العربي في العراق، مطبعة المجمع العلمي/بغداد ١٩٦١- ١٩٦٢م.

١٩١- تاريخ العراق بين احتلالين، مطبعة بغداد وشركة التجارة والطباعة المحدودة ١٩٥٣- ١٩٦٣م.

١٩٢- التعريف بالمؤرخين في عهد المغول والتركمان، شركة التجارة والطباعة المحدودة/بغداد ١٣٧٦هـ/١٩٥٧م.

العقاد: عباس محمود

١٩٣- عبقرية الإمام، دار المعارف/مصر، الطبعة الرابعة.

العطية: وداي

١٩٤- تاريخ الديوانية قديماً وحديثاً، المطبعة الحيدرية/النجف الاشرف ١٩٥٤م.

العكبري: عبد الله بن الحسن

١٩٥- شرح ديوان المتنبي، المطبعة العامرة الشرقية ١٣٠٨هـ.

علاء موسى نورس

١٩٦- العراق في العهد العثماني دراسة في العلاقات السياسية (١٧٠٠- ١٨٠٠م) دار الحرية للطباعة/بغداد ١٩٧٩م.

العلامة الحلي: جمال الدين الحسن بن يوسف بن المطهر (ت ٧٢٦هـ)

١٩٧- الرجال أو خلاصة الأقوال في معرفة الرجال، تحقيق السيد محمد صادق بحر العلوم، المطبعة الحيدرية/النجف الاشرف، الطبعة الثانية ١٣٨١هـ/١٩٦١م.

علي ادهم

١٩٨- بعض مؤرخي الإسلام، المؤسسة العربية للنشر/بيروت.

أبو علي: محمد بن إسماعيل

١٩٩- منتهى المقال في علم الرجال، طبع حجر ١٣٠٠هـ.
عماد عبد السلام رؤوف (الدكتور)
٢٠٠- التاريخ والمؤرخون العراقيون في العصر العثماني الدار العربية/بغداد، الطبعة الأولى ١٩٨٣م.
عمر فروخ
٢٠١- تاريخ الأدب العربي في العصور العباسية، دار العلم للملايين/بيروت ١٩٨٥م.
العمري: ابن فضل احمد بن يحيى
٢٠٢- مسالك الأبصار في ممالك الأمصار، تحقيق احمد زكي مطبعة دار الكتب المصرية ١٩٢٤م.
ابن العماد: أبو الفلاح عبد الحي (ت ١٠٨٩هـ)
٢٠٣- شذرات الذهب في أخبار من ذهب، مكتبة القدسي/القاهرة ١٣٥٠هـ.
ابن العميد: جرجيس بن العميد بن اياس
٢٠٤- تاريخ المسلمين، مطبعة بريل/ليدن ١٦٢٥م.
عوض عبد الكريم محمد الذنيبات
٢٠٥- إسهامات علماء الكوفة في الحركة الفكرية في بغداد/أطروحة دكتوراه ١٤١٢هـ/٢٠٠٠م.
ابن عنبة: جمال الدين احمد بن علي الداودي الحسني (ت ٨٢٨هـ)
٢٠٦- عمدة الطالب في انساب آل أبي طالب، المطبعة الحيدرية/النجف الاشرف.
العياشي: أبو النضر محمد بن مسعود السلمي
٢٠٧- التفسير، تحقيق السيد هاشم الرسولي المحلاتي، المطبعة العلمية.
الفتال: محمد النيسابوري (ت ٥٠٨هـ)
٢٠٨- روضة الواعظين، المطبعة الحيدرية/النجف الاشرف ١٣٨٦هـ.

أبو الفدا: عماد الدين إسماعيل (ت ٧٣٢هـ)
٢٠٩- المختصر في أحوال البشر، الطبعة الحسينية المصرية/الطبعة الأولى ١٣٢٥هـ.
أبو الفرج الأصفهاني: علي بن الحسين (ت ٣٥٦هـ)
٢١٠- الأغاني، مؤسسة جمال للطباعة والنشر/بيروت.
ابن الفقيه: أبو بكر احمد بن محمد الهمداني
٢١١- مختصر كتاب البلدان/مطبعة بريل/ليدن ١٣٠٢هـ.
الفقيه: محمد تقي
٢١٢- جامعة النجف في عصرها الحاضر، مطبعة صور الحديثة/لبنان.
فلهاوزن، يوليوس
٢١٣- تاريخ الدولة العربية، ترجمة الدكتور محمد عبد الهادي أبو ريدة، لجنة التأليف والترجمة والنشر/القاهرة ١٩٦٨م.
فنسنك: ارندجان
٢١٤- مادة (الخندق) دائرة المعارف الإسلامية.
٢١٥- فؤاد سزكين.
٢١٦- تاريخ التراث العربي، ترجمة الدكتور فهمي أبو الفضل، الهيئة المصرية العامة للتأليف والنشر/القاهرة ١٩٧١م.
ابن الفوطي: كمال الدين عبد الرزاق بن احمد الشيباني (ت ٧٢٣هـ)
٢١٧- تلخيص مجمع الآداب في معجم الألقاب، تحقيق الدكتور مصطفى جواد، المطبعة الهاشمية/دمشق ١٩٦٢- ١٩٦٥م.
٢١٨- الحوادث الجامعة والتجارب النافعة في المائة السابعة، مطبعة الفرات/بغداد ١٣٥١هـ.
فياض: عبد الله (الدكتور)
٢١٩- تاريخ التربية عند الإمامية وأسلافهم من الشيعة بين عهدي الصادق والطوسي، مطبعة اسعد/بغداد ١٣٩٢هـ/١٩٧٢م.

الفيروز آبادي: مجد الدين محمد بن يعقوب
٢٢٠- القاموسي المحيط، مطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده/مصر الطبعة الثانية ١٣٧١هـ/١٩٥٣م.
فيليب حتي (الدكتور)
٢٢١- تاريخ العرب، دار الكشاف للنشر والطباعة والتوزيع/بيروت ١٣٧٣هـ/١٩٥٣م.
القالي: أبو علي إسماعيل بن القاسم البغدادي (ت٣٥٦هـ)
٢٢٢- الامالي، مطابع دار الفكر.
ابن قتيبة: أبو محمد عبد الله بن مسلم (ت ٢٧٦هـ)
٢٢٣- الإمامة والسياسة (منسوب لابن قتيبة)، تحقيق طه محمد الزيني، دار المعرفة ١٩٦٧م.
٢٢٤- عيون الأخبار، المؤسسة المصرية العامة للتأليف والترجمة والطباعة والنشر.
٢٢٥- طبقات الشعراء، تحقيق احمد محمد شاكر، دار المعارف/مصر ١٣٨٧هـ/١٩٦٧م.
٢٢٦- المعارف، تحقيق ثروت عكاشة/بيروت ١٩٦٠م.
قدامة بن جعفر
٢٢٧- الخراج وصنعة الكتابة، تحقيق الدكتور محمد حسين الزبيدي، دار الحرية للطباعة/بغداد ١٩٨١م.
القزويني: زكريا بن محمد بن محمود
٢٢٨- آثار البلاد وأخبار العباد، دار صادر، ودار بيروت/بيروت ١٣٨٠هـ/١٩٦٠م.
القزويني: محمد مهدي النجفي
٢٢٩- فلك النجاة لجميع المخلوقات، مطبعة إبراهيم التبريزي/إيران ١٢٩٨هـ.

القفطي: علي بن يوسف (ت ٦٤٦هـ)

٢٣٠- أنباه الرواة على أنباه النحاة، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، دار الكتب المصرية/القاهرة ١٩٥٢م.

٢٣١- تاريخ الحكماء ترجمة جوليوس ليبرت لايبرج ١٩٠٣م.

القلقشندي: أبو العباس احمد بن علي (ت ٨٢١هـ)

٢٣٢- صبح الأعشى في صناعة الانشا، مطابع كوستاتسوماس وشركاه ١٣٨٣هـ/١٩٦٣م.

القمي: عباس

٢٣٣- الفوائد الرضوية في أحوال علماء المذهب الجعفرية، مطبعة المركزي/طهران ١٣٢٧هـ.

٢٣٤- الكنى والألقاب، المطبعة الحيدرية/النجف الاشرف ١٣٧٦هـ/١٩٥٦م.

٢٣٥- هدية الأحباب في ذكر المعروفين بالكنى والألقاب والأنساب، المطبعة المرتضوية/النجف الاشرف ١٣٤٩هـ.

ابن قولويه: أبو القاسم جعفر بن محمد (ت ٣٦٧هـ)

٢٣٦- كامل الزيارات، المطبعة المباركة المرتضوية/النجف الاشرف ١٣٥٦هـ.

القنوجي: محمد صديق حسن خان

٢٣٧- التاج المكلل من جواهر مآثر الطراز الآخر والأول مطبعة الصديقي ١٢٩٩هـ.

كاظم موسى

٢٣٨- تاريخ الاستكشافات الجغرافية، مطبعة الغري/النجف الاشرف ١٣٥٥هـ/١٩٣٦م.

الكاظمي: عبد النبي (ت ١٣٥٦هـ)

٢٣٩- الرجال، تحقيق السيد محمد صادق بحر العلوم، مطبعة

الآداب/النجف الاشرف.

الكتاني: السيد الشريف محمد بن جعفر (ت ١٣٤٥هـ)

٢٤٠- الرسالة المستطرفة لبيان مشهور الكتب السنة المشرفة، مطبعة دار الفكر/دمشق، الطبعة الثالثة ١٣٨٣هـ/١٩٦٤م.

ابن كثير: عماد الدين إسماعيل بن عمر (ت ٧٧٤هـ)

٢٤١- البداية والنهاية، مكتبة المعارف/بيروت الطبعة الأولى ١٩٦٦م.

كحاله: عمر رضا

٢٤٢- معجم المؤلفين العراقيين، مطبعة الترقي دمشق ١٩٥٧م.

ابن الكلبي: أبو المنذر، هشام بن محمد (ت ٢٠٤هـ)

٢٤٣- نسب معد واليمن الكبير، تحقيق محمد فردوس العظم، دار اليقظة/دمشق.

الكليني: أبو جعفر محمد بن يعقوب (ت ٣٢٩هـ)

٢٤٤- الكافي شرح المولى محمد صالح المازندراني.

الكليدار: محمد حسين مصطفى

٢٤٥- مدينة الحسين أو مختصر تاريخ كربلاء، مطبعة النجاح/بغداد، الطبعة الأولى ١٣٦٧هـ/١٩٤٨م.

كمونه: عبد الرزاق الحسيني

٢٤٦- موارد الإتحاف في نقباء الأشراف، مطبعة الآداب/النجف الاشرف ١٩٦٨م.

٢٤٧- منية الراغبين في طبقات النسابين، مطبعة النعمان/النجف الاشرف، الطبعة الأولى ١٣٩٢هـ/١٩٧٢م.

كوركيس عواد

٢٤٨- معجم المؤلفين العراقيين في القرنين التاسع عشر والعشرين ١٨٠٠-١٩٦٩م، مطبعة الإرشاد/بغداد ١٩٦٩م.

الكوفي: محمد الشيخ عبود (ت ١٣٥٢هـ)

٢٤٩- نزهة الغري في تاريخ النجف، مطبعة الغري/النجف الاشرف ١٣٧١هـ/١٩٥٢م.
لجمن
٢٥٠- مذكراته، مجلة المورد، المجلد الثالث، العدد الرابع لسنة ١٣٩٤هـ/١٩٧٤م.
لسترانج، غي
٢٥١- بلدان الخلافة الشرقية، ترجمة بشير فرنسيس وكوركيس عواد، مطبعة الرابطة/بغداد ١٩٥٤م.
لونكريك: ستيفن هيمسلي
٢٥٢- أربعة قرون من تاريخ العراق الحديث، ترجمة جعفر الخياط، مطبعة المعارف/بغداد ١٩٦٨م.
ليدي دراور
٢٥٣- في بلاد الرافدين صور وخواطر، ترجمة فؤاد جميل، مطبعة شفيق/بغداد، الطبعة الأولى ١٩٦١م.
ماسنيون: لويس
٢٥٤- خطط الكوفة وشرح شريطتها، ترجمة تقي المصعبي تحقيق كامل سلمان الجبوري، الطبعة الأولى ١٣٩٩هـ/١٩٧٩م.
المامقاني: عبد الله محمد حسن (ت ١٣٥١هـ)
٢٥٥- تنقيح المقال في أحوال الرجال، المطبعة المرتضوية/النجف الاشرف ١٣٥٠- ١٣٥٢هـ.
المبرد: أبو العباس محمد بن يزيد الازدي (ت ٢٨٥هـ)
٢٥٦- نسب عدنان وقحطان، مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر ١٣٥٤هـ/١٩٣٦م.
المتنبي: أبو الطيب احمد بن الحسين (ت ٣٥٤هـ)
٢٥٧- الديوان، شرح عبد الرحمن البرقوقي/بيروت ١٣٩٩هـ/١٩٧٩م.

المجلسي: محمد باقر محمد تقي (ت ١١١١هـ)
٢٥٨- بحار الأنوار، المطبعة الإسلامية/طهران ١٣٨٨هـ.
محبوبة: جعفر الشيخ باقر (ت ١٣٧٧هـ)
٢٥٩- ماضـي النجـف وحاضـرها، مطبعـة الآداب/النجـف الاشـرف، الطبعة الثانية ١٣٧٨هـ/١٩٥٨م.
المحقق الحلي: أبو القاسم نجم الدين جعفر بن الحسن الهذلي (ت٦٧٦هـ)
٢٦٠- المعتبر، طبع حجر.
محمد عبد المنعم خفاجي
٢٦١- الجاحظ.
محمد عبده
٢٦٢- شرح نهج البلاغة، مؤسسة الاعلمي للمطبوعات/بيروت.
محيي الدين: عبد الرزاق (الدكتور)
٢٦٣- أدب المرتضى من سيرته وآثاره، مطبعة المعارف/بغداد، المطبعة الأولى ١٩٥٧م.
المختار: فريال داود
٢٦٤- المنسوجات العراقية الإسلامية من الفتح العربي إلى سقوط الخلافة العباسية بغداد، دار الحرية للطباعة/بغداد ١٣٩٦هـ/١٩٧٦م.
أبو مخنف: لوط بن يحيى الازدي
٢٦٥- المقتل (مقتل الحسين عليه السلام) المطبعة الحيدرية/النجف الاشرف ١٣٥٣هـ.
المراغي: عبد الله مصطفى
٢٦٦- الفتح المبين في طبقات الأصوليين، الطبعة الثالثة ١٣٩٤هـ/١٩٧٤م، بيروت.
مرجليوث، د. س
٢٦٧- دراسات عن المؤرخين العرب، ترجمة الدكتور حسين نصار، دار

الثقافة/القاهرة.

المزي: أبو الحجاج يوسف بن عبد الرحمن (ت ٤٧٩هـ)

٢٦٨- تهذيب الكمال في أسماء الرجال، تحقيق الدكتور بشار عواد معروف، بيروت/١٩٨٠م.

المسعودي: أبو الحسن علي بن الحسين (ت ٣٤٦هـ)

٢٦٩- مروج الذهب ومعادن الجوهر، تحقيق محمد محيي الدين عبد الحميد، مطبعة السعادة/مصر، الطبعة الرابعة ١٣٨٤هـ/١٩٦٤م.

مسكويه: أبو علي احمد بن محمد (ت ٤٢١هـ)

٢٧٠- تجارب الأمم، مطبعة النيسابوري.

مصطفى جواد (الدكتور)

٢٧١- مقدمة ديوان الشريف المرتضى، تحقيق رشيد الصفار، مطبعة دار إحياء الكتب العربية/مصر ١٩٥٨م.

المظفر: محسن عبد الصاحب (الدكتور)

٢٧٢- مدينة النجف الكبرى، دراسة في نشأتها وعلاقاتها الإقليمية.

المفيد: أبو عبد الله محمد بن محمد العكبري (ت ٤١٣هـ)

٢٧٣- الإرشاد، المطبعة الحيدرية/النجف الاشرف ١٣٧٢هـ/١٩٦٢م.

٢٧٤- الجمل أو حرب البصرة، المطبعة الحيدرية/النجف الاشرف، الطبعة الثانية ١٣٦٨هـ.

٢٧٥- النصرة لسيد العترة في حرب البصرة، تحقيق السيد علي مير شريفي، المكتب الإعلامي/قم ١٤١٦هـ.

المقدسي: محمد بن احمد المعروف بالبشاري (ت ٣٧٥هـ)

٢٧٦- أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم/ليدن ١٩٠٦م.

المقدسي: مطهر بن طاهر (ت ٣٨٧هـ)

٢٧٧- البدء والتاريخ ترجمة كلمان هوار/باريس ١٩٢٦م.

المنذري: رشيد الدين محمد بن عبد العظيم (ت ٦٤٣هـ)

٢٧٨- التكملة لوفيات النقلة، مطبعة الآداب/النجف الاشرف ١٩٦٩-١٩٧١م.
ابن منظور: جمال الدين أبو الفضل محمد بن مكرم (ت ٧١١هـ)
٢٧٩- لسان العرب، دار صادر/بيروت.
الموسوي: مصطفى عباس
٢٨٠- العوامل التاريخية لنشأة وتطور المدن العربية الإسلامية، دار الرشيد للنشر/بغداد ١٩٨٢م.
الموسوي
٢٨١- قبس من الكاظمين.
نابليون الماريني
٢٨٢- تنزيه العباد في مدينة بغداد، المطبعة اللبنانية/بيروت ١٨٨٧م.
ناجي حسن (الدكتور)
٢٨٣- القبائل العربية في المشرق خلال العصر الأموي، مطبعة منيمنة/بيروت ١٩٨٠م.
ناجي معروف (الدكتور)
٢٨٤- تاريخ علماء المستنصرية، دار الشعب/القاهرة الطبعة الثالثة.
٢٨٥- علماء النظاميات ومدارس المشرق الإسلامي، مطبعة الإرشاد/بغداد، الطبعة الأولى ١٣٩٣هـ/١٩٧٣م.
النجاشي: أبو العباس احمد بن علي (ت ٤٥٠هـ)
٢٨٦- الرجال أو الفهرست، مكتبة الداودي/قم ١٣٩٨هـ.
ابن النديم: أبو الفرج محمد بن أبي يعقوب الوراق
٢٨٧- الفهرست، تحقيق رضا تجدد، مطبعة دانشكاه/طهران.
نصر بن مزاحم المنقري (ت ٢١٢هـ)
٢٨٨- وقعة صفين، تحقيق عبد السلام محمد هارون، مطبعة المدني/القاهرة، الطبعة الثانية ١٣٨٢هـ.

أبو نعيم: احمد بن عبد الله الأصفهاني (ت ٤٣٠هـ)

٢٨٩- حلية الأولياء وطبقات الأصفياء، دار الكتب العربي/بيروت، الطبعة الثانية ١٣٨٧هـ/١٩٦٧م.

ابن نما: نجم الدين محمد بن جعفر الحلي (ت ٦٤٥هـ)

٢٩٠- درب النضار.

النووي: أبو زكريا محيي الدين بن شرف (ت ٦٧٦هـ)

٢٩١- تهذيب الأسماء واللغات، دار الكتب العلمية/بيروت، الطبعة الثانية.

النويري: شهاب الدين احمد بن عبد الوهاب

٢٩٢- نهاية الأرب في فنون الأدب، مطابع كوستاتوماس وشركاه/القاهرة.

الهاشمي: محمد يحيى (الدكتور)

٢٩٣- الإمام الصادق ملهم الكيمياء، مطبعة النجاح/بغداد ١٣٦٩هـ/١٩٥٠م.

ابن هشام: أبو محمد عبد الله بن هشام الحميري (ت ٢١٨هـ)

٢٩٤- السيرة النبوية، تحقيق مصطفى السقا وآخرون، دار إحياء التراث العربي/بيروت.

هشام جعيط

٢٩٥- الكوفة نشأة المدينة العربية الإسلامية دار الطليعة للطباعة والنشر/بيروت ١٩٩٣م.

الهمداني: أبو محمد الحسن بن احمد (ت ٣٣٤هـ)

٢٩٦- الإكليل، دار العودة/بيروت ودار الكلمة/صنعاء.

٢٩٧- صفة جزيرة العرب، تحقيق محمد بن علي الاكوع دار الشؤون الثقافية العامة/بغداد ١٩٨٩م.

الهمداني: رشيد الدين فضل الله

٢٩٨- جامع التواريخ، ترجمة محمد صادق نشأت وآخرون دار إحياء الكتب العربية.
الواقدي: أبو محمد عبد الله محمد بن عمر (ت ٢٠٧هـ)
٢٩٩- المغازي، تحقيق الدكتور مارسون جونس، مؤسسة الاعلمي للمطبوعات/بيروت.
الورد: باقر أمين
٣٠٠- أعلام العراق الحديث قاموس تراجم ١٨٦٩- ١٩٦٩م مطبعة اوفست الميناء/بغداد ١٩٧٨م.
ابن الوردي: زين الدين عمر بن المظفر (ت ٧٤٩هـ)
٣٠١- التاريخ، المطبعة الحيدرية/النجف الاشرف، الطبعة الثانية ١٣٨٩هـ/١٩٦٩م.
الوشاء: أبو الطيب محمد بن إسحاق بن يحيى
٣٠٢- الظرف والظرفاء، مطبعة التقدم/مصر، الطبعة الثانية ١٣٢٤هـ.

وليس بدج
٣٠٣- رحلات إلى العراق، ترجمة فؤاد جميل، مطابع دار الزمان وشفيق/بغداد ١٩٦٦- ١٩٦٨م.
اليازجي: ناصيف
٣٠٤- العرف الطيب في شرح ديوان أبي الطيب، دار صادر/بيروت، للطباعة والنشر ١٣٨٤هـ/١٩٦٤م.
آل ياسين: محمد مفيد (الدكتور)
٣٠٥- الحياة الفكرية في العراق في القرن السابع الهجري، بغداد ١٩٧٥م.
اليافعي: أبو محمد عبد الله بن اسعد المكي (ت ٧٧٨هـ)
٣٠٦- مرآة الجنان وعبرة اليقظان مطبعة دائرة المعارف النظامية/حيدر آباد الدكن، الطبعة الأولى ١٣٣٨هـ.

يحيى بن معين: أبو زكريا يحيى بن معين البغدادي (ت ٢٣٣هـ)
٣٠٧- التاريخ، تحقيق الدكتور احمد محمد نور سيف، مطابع الهيئة المصرية العامة للكتاب، الطبعة الأولى ١٣٩٩هـ/١٩٧٩م.
اليعقوبي: احمد بن أبي يعقوب (ت ٢٩٢هـ)
٣٠٨- البلدان، المطبعة الحيدرية/النجف الاشرف الطبعة الثالثة ١٣٧٧هـ/١٩٥٧م.
٣٠٩- التاريخ، المطبعة الحيدرية، النجف الاشرف، الطبعة الرابعة ١٣٩٤هـ/١٩٧٤م.
اليعقوبي: محمد علي
٣١٠- البابليات، مطبعة الزهراء/النجف الاشرف ١٣٧٠هـ/١٩٥١م.
أبو يوسف: يعقوب بن إبراهيم (ت ١٨٢هـ)
٣١١- الخراج، المطبعة السلفية/القاهرة، الطبعة الثانية ١٣٨٢هـ.
يوسف خليف (الدكتور)
٣١٢- حياة الشعر في الكوفة إلى نهاية القرن الثاني للهجرة، دار الكاتب العربي للطباعة والنشر/القاهرة ١٣٨٨هـ/١٩٦٨م.

ثالثاً: البحوث والدراسات:

حسين أمين (الدكتور)
٣١٣- الصحابة الكرام في الكوفة، مجلة المورد، العدد الرابع، المجلد (٢٨) لسنة ١٣٢١هـ/٢٠٠٠م.
٣١٤- مسجد الكوفة في التاريخ، مجلة الكوفة، المجلد الخامس، العدد الأول، لسنة ٢٠٠١م.
الحديثي: نزار عبد اللطيف (الدكتور)
٣١٥- ملاحظات أولية عن مدرسة العلم في الكوفة، مجلة الكوفة، المجلد الخامس، العدد الأول، لسنة ٢٠٠١م.
الحكيم: حسن (الدكتور)
٣١٦- تمصير الكوفة بين الإنسان والأرض، مجلة الكوفة، المجلد الخامس، العدد

الأول، لسنة ٢٠٠١م.

٣١٧- الثوية موقعها وتاريخها، مجلة كلية الفقه، العدد الثاني لسنة ١٤٠٤هـ/١٩٨٤م.

٣١٨- حكومة الإمام المنتظر، مجلة الانتظار العدد الثامن، السنة الثالثة ١٤٢٨هـ.

٣١٩- الخورنق والسدير، مجلة كلية الفقه، العدد الثالث ١٤١٠هـ/١٩٨٩م.

٣٢٠- كيف صيرت النجف قائممقامها شاعراً، مجلة الذكوات، العدد الأول لسنة ١٤١٨هـ/١٩٩٧م.

الحمداني: طارق (الدكتور)

٣٢١- نشأة مدينة الكوفة الحديثة وتطورها حتى الحرب العالمية الأولى، مجلة الكوفة، المجلد الخامس، العدد الأول لسنة ٢٠٠١م.

جواد علي (الدكتور)

٣٢٢- موارد الطبري، مجلد المجمع العلمي العراقي/بغداد المجلد الثامن.

الشبيبي: محمد رضا

٣٢٣- مذكراته (شذرات من مذكرات العلامة الفقيد محمد رضا الشبيبي) مجلة البلاغ، السنة الرابعة ١٣٩٣هـ/١٩٧٣م.

شلاش، عبد المحسن

٣٢٤- فيصل والعتبات المقدسة، مجلة الاعتدال، العدد التاسع، السنة الأولى.

محفوظ، حسين (الدكتور)

٣٢٥- تاريخ الكوفة تعريف مقتضب وتلخيص سريع، مجلة الكوفة، المجلد الخامس، العدد الأول، لسنة ٢٠٠١م.

المخزومي، مهدي (الدكتور)

٣٢٦- النجف والرأي العام، مجلة البيان، العدد الأول، السنة الأولى ١٩٦٤م.

الهاشمي: طه

٣٢٧- خالد بن الوليد في العراق، مجلة المجمع العلمي العراقي/الجزء الأول، المجلد الثالث ١٩٥٤م.

الفهرس